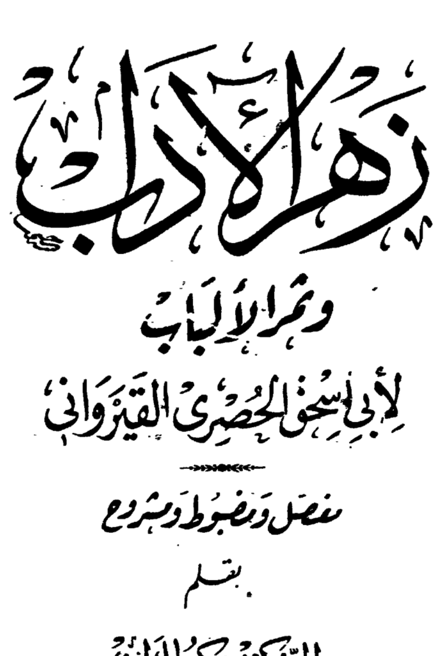




الدكتور زكي مبارك

الجزء الثالث

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها مصطفى محمد

المطبعة الرحمانية بمصر
لصاحبها الخواجا محمد موسى شريف

احياء زهر الآداب

أجمع رجال العلم والأدب على استحسان المنهج الذى سلكته فى إحياء زهر الآداب ، فقد ظهر الجزء الأول والثانى ولم أسمع من أحد منهم غير الثناء ، وقد زادنى هذا التشجيع حبًّا فيما أعاني من التعب فى ضبطه ، وتنقيحه ، وتفصيله ، وشرح ما فيه من الغريب

وسيرون ان شاء الله فى الجزء الرابع مرجعاً نادر المِثال : يسهّلُ عليهم الرجوعَ إلى ما يشاءون من الحِكَم المتفرقة ، والرسائل المبعثَرَة هنا وهناك ، والقصائد المنشّرة فى تفاريق الكتاب ، والأعلام المنثورة فوق بساطه الممدود ، وتراجم المشاهير من الكتّاب ، والخطباء ، والشعراء

والله ولى التوفيق ، وهو حسبى ونعم الوكيل

محمد زكى عبد السلام مبارك

بسم الله الرحمن الرحيم

غرر المدائح

(نبذ من مفردات الابيات فى فرائد المدح)

أبو نواس

وكلت بالدهر عيناً غير نائمةٍ * من جود كفيك تأسو كلما جرحا

الطائى

فلو صورت نفسك لم تزدها * على ما فيك من كرم الطباعِ

البحترى

ولو لم يكن فى كفه غير نفسهِ * لجاد بها، فليتق الله سائله

(وله)

ولم أر أمثال الرجال تفاوتوا * لدى المجد حتى عُد ألفٌ بواحدِ

كشاجم

عرف الفاضلون فضلك بالعلـ * ـم وقال الجهال بالتقليـدِ

المتنبى

شخص الانام الى كمالك فاستعذ * من شر أعينهم بعيبٍ واحدِ

وله

ولما رأيت الناس دون محله * تيقنت أن الدهر للناس ناقدُ

(وله أيضاً)

إن خوطبوا أولُقوا أو كوتبوا وُجِدوا * فى اللفظ والخط والهيجاء فرسانا

(وله أيضا)

ذُكر الانام لنا فكان قصيدةً * كنت البديع الفرد من أبياتها

(أبو العباس الناشيء)

خلقت كما أرادتك المعالى * فانت لمن رجاك كما يريد المأمونى

وخلائق كالخمر دون فعـالهِ * حَبَبٌ لهن وما لهن خُمارُ(١)

كرم الخلفاء

وقال ابراهيم الموصلى لموسى الهادى وهو نديمه وقد غناه صوتاً فاعجبه : إن من كان محله من أمير المؤمنين محلى فى الانبساط ، وتقدم المنـادمة ، جرأه البسط على الطلب ، وبعثته المنادمة على الرجاء ، وقد نصب لى أمير المؤمنين بقربى منه مشارع الرغبة اليه ، وحثى محلى عنده على الكروع فى المنهل بين يديه . فقال : سل شفاها فانى جاعل فعلى على اجابتك اليه حاضراً . فسأله ما قيمته خمسون ألف درهم ، فامر له بمائة ألف درهم

الاسكندر وابن دارا

ولمـا ظفر الاسكندر بدارا بن دارا قال له : بم اجترأ عليك صاحب شُرطتك ؟ قال بتركى رهبته وقت اساءته وتفريطه ، واعطائه وقت الاحسان اليسيرِ من فعله نهايةَ رغبته ، فقال الاسكندر : نعم العون على اصلاح القلوب الموغرة الترغيب بالاموال ، واصلح منه عاجلا الترهيب وقت الحاجة اليه

أحزم الملوك

وقال الحسن بن سـهل خرج بعض ملوك الفرس متنزها فلقى بعض الحكماء فسأله عن أحزم الملوك فقال : من ملك جده هزله ، وقهر لبه هواه ، وأعرب لسانه

(١) الخمار بالضم هو ما يعترى الشارب من الالم عند فقد الشراب

عن ضميره ، ولم يخدعه رضاه عن سخطه ، ولا غضبه عن صدقه . فقال الملك لا، بل أحزم الملوك من اذا جاع أكل ، واذا عطش شرب ، واذا تعب استراح ، فقال الحكيم: أيها الملك، قد أجدت الفطنة. هذا العلم مستفاد أم غريزى ؟ قال كان عندنا معلم من الهند وكان هذا نقشَ خاتمه . قال فهل علمك غير هذا ؟ قال ومن أين يوجد مثل هذا عند رجل واحد؟ ثم قال له الملك: علمنى من حكمتك أيها الحكيم قال نعم احفظ عنى ثلاث كلمات . قال ماهن؟ قال صقلك السيف ليس له جوهر من سِنْخِهِ خطأ(١) ، وصبك الحب فى الأرض السبخة ترجو نباته جهل، وحملك المسن على الرياضة عمى — قال أبو تمام الطائى :

والسيف مالم يلف فيه صيقلٌ * من نفسه لم ينتفع بصِقالِ

كلمات الحكماء

وقيل لبعض الحكماء : ما الدليل الناصح ؟ قال غريزة الطبع . قيل ما العائد المشفق ؟ قال حسن المنطق ، قيل فما العناء المُعَنِّى ؟ قال تطبعك مالا طبع له (وقال أنوشروان) الناس ثلاث طبقات ، تسوسهم ثلاث سياسات ، طبقة من خاصة الاشرار: تسوسهم بالغلظة والعنف والشدة، وطبقة من العامة: تسوسهم باللين والشدة ، فلا تحرجهم الشدة ، ولا يبطرهم اللين (قال واصل بن عطاء) ألا قاتل الله هذه السفلة توادُّ من حادَّ الله ونبيه ، وتحادُّ من وادَّ الله ونبيَّه ، وتذم من مدحه الله ، وتمدح من ذمه الله ، على أن بهم عُلِمَ الفضل لاهل الطبقة العالية ، وبهم أعطيت الاوساط حظا من النبل (وقيل لبعض الملوك) ما بلغ بك هذه المنزلة؟ قال عفوى عند قدرتى، ولينى عند شدتى ، وبذل الانصاف، ولو من نفسى، وابقائى فى الحب والبغض مكاناً لموضع الاستبدال (قال الاسكندر) لأحد الحكماء ، وأراد سفراً : أرشدنى لأحزم أمرى، قال لاتملأنّ قلبك من محبة الشىء ، ولا يستولين عليك

(١) السنخ بالكسر الأصل

بغضه ، واجعلهما قصداً، فان القلب كاسمه ينزع ويرجع ، واجعل قدرك التثبت ، وسميرك التيقظ ، ولا تقدم الا بعد المشورة ، فانها نعم الدليل ، فاذا فعلت ذلك ملكت قلوب رعيتك (وقيل) لبعض الحكماء ما الحزم ؟ قال سوء الظن ، قيل فما الصواب ؟ قال المشورة. قيل فما الرأى الذى يجمع القلوب ؟ قال المودة ، قيل فما المودة ؟ قال كفٌّ بذول ، وبشر جميل ، قيل فما الاحتياط ؟ قال الاقتصاد فى الحب والبغض (وسئل بزرجمهر) ما المروءة؟ قال ترك ما لا يعنى ، قيل فما الحزم ؟ قال انتهاز الفرصة ، قيل فما الحلم ؟ قال العفو عند القدرة ، قيل فما الشدة ؟ قال ملك الغضب ، قيل فما الخُرق؟ قال حب مغرِق ، وبغض مفرِط (قال معاوية) رضى الله عنه لزياد حين ولاَّه العراق: يا زياد ، ليكن حبك وبغضك قصداً ، فان العثرة فيهما كامنة ، واجعل للنزوع والرجوع بقية من قلبك ، واحذر صولة الانهماك ، فانها الى الهلاك (ومن كلام بلغاء أهل العصر فى ذكر السلطان) أبو القاسم الصاحب: عرصات السلطان ، لا تغلو بشىء من الاثمان ، ولا ببذل الروح والجنان — تهيُّب السلطان فرض وكِيد ، وحتم على من ألقى السمع وهو شهيد

كلمات الصابى

فصل للصابى: الملك أحق باصطفاء رجاله منه باصطفاء أمواله ، لانه مع اتساع الأمر ، وجلالة القدر ، لا يكتفى بالوحدة ، ولا يستغنى عن الكثرة ، ومثله فى ذلك مثل المسافر فى الطريق البعيد ، الذى يجب أن تكون عنايته بفرسه المجنوب ، كعنايته بفرسه المركوب

فصل للصابى: الملك بمن غلط من أتباعه فاتعظ ، أشد اتعاظا منه بمن لم يغلط ولم يتعظ: فالاول كالقارح الذى أدبته الغرة ، وأصلحته الندامة ، والثانى كالجذع المنهوم الذى هو راكب للغرة وراكن للسلامة[1] (وقيل) ان العظم اذا جبر من كسره عاد صاحبه أشد بطشاً وأقوى يداً

(١) القارح هو الذى بلغ تمام القوة ، والجذع دون ذلك

كلمات الخوارزمى

(أبو بكر الخوارزمى) لاصغير مع الولاية والعمالة ، كما لا كبير مع العُطلة والبطالة ؛ وانما الولاية أنثى تصغرُ وتكبرُ بمواليها ، ومطية تحسُنُ وتقبُحُ بممتطيها ، والصدر لمن يليه ؛ والدست بمن جلس فيه. والاعمال بالعمال ، كما ان النساء بالرجال

فصل له : إن ولاية المرء نوبة، فان قصر عرى منه ، وان طال عثر فيه . قليل السلطان كثير ، ومداراته حزم وتدبير ، ومكاشفته غرور وتغرير

الأدب مع الملوك

(أبو الفتح البستى) أجهل الناس من كان على السلطان مدلا ، وللاخوان مذلا (أبو الفضل ابن العميد) الابقاء على حشم السلطان وعماله، عدل الابقاء على ماله ، والاشفاق على ديناره ودرهمه (ومن رسالة طويلة) جواب لابى شجاع عضد الدولة عن كتاب اقتضاه فيه صدر كتاب ألفه فيه أبو الحسن الصوفى فى نوع من علوم الهيئة: أنا أقدم الاجابة بحمد الله تعالى جده، على ما وهب لنا معاشر عبيده وخدمه خاصة، بل لرعاياه عامة ، بل لاهل الارض كافة، من عظيم النعمة بمكانه، وجسيم الموهبة بانفاق أعمارنا فى زمانه ،حتى شاركناه فى أسباب السعادة التى لم تزل مذخورة عليه ، حتى صارت اليه، وساهمناه فى مواد الفضيلة التى لم تزل محفوظة له، حتى اتصلت به ، فان المرء لأشبه شىء بزمانه. وصفات كل زمان سجية من سجايا سلطانه. بان فضل شجاع الفضل فى الزمان وأهله ، وتحلى الدهر بافضل حليته، وتحلت العيون والقلوب باحسن زينته، وكسا بنيه والناشئين فيه بشرف جوهره، وأورثهم نيل فضله، وعز العلم وأهله ، وعرف لمقتبسه فضله، وتوجهت الاذهان نحوه، وتعلقت الخواطر به، وصرفت الفكر فيه، ونشدت ضوالّه ، ونظم اسناده، وجمعت أفراده، ووثقت نفوس الساعين فى استفادته بحسن عائدته، فحرصت عليه، وصرفت نظرها اليه ، وأيقنت فى بضاعتها بالنَّفاق ، وفى تجارتها بالارفاق، فصار ذلك الى نماء العلوم وزيادتها، داعية بتكثير قليلها

وايضاح مجهولها ،وسبباً وعلة الى انخراط جواهرها المتفرقة فى سلوك التصنيف وسبيلا الى تقييد شواردها بعُقُل التأليف — إن زل السلطان اتبعت الرذيلة اتباعاً وذهبت الفضائل ضياعاً، وبطلت الاقدار والقيم، وسلبت الاخطار والهمم، وزال العلم والتعلم، ودرس الفهم والتفهم، وضرب الجهل بجرانه، ووطىء بمنسمه، واستعلى الخمول على النباهة، واستولى الباطل على الحق، وصار الادب وبالاً على صاحبه، والعلم نكالا على حامله، وبحسب عظيم المحنة ممن هذه صفته ،والبلوى مع من هذه صورته، تعظم النعمة بملك سلطان عالم ، كالامير الجليل عضد الدولة، أطال الله تعالى بقاءه، وأدام قدرته ، الذى أحله الله عز وجل من الفضائل بملتقى طرفيها، ومجتمع فرقها ، فهى نوادٌ ممن لاقت حتى تصير اليه، وشوارد نوازع حيث حلت حتى تقع عليه، تتلفت تلفت الوامق، وتتشوف اليه تشوف الصب العاشق، قد ملكها أنى توجهت، وحشية المضاع وجيرة المرتاع

فان تغش قوماً غيرهم أو تزورهم * فكالوحش يدنيها من الانس المحلُ

حتى اذا قابل، أسرعت اليه اسراع السيل ينصب فى الحدور، والطير ينقض الى الوكور

الهمم العافية

(وقال أبو الطيب المتنبى)

أحق عافٍ بدمعك الهممُ * أحدث شىء عهدا بها القدمُ
وانما الناس بالملوك وما * تفلح عُرْبٌ ملوكها عجمُ
لا أدبٌ عندهم ولا حسبٌ * ولا عهودٌ لهم ولا ذممُ
بكل أرض وطئتها أممٌ * تُرعى بعبد كأنها غنم
يستخشِن الخزّ حين يلمسهُ * وكان يُبرى بظفره القلمُ

محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان

وقال الزبير بن بكار قدم ابن ميادة، واسمه الرماح بن ابرد، زائراً لعبد الواحد ابن سليمان، وهو أمير المدينة، فكان عنده ليلة فى سمار، فقال عبد الواحد لأصحابه: انى لأهم أن أتزوج فابغونى أيِّما، قال ابن ميادة: أنا أصلحك الله أدلك، قال على من يا أبا بشر نميل؟ قال قدمت عليك أيها الامير، فلما قدمت ألفيت المسجد واذا أشبه شيء به وبمن فيه الجنة ومن فيها، فبينا أنا أمشى اذ قادتنى رائحة رجل عطرٍ حتى وقفت عليه، فلما وقع بصرى عليه أسلبنى حسنه ناظرى، فما أقلعت ناظرى حتى تكلم، فما زال يتكلم كأنما ينثر دراً ويتلو زبوراً ويدرس انجيلا ويقرأ فرقاناً حتى سكت، فلولا معرفتى بالامير ما شككت أنه هو، ثم خرج من داره الى مصلاه فسألت عنه فأخبرت أنه من الحسن بمكان، وأنه للخليفتين، وأنه قد نالته ولادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لها ساطع من غرته، فان اجتمعت أنت وهو على ولد ساد ذكره العباد، وجاب ذكره البلاد. فلما قضى ابن ميادة كلامه قال عبد الواحد ومن حضر: ذلك محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان رضى الله تعالى عنه، ولد فاطمة بنت الحسين بن على رضى الله عنهم — وقال ابن ميادة

لهم سيرةٌ لم يعطها الله غيرهم * وكل قضاء الله فضلٌ فيهمُ

هذا فى تقابل نسبه، وكمال منصبه، كقول عويف القوافى فى طلحة بن عبد الله الزهرى

يُصَمُّ رجال حين يُدعَوْن للندى * ويدعى ابن عون للندى فيجيبُ

وذاك امرؤ من أىِّ عطفيه يلتفت * الى المجد يحوى المجد وهو قريب

عبد الواحد بن سليمان

وعبد الواحد بن سليمان هذا هو الذى يقول فيه القطامي

أقول للحرف لما أن شكت أصلا * طول السِّفار وأفنى نيتها الرحل

إن ترجى من أبى عثمان منجعةً * فقد يهون على المستنجع العمل
أهل المدينة لا يحزنك شأنهمُ * اذا تخطى عبيد الواحد الاجلُ

ومن قول القطامى إن ترجى من أبى عثمان منجعة ، أخذ الآخر قوله :

اذا ما تعنَّى المرء فى إثر حاجةٍ * فأنجح لم يثقل عليه عناؤهُ

وهو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان (قال ابن الكلبى) هو عبد الواحد بن الحرث بن الحكم بن أبى العاص ابن أمية ، والاول قول ابن السكيت

شعر القطامى

والقصيدة التى منها هذه الابيات من أجود قوله ، وفيها يقول مما يتمثل به

والعيش ما العيش الا ما تقرُّ به * عين ولا حال الا سوف ينتقلُ
والناس من يلق خيراً قائلون له * ما يشتهى ولأم المخطىء الهبَلُ(١)
قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

قوله والناس من يلق خيراً قائلون له مأخوذ من قول المرقش

ومن يلق خيراً يحمد الناس أمرهُ * ومن يغوِ لا يعدَم على الغى لائما

وقال عمرو بن سعيد للاخطل : أيسرك أن لك بشعرك شعراً ؟ قال لا ، ما يسرنى أن لى بقولى مقولا من مقاويل العرب ، غير أن رجلا من قومى قال أبياتاً حسدته عليها ، وايم الله انه لمغدف القناع ، ضيق الذراع ، قليل السماع ، قال ومن هو ؟ قال القُطامى . قال وما هذه الابيات؟ فأنشد له يصف ابلا من هذه القصيدة

يمشين رهواً فلا الأعجاز جازلةٌ * ولا الصدور على الاعجاز تتكل(٢)
فهن معترضات والحصا رمِضٌ * والريح ساكنة والظل معتدل(٣)
يتبعن سامية القيدين تحسبها * مجنونة أو ترى مالا ترى الأبل

---

(١) الهبل : الثكل (٢) جازلة : أصابها الدبر (٣) رمض : حار

الصوت الرخيم

قال أبو العتاهية لمخارق: أنت بنغم ألفاظك، دون نغم الحانك، تُطرب اذا تكلمت، فكيف اذا ترنمت! وقال له يوماً ياحكيم هذه الاقاليم، لا أطيب فى هذه الآذان، من جيد تلك الالحان، فأقسم لو كان الكلام طعاما، لكان غناؤك به إداما (قال) اسحق بن ابراهيم الموصلى: دخلت على المعتصم يوماً وقد خلا وعنده جارية تغنيه، وكان معجباً بها، فلما جلست قال لى يا أبا اسحق كيف تراها؟ فقلت ياأمير المؤمنين أراها تقهره بحذق، وتختلسه برفق، ولا تخرج من حسَن إلا الى أحسن منه، وفى حلقها شذور نغم، أحسن من دوام النعم. قال يا اسحق هن غايات الامل ومُنْسيات الاجل، والسقم الداخل، والشغل الشاغل، وان صفتك لو سمعها من لم يرها لفقد لبه، وقضى نحبه (وسئل) اسحاق عن الجيد من المغنين فقال: من لطف فى اختلاسه، وتمكن من انفاسه، وتفرع فى أجناسه، يكاد يعرف مجالسيه، وشهوات معاشريه، يقرع مسمع كل واحد منهم بالنحو الذى يوافق هواه، ويطابق معناه

اسحق الموصلى

وكان اسحق بن ابراهيم قد جمع الى حذقه فى صناعته، حسن التصرف فى العلوم وجودة الصنعة للشعر. وحدث عن نفسه فقال، كنت أيام الرشيد أبكر الى هشيم ووكيع فأسمع منهما ثم أنصرف الى عاتكة بنت شهدة فتطارحنى صوتين ثم أسير الى زلزل الضارب فآخذ منه طريقين، ثم أسير الى منزلى فأبعث الى أبى عبيدة والاصمعى فلا يزالان عندى الى الظهر، ثم أذهب الى الخليفة. ونزل أبوه بالموصل وليس من أهلها فنسب اليها. وهو مولى خزيمة ابن ابى حازم التميمى. وفى ذلك يقول اسحاق

اذا مضر الحمراء كانت أرومتى * وقام بنصرى حازمٌ وابن حازمِ
عطست بأنفى شامخاً وتناولت * بنانى الثريا قاعداً غير قائم

وفيه يقول محمد بن عامر الجرجانى يرثيه

على الجدث الشرقىّ عوجا فلما * ببغداد لما صرعته عوائده
أ اسحق لا تبعدوان كان قدرمى * بك الموت مرمىً ليس يصدر وارده
متى تأته يوماً تحاولُ منفساً * من الدين والدنيا فانك واجده
اذا هزل اخضرّت فروع حديثه * ورقت حواشيه وطابت مشاهده
وان جدّ كان القول جداً وأقسمت * مخارجه أن لا تلين شدائده

شعر اسحق الموصلى

ومن جيد شعر اسحق قصيدته فى اسحق بن ابراهيم المصعبى بعد إيقاعه بالخرمية

تقضّت لبانات وجدّ رحيلُ * ولم يشف من أهل الصفاء غليلُ
ومُدَّت أكف للوداع فصافحت * وفاضت عيون للفراق تسيل
ولابدّ للألاّف من فيض عبرةٍ * اذا ما خليلٌ بان عنه خليلُ
فكم من دم قد طُل يوم تحملت * أوانس لا يُودى لهن قتيل
غداة جلت الصبر شيئاً نسيتهُ * وأعولت لوأجدى علىَّ عويل
ولم أنس منها نظرة هاج لى بها * هوًى منه بادٍ ظاهرٌ ودخيل
كما نظرت حوراء فى ظل سدرةٍ * دعاها الى ظل الكِناس مقيل
فلا وصل إلا أن تلاقاء أينُقٌ * عِتاق نماها شدقم وجديل
اذا قلبت أجفانها بتنوفةٍ * طوى البعد منها هزة وذميل
تفرّد اسحق بنصح أميرهِ * فليس له عند الانام عديل
يفرج عنه الشكَّ صدقُ عزيمةٍ * ولبٌّ به يعلو الرجال أصيل
أغر نجيب الوالدين كأنهُ * حسام جلت عنه العيون صقيل
بنى مصعب للمجد فيكم اذا بدت * وجوهكمُ للناظرين دليل

كرُمتم فما فيكم جبان لدى وغًى * ولا منكمُ عند العطاء بخيل
غَلبتم على حسن الثناء فراقكم * ثناء بأفواه الرجال جميل
اذا استكثر الاعداء ماقلت فيكمُ * فان الذى يستكثرون قليل

وهذا نمط الحذاق الفحول — وقال :

ومدرجة للريح غبراء لم يكن * ليجشمها زُمَّلة غير صارمِ
يضل بها السارى وإن كان هادياً * وتقطع أنفاس الرياح النواسم
تعسفت أبرى جورها بشِملّةٍ * بعيدة ما بين العرى والمحازم
كأن شرار المرو من نبذها بهِ * نجومٌ هوت إحدى الليالى العواتم
اذا ضمها والسفر ليل فغيبت * دياجيره عنهم رؤوس المعالمِ
تنادوا فصاروا تحت أكناف رحلهم * يهدُّ بهم قَدحَ الحصى بالمناسِمِ

(وقال)

ولما رأين البين قد جدّ جِدهُ * ولم يبق إلا أن تَبين الركائبُ
دنونا فسلمنا سلاماً مُخالساً * فردت علينا أعينٌ وحواجبُ
تصد بلا بغض وتخلس لمحةً * اذا غفلت عنا العيون الرواقبُ
نُذاد اذا حُمنا لنشفىَ غلةً * كما ذِيد عن ورد الحِياض الغرائب

وما أحسن ما قال أبو العباس الناشىء فى هذا المعنى

ولما رأين البين زُمَّت ركابهُ * وأيقنَّ منا بانقطاع المطالبِ
طلبن على الركب المجدين علةً * فعجن علينا من صدور الركائب
فلما تلاقينا كتبن بأعينٍ * لنا كُتُباً أعجمنها بالحواجب
فلما قرأناهنّ سراً طوينها * حذار الأعادى بازورار المناكب

(وقال اسحق)

ألا من لقلب لايزال رَميةً * للمحة طرف أولكسرة حاجبِ
وللخُمُرِ اللائى تساقط لونها * فتور الخطا عن واردات الذوائب

جمال الذوائب

وعلى ذكر الذوائب قال ابن المعتز

سقتنىَ فى ليل شبيه بشعرها * شبيهة خديها بغير رقيبِ
فأمسيت فى ليلين بالشعر والدجا * وخمرين من راح وخد حبيب

وقال بكر بن النطاح

بيضاء تسحب من قيامٍ شعرَها * وتغيب فيه وهو جثلٌ أسحمُ (١)
فكأنها فيه نهار مبصرٌ * وكأنه ليل عليها مظ[illegible]

وقال المتنبى

نشَرتْ ثلاث ذوائبٍ من شعرها * فى ليلة فأرت ليالىَ أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتنىَ القمرين فى وقت معا

وقال ابن الرومى

وفاحمٍ وارد يقبل مم * شاه اذا اختال مُسْبلاً غُدُرَه
أقبل كالليل فى مفارقه * منحدرا لا يرام منحدره
حتى تناهى الى مواطئه * يَلثم من كل موطىء عفَرَه
كأنهُ عاشق دنا شغفاً * حتى قضى من حبيبه وطرَه
تغشى غواشى قرونه قدما * بيضاء للناظرين معتذرَه
مثل الثريا اذا بدت سحراً * بعد غمام وحاسر حسره

أخذه بعض أهل المصر وهو أبو محمد بن مطرف فقال :

ظباء أعارتها المحاسن مَشيَها * كما قد اعارتها العيونَ الجآذِرُ
فمن حسن ذاك المشى قامت فقبلت * مواطىء من أقدامهن الغدائر

---

(١) جثل : كثير لين

وقال مسلم بن الوليد

أجدك هل تدرين أنْ رُبَّ ليلةٍ * كأن دجاها من قرونك ينشرُ
نصبت لها حتى تجلت بغُرة * كغرة يحيى حين يذكر جعفر

حسن البيان

قال الحاتمى : مثل القصيدة مثل الانسان فى اتصال بعض أعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه فى صحة التركيب ، غادر الجسم ذا عاهة تتخوّن محاسنه ، وتعفّى معالمه ، وقد وجدت حذاق المتقدمين ، وأرباب الصناعة من المحدَثين ، يحترسون فى مثل هذا الحال احتراساً يجنبهم شوائب النقصان ، ويقف بهم على محجة الاحسان ، حتى يقع الاتصال ، ويؤمن الانفصال ، وتأتى القصيدة فى تناسب صدورها وأعجازها، وانتظام نسيبها بمديحها ، كالرسالة البليغة ، والخطبة الموجزة ، لا ينفصل جزء منها عن جزء . وهذا مذهب اختص به المحدثون لتوقد خواطرهم ، ولطف أفكارهم ، واعتمادهم البديع وأفانينه فى أشعارهم ، وكأنه مذهب سهلوا حَزنه ، ونهجوا دارسه ، فأما الفحول الأوائل ومن تلاهم من المخضرمين والاسلاميين ، فمذهبهم التعالم عن كذا الى كذا ، وقصارى كل أحد منهم وصف ناقته بالعتق ، والنجابة ، والنجاء ، وأنه امتطاها فادرع عليها جلباب الليل ، وربما اتفق لأحدهم معنى لطيف يتخلص به الى غرض لم يعتمده الا أن طبعه السليم ، وصراطه فى الشعر المستقيم ، نضى تياره ، وأوقد بالبقاع ناره.

فمن أحسن تخلص شاعر الى معتمده قول النابغة الذبيانى

فكفكفت منى عبرة فرددتها * على النحر منها مستهِل ودامعُ
على حينَ عاتبت المشيب على الصبا * وقلت ألمَّا أصحُ والشيب وازع[1]
وقد حال همٌّ دون ذلك شاغلٌ * مكان الشَّغافِ تبتغيه الأصابع[2]

---

(١) وازع : زاجر (٢) الشغاف ، بفتح الشين ، داء يأخذ تحت الشراسيف

وعيد أبي قابوس في غير كنهه * أتاني ودوني راكس فالضواجع[1]

وهذا كلام متناسب تقتضي أوائله أواخره ، ولا يتميز منه شيء عن شيء ،

أتاني ، أبيت اللعنَ ، انك لمتني * وتلك التي تَسْتَكُّ منها المسامعُ[2]

مقالة ان قد قلت سوف أناله * وذلك من تلقاء مثلك رائع

ولو توصل الى ذلك بعض الشعراء المحدثين الذين واصلوا تفتيش المعاني ، وفتحوا أبواب البديع ، واجتنوا ثمر الآداب ، وفتحوا زهر الكلام ، لكان معجزا عجيبا ، فكيف بجاهل بدوي انما يغترف من قليب قلبه ، ويستمد عفو هاجسه !

ظلام الليل

وقال علي ابن هرون المنجم عن أبيه: لم يتوصل أحد الى مدح بمثل قول وهيب

ما زال يُلثمني مراشفهُ * ويعلني الابريق والقدحُ

حتى استرد الليل خلعتهُ * وبدا خلال سواده وضَحَ

وبدا الصباح كأن غرتهُ * وجه الخليفة حين يُمتدح

وقال علي بن الجهم

وليلةٍ كحلت بالنقس مقلتها * ألقت قناع الدجى عن كل اخدود[3]

قد كان يغرقني أمواج ظلمتها * لولا اقتباسي سنا وجه ابن داود

* قوله كحلت بالنقس مقلتها *

مأخوذ من قول اعرابي : والليل قد صبغ الحصى بمداد

أخذ هذا أبو نواس فقال

أبِنْ لي كيف صرت الى حريمي * وجفن الليل مكحول بقار

في الشق الأيمن تبتغبه اصابع المطببين لتنظر أنزل من ذلك الوضع أم لم ينزل ، وانما ينزل عن البرء — والشغاف أيضاً حجاب القلب

(١) راكس : اسم واد . والضواجع منحنيات الوادي (٢) تستك : من السكك بفتحتين وهو الصمم (٣) النقس بالكسر المداد ، ويجمع على أنقاس

وقد أخذ هذا أبو تمام فقال

اليك هتكنا جنح ليل كأنهُ * قد اكتحلت منه البلاد بإثمدِ

وقد أخذ لفظ الاعرابي المتقدم أبو نواس فقال

قد أغتدى والليل كالمدادِ * والصبح ينفيه عن البلاد

طرد المشيب حالك السوادِ

وانما نظر فى هذا الى قول الاعرابي

أقول والليل قد مالت أواخرهُ * الى الغروب : تأملْ نظرةً حارِ

ألمحة من سنا برقٍ رأي بصرى * أم وجه نُعم بدا لى أم سنا نار

بل وجه نعم بدا والليل معتكرٌ * فلاح ما بين حُجَّاب وأستار

حسن التخلص

ومن بديع الخروج قول على بن الجهم وذكر سحابة

وسارية تزداد أرضا بجودها * شغلت بها عيْنا طويلا هجودها

أتتنا بها ريح الصبا فكأنها * فتاة تزجّيها عجوز تعودها

فلما قضت حق العراق وأهله * أتاها من الريح الشمال بريدها

فمرت تفوق الطير سبقا كأنها * جنود عبيد الله ولّت بُنودها

يريد انصراف أصحاب عبيد الله بن خاقان عن الجعفرى الى سُرمن رأى عند قتل المتوكل ، وقد أخذ هذا التشبيه معكوسا من قول أبى العتاهية

ورايات يحل النصر فيها * تمر كأنها قطع السحابِ

وقال ديك الجن

وعزيز يقضى بحكمين: فى الرا * ح بجور ، وفى الهوى بمحال

للنقا ردفه وللخوط ما * حمـِل لينا وجيده للغزال

فعلت مقلتاه بالصب ما تفـ * عل جدوى يديك بالأموال

ومن بارع الخروج قول المتنبي

مرت بنا بين تربيها فقلت لها * من أين جانس هذا الشادنُ العربا
فاستضحكت ثم قالت كالمغيث يُرى * ليث الشرى وهو من عِجْل اذا انتسبا

واشتهار شعره ، يغنى من ذكره

فضل النسيب

قال ابن قتيبة : سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصِّد القصيدة انما ابتدأ بوصف الديار ، والدمن ، والآثار ، فبكى ، وشكا ، وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سببا لذكر أهله الظاعنين ، إذ كانت نازلةُ العمُد فى الحلول والظعن ، على خلاف ما عليه نازلة المدر ، لا نتقالهم من ماء الى ماء ، وانتجاعهم الكلأ وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ، ثم فصل ذلك بالنسيب ، فبكى شدة الوجد ، وألم الصبابة والشوق ، لتميل نحوه القلوب ، وتصرف اليه الوجوه ، ويستدعى إصغاء الأسماع ، لأن النسيب قريب من النفوس ، لائط بالقلوب ، لما جعل الله تعالى فى تركيب العباد من محبة الغزل ، وإلف النساء ، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون منه متعلقاً بسبب ، وضاربا بسهم ، حلال أو حرام ، فاذا استوثق من الاصغاء اليه ، والاستماع له ، وعقب بإيجاب الحقوق ، فدخل فى شعره ، وشكا التعب والسهر ، وسُرى الليل ، وقرر عنده ما ناله من المكاره فى المسير ، بدأ فى المديح فبعثه على المكافأة ، وفضله على الأشياء ، وصغر فى قدره الجزيل ، وهزه لفعل الجميل . فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب ، وعدل بين هذه الأقسام ، فلم يجعل واحداً أغلب على الشعر ، ولم يطل فيمل السامعين ، ولم يقطع بالنفوس ظمأ الى المزيد

أبو تمام والبحترى

ويتعلق بهذه القطعة ما حدَّث به الحاتمى عن نفسه ، وان كانت الحكاية طويلة فهى غير مملولة ، لما لبسته من حلل الآداب ، وتزينت به من حلى الالباب ،

قال: جمعني ورجلين من مشايخ البصرة، ومن يؤبه اليه في علم الشعر ، مجلس بعض الرؤساء ، وكان خبره قد سبق الى في عصبيته للبحترى ، وتفضيله اياه على أبي تمام ووجدت صاحب المجلس مؤثراً لاستماع كلامنا في هذا المعنى ، فأنشأت قولا أنحيت فيه على البحترى انحاء أسرفت فيه ، واقتدحت زناد الرجل ، فتكلم وتكلمت، وخضنا في أفانين من التفضيل والمماثلة ، غلوت في جميعها غلوا شهده جميع من حضر ، وخضنا في أفانين في المجلس ، وكانوا أجلة الوقت ، وأعيان الفضل ، فاضطر الى أن قال ما يحسن أبو تمام يبتدىء ، ولا يخرج ولا يختم ، ولو لم يكن للبحترى عليه من الفضل إلا حسن ابتدا آته ، ولطف خروجه ، وسرعة انتهائه ، لوجب أن يقع التسليم له ، فكيف بأوابده التي تزداد على التكرار غضارة وجدة ، ثم أقبل عليّ . فقال : أين يُذهب بك عن ابتدائه

عارضننا أُصُـلاً فقلنا الرَّبربُ * حتى أضاء الاقحوان الاشنب[1]

واخضرّ موشيٌّ البرود وقد بدا * منهن ديباج الخـدود المُذهَبُ

وانّى لابي تمام مثل خروجه حيث يقول :

أدارَهُمُ الاولى بدارة جلجل * سقاكِ الحَيا ريحانهُ وبوا كِرُه

وجاءك يحكى يوسف بن محمد * فروّتك ريّاهُ وجادك ماطِرُه

وقد كرر هذا وزاد فيه فقال :

تنصّب البرق مختالا فقلت له * لوجدت جود بني يزداد لم تزد

ومن ذا الذى لَطُف لان يخرج من وصف روض الى مدح ، فقال أحسن من قوله :

كان سناها بالعشيّ لصحبها * تبلُّج عيسى حين يلفظ بالوعدِ

وأنى لابي تمام مثل حسن انتهائه حيث يقول :

اليك القوافي نازعاتٍ شوارداً * يُسيِّر ضافي وَشْيها وينمنمُ

ومشرقةً في النظم غُرًّا يزيدها * بهاء وحسناً أنها لك تُنظمُ

(١) الأشنب من الشنب بفتحتين وهو رقة وبرد وعذوبة في الأسنان

وقوله فى هذا المعنى :

ألست المُوالى فيك نظم قصائدٍ * هى الأنجم اقتادت مع الليل أنجما

ثناء تخال الروض فيه منوّرا * ضحى وتخال الوشى فيه منمنما

ولقد تقدم البحترى الناس كلهم فى قوله :

لو أن مشتاقا تكلّف فوق ما * فى وُسْعِهِ لسعى اليك المنبرُ

قال أبو على : وكنت سا كتاً الى أن استتم كلامه ، وكأن الجماعة أعجبهم ذلك ، عصبيةً علىّ لا على أبى تمام ، لانى كنت كالشجى معترضاً فى لهواتهم ، وأسرّ كل واحد منهم الى صاحبه سرا يومىء به الى استيلاء الوجل على ، فلما استتم كلامه ، وبرقت له بارقة طمع فى تسليمى له ، ابتدأت فقلت : لست ممن يقعقع له بالحصا ، أو تقرع له العصا ، لااله الا الله ! استنّت الفصال حتى القرعى! هل هذه المعانى الا عوان مفترعة ، قد تقدم أبو تمام الى سبك نضارها ، وافتضاض أبكارها ، وجرى البحترى على وتيرته فى انتزاع أمثالها واتباعها ، فأما قوله :

«عارضننا أصلا فقلنا الربرب» فمن قول أبى جويرية العبدى

سلمن نحوى للوداع بمقلة * فكأنما نظرت الينا الربرب

وقرأن بالحدق المراض تحيةً * كادت تكلمنا وان لم تعرب

وأما قوله فى صفة الغيث مخاطبا للدار : (وجاءك يحكى يوسف بن محمد)

وقوله فى هذا المعنى : (لو جدت جود بنى يزداد لم تزد)

فمن قول أبى تمام

وبيوتها فى القلب نُؤْىٌ شفهُ * ولهٌ بظاعنها وبالمتخلّف[1]

وكأنما استسقى لهن محمد * من سوبهن من الحيافى زخرفِ

ومن قوله الذى تقدم فيه كل أحد لفظا رشيقا ومعنى رقيقا

ديمة سمحة القياد سكوبُ * مستغيث بها الثرى المكروبُ

لوسعت بقعة لإعظام نعمى * لسعى نحوها المكان الجديب

---

(١) الظاعن الراحل ، والمتخلف المقيم

(ومن هنا) أخذ البحترى (لسعى اليك المنبر) وأما قوله

كأن سناها بالعشىّ لصحبها * تبلّج عيسى حين يلفظ بالوعد

فانما نظر فيه الى قول دعبل بن على

وميثاء خضراء زربية * بها النوْر يلمع فى كل فن[1]

ضحوكا اذا لاعبته الرياح * تأود كالشارب المرجحن[2]

فشبه صحبى سنانَورها * بديباج كسرى وعُصب اليمن

فقلت فعدتم ولكننى * أشبهه بجناب الحسن

فتى لا يرى المال الا العطاء * ولا الكنز الا اعتقاد المنن

وأما قوله فى صفة الغوانى (يسير ضافى وشيها وينمنم) وقوله فى وصفها (وتخال الوشى فيه منمنما) فمن قول أبى تمام

حلوا بها عُقد النسيم ونمنموا * من وشيها نشرا لها وقصيدا

ومن قوله الذى أبدع فيه

ووالله لاأنفك اهدى شوارداً * اليك تحمّلن الثناء المبجلا

تخال به برداً عليك محبراً * وتحسبه عقدا عليك مفصلا

ألذ من السلوى وأطيب نفحةً * من المسك مفتوقاً وأيسر محملا

أخف على قلبى وأثقل قيمةً * وأقصر فى قلب الجليس وأطولا

وقول البحترى

هى الأنجم اقتادت مع الليل أنجما

مأخوذ من قول أبى تمام مقصراً عنه كل تقصير عن استيفاء احسانه حيث يقول

أصخ تستمع حر القوافى فانها * كواكب الا انهن سعود

ولا يمكن الإخلاق منها فانما * يلذ لباس البرد وهو جديد

فهذه خصال صاحبك فيما عددته من محاسنه التى هتكت بها ستر عواره ،

---

(١) الميثاء . الأرض السهلة ، والزربى من النبت ما اصفر أو احمر وفيه خضرة

(٢) المرجحن : المترنح

ونشرت مطوى أسراره ، حتى استوضحت الجماعة ان احسانه فيها عارية مرتجعة ، ووديعة منتزعة ، فاسمع ما قال أبو تمام فى نحو أبياتك التى أوجبت الفضل لصاحبك حين قال مبتدئا

لا أنتِ أنتِ ولا الديار ديارُ * خفَّ الهوى وتقضت الأوطارُ
كانت مجاورة الطلول وأهلها * زمناً عذاب الوِرد فهى بحار

وقوله

رقت حواشى الدهر فهى تمرمرُ * وغدا الثرى فى حَلْيه يتكسرُ

وقوله

أرأيت أى سوالف وخدود * عنَّت لنا بين اللوى وزَرود

وهل يستطيع أحد أن يبتدئ بمثل ابتدائه :

طللَ الجميع لقد عفوت حميدا * وكفى على رددى بذاك شهيدا
دِمنٌ كأن البين أصبح طالبا * ديناً لدى آرامها وحقودا

أو مثل قوله مبتدئا

يا دارُ درَّ عليك أرهام الندى * واهتز عودك للثرى فتأودا
وكسيت من خِلع الحيا مستأسِداً * أُنفاً يغادر وحشه مستأسدا

أو مثل قوله مبتدئاً

غدت تستجير الدمع خوف نوى غدِ * وعادَى قتادى عندها كل مُرقدِ
فأذرى لها الاشفاق دمعاً مورداً * من الدم يجرى فوق خد مورّد

(ولقد أحسن حين ابتدأ فقال)

نَوارٌ فى صواحبها نوارُ * كما فاجاك سِربٌ أو صُوار[1]
تكذَّب حاسد فنأت قلوبٌ * أطاعت واشياً ونأت ديار

وحيث يقول

ما فى وقوفك ساعةً من باسِ * تقضى زمام الأربُع الأدراسِ

(١) الصوار قطيع البقر ، والسرب قطيع الغزلان

فلعلّ عينك أن تجود بدمعها * والدمع منـه خاذلٌ ومواسى

وحيث يقول

ما عَهِدْنا كذا نحيب المشُوقِ * كيف والدمع آية المعشوقِ

وحيث يقول

دِمَنٌ ألمّ بها فقال سلامُ * كم حل عقدة صبره الالمامُ

نحرت ركاب الركب حتى يعبروا * رجلاوقد حَنَقوا علىّ ولاموا

وحيث يقول

أما الرسوم فقد أدركن ما سلفا * فلا تكِفَنَّ على شانيك أو يكفا

لا عذر للصب أن يفنى السلوّ ولا * للدمع بعـد مضىّ الحى أن يقفا

ومن اقتضاباته البديعة قوله

لهان علينا أن نقول ونفعلا * ونذكر بعض الفضل منك وتفضلا

وقوله أيضاً مقتضبا

الحق أبلج والسيوف عَوارِ * فحذارِ من أسد العَرِين حذارِ

ومما تقدم فيه كل أحد فى حسن التخلص الى المدح قوله

إساءةَ الحادثات استبطِئى نفقا * فقد أظلّك احسان ابن حسانِ

وقوله

اذا العيس لاقت بى أبا دلفٍ فقد * تقطّع ما بينى وبين النوائب

وقوله

لم يجتمع قط فى مصر ولا طرف * محمد ابن أبى مروان والنُّوَبُ

وقوله المنقطع دونه كل قول فى هذا المعنى

إن الذى خلق الخلائق قاتها * أقواتها لتصرّف الأحراسِ

فالأرض معروف السماء قِرًى لها * وبنو الرجاء لهم بنو العباس

القوم ظل الله أسكن دينهُ * فيهم وهم جبل الملوك الراسى

وقوله

عامى وعام العيس بين تنوفةٍ * مسجورةٍ ووديقةَ صيهودِ (١)
حتى أغادر كل يوم بالفلا * للطير عيداً من بنات الغيد
هيهات منها روضةٌ محمودةٌ * حتى تناخ بأحمدَ المحمود
بمعرس العرب الذى وَجَدَت به * أمن المرُوع ونجدة المنجودِ

ومن أبدع ابتدائه قوله

سقى ديارهمُ أجشُّ هزيمُ * وغدت عليهم نضرةٌ ونعيمُ (٢)
جادت معاهدَهم عِهادُ سحابةٍ * ما عهدها عنـد الديار ذميمُ

ثم تخلص الى المدح فقال وأحسن كل الاحسان :

لا والذى هو عالم ان النوى * مُرٌّ وأن أبا الحسين كريمَ
ما حُلت عن سَنن الوداد ولا غدت * نفسى على إلف سواك تحوم

ثم عاد الى المدح فقال

لمحمد بن الهيثم بن شبابةٍ * مجدٌ الى حيث السّماك مقيم
ملك اذا قست الندى فى ملتقى * طرفَيْه فهو أخٌ له وحميم

وأبو تمام الذى وصف القوافى بما لم يستطع وصفها به أحد فقال

فان أنا لم يحمدك عنىَ صاغراً * عدوك فاعلم اننى غير حامدِ
بسيّاحة تنساق من غير سائق * وتنقاد فى الآفاق من غير قائد
محبّبة ما ان يزال نِزالها * الى كل أفق وافدٍ غير وافدِ
مخلّقة لمـا ترد أذن سامع * فتصدر الا عن يمين وشاهدِ

والذى قال أيضاً فى صفتها

جاءتك من نظْم اللسان قلادةٌ * سِمْطان فيها اللؤلؤ المـكنونُ

---

(١) الصيهود : الفلاة لاينال ماؤها ، والوديقة شـدة الحر ، والتنوفة الصحراء والمسجورة الموقدة

(٢) الاجش : الغليظ الصوت ، والهزيم الرعد الشديد الصوت

أنسية وحشية كثرت بها * حركات أهل الأرض وهي سكون

جُليت جلاء الحضرمية أرهفت * وأجادها التحصين والتلسين

ينبوعها خضلٌ وَحَلْيُ قريضها * حَلْيُ الهدى ونسيجها مَوْضُون[1]

قد حاكها صَنَع الضمير يمده * حَسَبٌ اذا نضب الكلام معين

أما المعاني فهي أبكار اذا * نصّت ولكن القوافيَ عُون

وقد أبدع في وصفها فقال

لم أبق حلية منطق الا وقدْ * سبقت سوابقها اليك جيادي

أبقين في أعناق جودك جوهرا * أبقى من الاطواق في الاجياد

هل يستطيع أحد أن ينسب هذا أو شيأ منه الى السرقة والاختلاس؟ وهل يستطيع مماثلته بشئ من شعر البحتري أو اشعار المحدثين في عصره ومن قبله؟ فعي عن الجواب قصوراً، وأحجم عن المساجلة تقصيرا، وحكمت الجماعة لي بالقهر، وعليه بالنصر، ولم ينصرف عن المجلس حتى اعترف بتقديم أبي تمام في صنعة البديع واختراع المعاني، على جميع المحدثين. وكان يوماً مشهودا

اختيار المغنى الجميل

وقال ثمامة بن أشرس: كنت عند المأمون يوماً فاستأذن الغلام لعمير المأمون فكرهت ذلك، ورأى المأمون الكراهية في وجهي، فقال يا ثمامة مابك؟ فقلت يا أمير المؤمنين اذا غنى عمير، ذكرت مواطن الابل، وكثبان الرمل، واذا غنتنا فلانة انبسط أملي، وقوى جذلي، وانشرح صدري، وذكرت الجنان والولدان، كم بين أن تغنيك جارية غادة، كأنها غصن بان، ترنو بمقلة وسنان، كأنما خلقت من ياقوتة، أو خرطت من فضة، بشعر عكاشة العمي حيث يقول

من كف جارية كأن بنانها * من فضة قد طوّقت عنابا

فكأن يمناها اذا ضربت بها * ألقت على الكف الشمال حسابا

---

(١) موضون: محكم

وبين أن يغنيك رجل كث اللحية ، غليظ الاصابع ، خشن الكف ، بشعر ورقاء ابن زهير حيث يقول

رأيت زهيراً تحت كلكل خالد * فأقبلت أسعى كالعجول أبادره(١)

وبين أن يحضرك من تشتهي النظر اليه ، ومن لا يقف طرفك عليه ؟ فتبسم المأمون وقال الفرق بينهما واضح ، والمنهج فسيح ، ياغلام لا تأذن له ، وأحضر أطيب قيناته ، فظللنا في أمتع يوم .

عكاشة بن عبد الصمد

وعكاشة هذا هو عكاشة بن عبد الصمد البصري ، ظريف الشعر ، نقي الديباجة ، وكان شاعرا مجيداً . وقد أخذ معنى قوله أبو العباس الناشئ وزاد فيه فقال

واذا بصُرت بكفها اليسرى حكت * يد حاسب تلقى عليك صنوفا

وكأنما المضراب في أوتاره * قلم يعجمج في الكتاب حروفا

ويجيبه ابهامها فكأنما * في النقر تنفي بهرجا وزيوفا

أخذ هذا البيت من قول أبي شجرة السلمي وذكر ناقته

تطير عنها حصى الفران من بلد * كما توقد عند الجهبة الورق

وأصله قول امرئ القيس

كأن صليل المسرجين تشده * صليل زيوف ينتقدن بعبقرا

وقال أبو الفتح كشاجم

لو لم تحركه أناملها * كان الهواء يفيده نطقا

جسته عالمة بحالته * جس الطبيب لمدنف عرقا

غنت فخلت أظنني طربا * أسعى الى الافلاك أو أرقى

وحسبت يمناها تحركها * رعدا وخلت يسارها برقا

---

(١) العجول : الثكلى والواله من الابل والنساء

وصف الغناء

وأنشد الحاتمى لابى بكر الصولى :

وغناء أرق من دمعة الصب * وشكوى المتيم المهجورِ
شُغِلَ المرء منظرٌ ثم نطقٌ * فهو يصغى بظاهر وضميرِ
صافح السمع بالذى يشتهيه * وأذاق النفوس طعم السرور
ليس بالقائل الضعيف اذاما * رام نغما ولا شنيع الجهير

وقال أبو نواس :

وأهيف مثل طاقة ياسمينٍ * له حظان من دنيا ودينِ
يحرك حين يشدو ساكنات * فتنبعث الطبائع للسكون

وهذا مليح : يريد حركة الجوانح للغناء ، وسكون الجوارح للسماع . وقال الحمدونى يصف عوداً :

وناطق بلسان لا ضمير لهُ * كأنه فخذ نيطت الى قدمِ
يبدى ضمير سواه للقلوب كما * يبدى ضمير سواه منطق القلم

صفات القيان

ومن أحسن ما قيل فى صفة القيان قول ابن الرومى :

وقيان كأنها أمهاتٌ * عاطفات على بنين حوانى
مُطْفلات وما حملن جنيناً * مرضعات ولسنَ ذات لبانِ
ملقمات أطفالهن ثديا * ناهداتٍ كأحسن الرمان
منعمات كأنها حافلات * وهى صِفر من درّة الألبان
كل طفل يدعى بأسماء شتى * بين عود ومزهر وكِران
أمه دهرَها تترجم عنــهُ * وهو بادى الغنى عن الترجمان

وقال أبو الفتح كشاجم :

جاءت بعود كأن نغمتهُ * صوت فتاة تشكو فراق فتى

محفف حفّت العيون بهِ * كأنما الزهر حوله نبتا
دارت ملاويه فيه فاختلفت * مثل اختلاف اليدين مذ ثبتا
لو حركته وراء منهزم * على بريد لعاج والتفتا

كيف المتاب

وقال :

يقولون تب والكاس فى كف أغيد * وصوت المثانى والمثالث عالى
فقلت لهم لو كنت أزمعت توبةً * وشاهدت هذا فى المنام بدالى

دلال القيان

وقال :

أفدى التى كلف الفؤاد من اجلها * بالعود حتى شفّنى إطرابا
تاهت بجمع صناعتين وأظهرت * كبرا بذاك وأعجبت اعجابا
قالت فضلتك بالغناء وأنت لا * تشدو وكنا مثلكم كتّابا
فعنيت بالاوتار حتى لم أدع * نغما ولم أعقل لهنّ حسابا
وألفتها فأغار ذاك على يد * قلبى وعاتبها عليه عتابا
فجعلت للقرطاس جانب صدره * وجعلت جانب عجزه مضرابا

وقال :

جاءت بعود كأن الحب أنحلهُ * فما يرى فيه الا الوهم والشبَحُ
فحركته وغنت بالثقيل لهُ * صوتاً به الشوق فى الاحشاء ينقدح
بيضاء يحضر طيب كلما حضرت * فان نأت عنك غاب اللهو والفرح
كل اللباس عليها مَعْرِضٌ حسنٌ * وكل ما تتغنى فيه مقترَح

(هذا من قول ابن المعتز)

وغنت فأغنت عن المسمعيـ * ـن وارتجّ بالطرب المجلسُ
محاسنها نزهة للعيون * ومَعرِضها كل ما تلبس

بحة الصوت

(وقال أيضاً)

اشتهي في الغناء بحة حلق * تام الصوت متعب مكدودِ
كأنين المحب أضعفه الشو * ق فضاهي به أنين العود
لا أحب الاوتار تعلو كالا * أشتهي الضرب لازماً للعود
وأحب المحننات كحبي * للمبادي موصولة بالشيد
كهبوب الصبا توسط حالا * بين حالين شدة وركود

(وقال)

آه من بحة بغير انقطاع * لفتاة موصولة الايقاع
أتعبت صوتها وقد يُجتنى من * تعب الصوت راحة الاسماع
فغدت تكثر الشجاج وحطت * طبقات الاوتار بعد ارتفاع
كأنين المحب خفّض منهُ * صوتَ شكواه شدةُ الاوجاع

وقال بعض أهل العصر وهو أبو الحسن بن يونس :

غنت فأخفت صوتها في عودها * فكأنما الصوتان صوت العودِ
غيداء تأمر عودها فيطيعها * أبداً ويتبعها اتباع ودود
أندى من النُّوَّار صُبحاً صوتها * وأرق من نشر الثنا المعهود
فكأنما الصوتان حين تمازجا * ماء الغمامة وابنة العنقود

أبو الحسن بن يونس

وأبو الحسن هذا هو أبو علي بن عبد الرحمن بن احمد بن يونس بن عبد الاعلى صاحب عبد الله بن وهب الفقيه ، وكان لأبي الحسن في الشعر مذهب حسن ، وطبع صحيح ، وحَوْك مليح ، وكان عالماً بالنجوم ومايتعلق بها من علوم الاوائل وهو القائل

سقى الله أكناف اللوى كلما سقى * بضرب من المزن الكنهور هامل [1]
اذا نشرت ريحٌ جُمانَ سحابةٍ * غدا وهو حَلْيٌ للرياض العواطلِ
به وجد وعد ليس بين جوانح * ووسواس وَدْق ليس بين مفاصل
اذا كان خد البرق يلمس نبتهُ * تلقّاه دُرُّ النَّور فوق الخمائل

فضل المرآة

(وقال وذكر غلاما)

فجرى النسيم على غلائل خدهِ * وأرق منه ما يمر عليهِ
ناولته المرآة ينظر وجههُ * فعكست فتنة ناظريه اليهِ

(وقال ابن المعتز وذكر المرآة)

فبينتني لى كلما رمت نظرةً * وناصحتنى من دون كل صديق
يقابلنى منك الذى لا عدمتهُ * بلجة ماء وهو غير غريقِ

(وقال أبو الفتح كشاجم يصف مرآة أهداها)

أخت شمس الصفاء فى الحسن والاشـ * ـراق غـير الاعشاء للاجفان
ذات طوق مشرف من لجين * أجريت فيـه صفرة العقيان
فهو كالهالة المحيطه بالبد * ر لست مضين بعد ثمان
وعلى ظهرها فوارس تلهو * ببزاة تعدو على غزلان
لم يكن قبلها من الماء جرم * حاض فى نفسه بغير أوان
عدلت عكسها الشعاع فبدا * ه اليها ورجعه سيّان
وهى شمس وان مثالك يوماً * لاح فيها فانها شمسان
أينما قابلت مثالك من أر * ض ففيها تقابل النيران
فالقها منك بالذى ما رآه * خائب فانثنى بغـير أمان

---

(١) الكنهور : السحاب المتراكم

مدح الغناء

ومن ألفاظ أهل العصر فى مدح الغناء :

غناؤه كالغنى بعد الفقر ، وهو جبر للكسر ، يبسط أسرة الوجه ، ويرفع حجاب الاذن ، ويأخذ بمجامع القلب ، ويحرك النفوس ، ويرقص الرؤس — فلان طبيب القلوب والاسماع ، ومحيي موَات الخواطر والطباع ، يطعم الآذان سروراً ، ويقدح فى القلوب نوراً — القلوب من غنائه على خطر ، فكيف الجيوب ! السكر على صوته شهادة — كل ما يغنيه مقترَح — لغنائه فى القلوب مواقع القطر فى الجدب — نغمة نغمته تطرب ، وضروب طربه لا تضرب — وقبل السماع منفهة الاسماع ، وأدام المدام

فضل الاقلام

أهدى بعض الكتاب الى أخ له أقلاماً وكتب اليه : انه أطال الله بقاءك ، لما كانت الكتابة قِوام الخلافة ، وقرينة الرياسة ، وعقود المملكة ، وأعظم الأمور الجليلة قدرا ، وأعلاها خطراً ، أحببت ان أتحفك من آلاتها بما يخف عليك محمله ، وتثقل قيمته ، ويكثر نفعه ، فبعثت اليك أقلاماً من القصب النابت فى الاعداء ، المغذو بماء السماء ، كاللآلئ المكنونة فى الصدف ، والأحجار المحجوبة بالصدف ، تنبو عن تأثير الأسنان ، ولا يثنيها غمز البنان ، قد كستها طباعها جوهراً كالوشى الخطير ، والفرقد المنير ، فهى كما قال الكميت

وبيضٍ رقاقٍ صِحاح المتو * ن تسمع للبيض فيها صريرا

منهّدة من عتاد الملوك * يكاد سناهنّ يُعشى البصيرا

وكقدح النبل فى ثقل أوزانها ، وقضب الخيزران فى اعتدالها ، ووشيج الخط فى اطرادها ، تمر فى القراطيس كالبرق اللائح ، وتجرى فى الصحف كالماء السائح ، أحسن من العقيان ، فى نحور القيان

الاقلام القصبية

وكتب عبيد الله بن طاهر الى اسحق بن ابراهيم من خراسان الى بغداد يسأله أن يوجه اليه بأقلام قصبية : أما بعد فانا على طول الممارسة لهذه الصناعة التى غلبت على الاسم ، ولزمت لزوم الرسم ، فحلت محل الانساب ، وجرت مجرى الألقاب ، وجدنا الأقلام القصبية أسرع فى الكواغد ، وأمر فى الجلود ، كما أن البحرية منها أملس فى القراطيس ، وألين فى المعاطف ، وأكل عن تمزيقها ، والتعلق بما ينبو عن شظاياها ، ونحن فى بلاد قليلة القصب ، ردىء ما يوجد بها منه ، فأحببت أن تتقدم باختيار أقلام قصبية ، وتتأنق فى انتقائها قبلك ، وطلبها فى منابتها ، من شطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن تتيمم باختبارك منها الشديدة المجس ، الصلبة المعض ، الغليظة الشحوم ، المكتنزة الجوانب ، الضيقة الأجواف ، الرزينة الوزن ، فانها أبقى فى الكتابة ، وأبعد من الحفاء ، وان تقصد بانتقائك منها الرقاق القضبان ، اللطاف المنظر ، المقومات الأود ، الملس العقد ، ولا يكون فيها عوج ، ولا أمت ، وضم الصافية القشور ، الخفية الابر ، الحسنة الاستدارة ، الطويلة الأنابيب ، البعيدة ما بين الكعوب ، الكريمة الجواهر ، المعتدلة القوام ، تكاد أسافلها تهتز من أعلاها ، لاستواء أصولها برؤسها ، المستكملة يبسا القائمة على سوقها ، قد تشرب الماء فى لحائها ، وانتهت فى النضج منتهاها ، لم تعجل عن تمام مصلحتها ، وإبان ينعها ، ولم تؤخر فى الأيام المخوفة عاهاتها ، من خصر الشتاء ، وعفن الندى ، فاذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعا ذراعا ، قطعاً رقيقاً تتحرز معه أن تتشعث رؤسها ، وتنشق أطرافها ، ثم عبأت منها حزماً فيما يصونها من الأوعية ، وعليها الخيوط الوثيقة ، ووجهتها مع من تحتاطه فى حراستها وحفظها وايصالها ، اذا كان مثلها يتوانى فيها ، لقلة خطرها عند من لا يعرف فضل جوهرها ، واكتب معه بعدتها وأصنافها وأجناسها وصفاتها ، على الاستقصاء ، من غير تأخير ولا ابطاء

فأجابه ووجه اليه مع الأنابيب : أتانى كتاب الأمير أعزه الله تعالى بما أمرني به ، وخصه من البعث بما شاكل نعته ، وضاهى صفته ، من أجناس الاقلام ، فسمت بغيته قاصـداً لها ، وانتهجت معالم سبله آخذا بها ، فأنفذت اليه حزماً انشئت بلطيف السقيا ، وحسن العهد والبغيا ، لم تعجل بأخراجها ، ولا بوردت قبل ادراكها ،فهى مستوية الانابيب معتدلتها ، مثقفة الـكعوب مقومتها. لاترى فيها أمت ولا عوج ، وقدرجوت أن يجدها الامير عند ارادته حسب بغيته

وصف القلم

ومن كلام أبي منصور بن عمار فى صفة القلم ويقال إنه لسليمان بن الوليد الـكاتب : أوليس من عجائب الله فى خلقه ، وانعامه على عباده ، وتعليمه إياهم ، الـكتاب المفيد للباقين حكم الماضين ، والمخاطب للعيون بسرائر القلوب ، على لغات مختلفة ، بمعان مفرقة معقودة ، وأحرف مقلوبة ، من ألف وباء ، وجيم وتاء متباينات الصور ، مختلفات الجهات ، لقاحها التفكير ، ونتاجها التأليف ، تخرس مفردة ، وتنطق مزدوجة ، بلا أصوات مسموعة ، ولا ألسن محدودة ، ولا حركات ظاهرة ، بل قلم حرف باريه قطّته ، ليعلق المداد به ، وأرهف جانبيه ليرد ما انتشر عنه اليه ، وشق فى رأسه ليحتبس الامداد عليه ، ورفع من شعبتيه لتجمع حواشى تصويرها ، فهنالك روى القلم فى شقه ، وقذف المادة الى صدره ، فاذا علقتها العيون حكتها الألسن ، فالقلوب حينئذ راعية ، والآذان واعية ، لـكلام سدّاه العقل ، وألحمه اللسان ، وأدته اللهوات ، ولفظته الشفاء ، ووعته الآذان ، على اختلاف انحاء من صفات واسماء ، فتبارك الله أحسن الخالقين

أبو اسحق البحترى

جملة فصول من رسالة كتبها بعض أهل العصر ، وهو أبو اسحق ابراهيم ابن عبد الله البحترى فى القلم الى ابن عمران بن رباح

انه لما كان القلم مطية الفكر والبيان ، ومخرج الضمير الى العيان، ومستنبطاً بأنواره ظلم الجنان الى نور البيان ، ومريح الفطن العوازب ، وجالب الفكر الغرائب ، ومفرق الجلائب ، وعماد السلام ، وزناد الحرب، ويد الحدثان ، وخليفة اللسان، ورأس الادوات ، التى خص الله بها الانسان ، وشرفه بها على سائر الحيوان ومركباً لا آلة تقدمت كل آلة، وحكمة سبقت فى الانسان كل حكمة ، وقياماً لهندسة عقلية ، ومصدرا لعقل العاقل ، وجهل الجاهل. الناقل الينا حكم الاولين ، وحاملها عنا الى الآخرين ، الحافظ علينا أمر الدنيا والدين ، أول شىء خلقه الله وأمره فسبحه ، وقدسه ، ومجده ، وحمده ، وسجد له ، فكان من فرسان خيولهم ، وكنت عميدهم ، واقران نصر عليهم ، وأنت صنديدهم ، وميدان كنت زينه ، ومضمار كنت عينه ، وحلية كنت سابقها ، ومعجزها ، وغاية كنت مالكها ، ومحرزها ، ورمت بى الايام الى معدنه الذى كلفت به وعنيت بطلبه ، فانفردت منه بقدح فذ، أوحد ، فرد فى منبته ، قد ساعدت عليه السعود فى فلك البروج حولا كاملا، مؤلفة مختلفة أركانها وطباعها، ومتباينة ألوانها وانحاؤها، ومؤيد بقواها وجواهرها. حتى غذته عرقا فى الثرى معرقاً، وأرضعته ناجماً ، وسقته مكعباً وأروته مقصباً ، واظمأته مكتهلا ، ولوحته مستحصداً ، وجللته بهاءها ، وألقت عليه عنوانها وأودعته اعراقها وأوراقها وأخلاقها ، حتى اذا شق بازله ، ورقت شمائله، وابتسم من غشائه ، ونادى من لحائه ، وتعرى عن حر المصيف ، بانقضاء الخريف وانكشف عن لون البيض المكنون، والصدف المخزون، ودر البحار، وفتات الجمار نرى منه نقوة العاج ، وبيضة الديباج ، وقميص الدرر بطراز النساج ، فاجتمعت له زينة الايدى البشرية ، الى الايدى العلوية والانساب الارضية ، الى الانساب السماوية ، فلما قادته السعادة الى أرته نسيج وحده فى الاقلام ، رأيت أولى الناس به نسيج وحده فى الانام ، فآثرتك به مؤثراً للصنيعة ، عالماً أن زين الجياد فرسانها ، وزين السيوف أقرانها ، وزين بزة لابسها ، وزين أداة ممارسها ،

فالآن أعطيت القوس باريها ، وزناد المكارم موريها ، والصيامة مصلتها ، والقناة معملها ، وحلة المجد لابسها

بديهته فى مجلس كافور الاخشيدى

وكان البحترى جيد الروية والبديهة فى نظمه ونثره ، جيد التصنيف ، مليح التأليف ، وكان يوماً عند أبى المسك كافور الاخشيدى فدخل عليه أبو الفضل ابن عياش فقال : أدام الله أيام سيدنا الاستاذ ، بالخفض ، فتبسم كافور الى أبى اسحق فقال ارتجالا

لا غَرْوَ إن لحن الداعى لسيدنا * وغُصّ من هيبة بالريق والبهرِ
فمثل سيدنا حالت مهابتهُ * بين البليغ وبين القول بالحصَر
فان يكن خفض الايام من دهشٍ * من شدة الخوف لا من قلة البصر
فقد تفاءلت فى هذا لسيدنا * والفال مأثرة عن سيد البشر
بأن ايامه خفض بلا نَصَبٍ * وأن دولتــه صفو بلا كدر

فأمر له بثلثمائة دينار ولابن عياش بمائتين .

وقال حماد الدمشقى يصف قلماً

للأيم بعثته وشق لسانهِ * وله اذا لم يجرها إطراقهُ
كالحية النضناض إلا أنهُ * من حيث يجرى سمه درياقه

العتابى والاصمعى

قال العتابى سألنى الاصمعى فقال أى الأنابيب أصلح للكتابة ، وعليها أصبر ؟ فقلت مانشف بالهجير ماؤه ، وستر عن تلويحه غشاؤه ، من التبرية القشور الدرية الظهور ، الفضية الكسور ، قال فأى نوع من البرى أكتب وأصوب ؟ قلت البرية المستوية القط ، عن يمين شقها برية ، تأمن معها المجة عند الخط ، الهواء

فى شقها فتيق ، والريح فى جوفها حريق ،والمداد فى خرطومها رقيق ، قال فصار الاصمعى شاخصاً إلىّ ضاحكا لايحير مسئلة ولا جوابا

مواهب العتابى

والعتابى هو كلثوم بن عمرو بن الحرث التغلبى يكنى أبا عمرو ، قال الجاحظ كان العتابى ممن اجتمع له الخطابة ، والبيان ، والشعر الجيد ، والرسائل الفاخرة وعلى ألفاظه وحذوه يقول فى البديع جميع من يتكلف ذلك من الشعراء المولدين كنحو منصور النميرى ، ومسلم بن الوليد الانصارى ، وأشباههما ، وكان العتابى يحذو حذو بشار فى البديع ، ولم يكن فى المولدين أجود بديعاً من بشار وابن هرمة — والعتابى من ولد عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن أسيد ولذلك قال

انى امرؤ هدم الإقتار مأثرتى * واجتاح ما أبدت الأيام من خطرى

انى ابن عمرو بن كلثوم يسوّدهُ * حيًّا ربيعةَ والاحياء من مضر

أرومة عطّلتنى من مكارمها * كالقوس عطلها الرامى من الوترِ

وكان صاحب بديهة فى المنظوم والمنثور ، حسن العقل والتمييز ، والعرب تقول من تمنى رجلا حسن العقل ، حسن البيان ، حسن العلم ، تمنى شيئاً عسيراً . وقد اجتمع ذلك كله للعتابى (وعاتبه) يحيى بن خالد على لباسه ، وكان لا يبالى أى ثوبية ابتذل ! فقال أبعد الله رجلا يرى أن يكون جماله فى لباسه ، وعطره. انما ذلك حظ النساء ، وأهل الأهواء ، حتى يرفعه أكبراه همته ولبه ، ويعلو به معظماه لسانه وقلبه . ودخل على الرشيد فقال تكلم ياعتابى ! فقال الايناس قبل الابساس، لايمدح المرء بأول صوابه ، ولا يذم بأول خطئه ، لانه بين كلام زوّره أوعىٍّ حصره .

زهده في طيبات الحياة

وذكر أبو هفان أن الرشيد لقيه بعد قتل جعفر بن يحيى وزوال نعمته فقال ما أحدثت بعد ياعتابي ؟ فأنشده ارتجالا

تلوم على ترك الغنى باهليةٌ * طوى الدهر عنها كل طرف وتالدِ
رأت حولها النسوان يرفلن في الكسا * منظمة أجيادها بالقلائد
يسرك انى نلت ما نال جعفرٌ * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أعظَّني * معظَّهما بالمرهفات البوارد
فان رفيعات المعالى مشوبةٌ * بمستودعاتٍ في بطون الاساود

انحرافه عن البرامكة

وكان منحرفاً عن البرامكة وفيهم يقول :

ان البرامك لا تنجيك أنجية * بصنجة الدين من نجواهم نَدَبُ
تصرّمت حجج منهم ومُنْصُلهم * مضرّج بدم الاسلام مختضب

زيارة بن طاهر للعتابي

واجتاز عبد الله بن طاهر بالرقة بمنزل العتابي ، فقال: أليس هذا منزل كلثوم ابن عمرو ؟ قيل نعم ، فثنى رجله ، ودخل اليه ، فألفاه جالسا في بيت كتبه ، فحادثه وذاكره ، ثم انصرف . فتحدث الناس في ذلك وقالوا : ان الأمير لم يقصده ، وانما اجتازه فأخطره ذلك الزيارة ، فكتب اليه :

يا من أفادتني زيارتهُ * بعد الخمول نباهة الذكرِ
قالوا الزيارة خَطْرةٌ خطرت * ومجاز خطْرك ليس بالخطر
فادفع مقالتهم بثانيةٍ * تستنفد المجهود من شكرى

لا تجعلن الوتر واحدةً * ان الثلاث تتمة الوترِ

فبعثته الأبيات الى أن زار ثلاثة

ميل العتابى الى المأمون

وكان يميل الى المأمون ، فلما خرج المأمون الى خراسان شيعه حتى وصل معه الى سندان كسرى ، فقال له المأمون : سألتك بالله يا عتابى الا عملت على زيارتنا إن صار لنا من هذا الأمر شىء ، فلما ولى المأمون الخلافة ، ودخل بغداد سنة أربع ومائتين توصل اليه العتابى ، فلم يمكنه الوصول ، فقال للقاضى يحيى بن أكثم : ان رأيت أن تعلم أمير المؤمنين بمكانى ! فقال لست بحاجب ! قال قد علمت ، ولكنك ذو فضل ، وذو الفضل معوان ! فقال سلكت بى غير طريقى ! قال ان الله تعالى ألحقك بجاه ونعمة ، وهما يقيمان عليك بالزيادة ان شكرت ، والتغيير ان كفرت ، وأنا اليوم لك خير منك لنفسك ، أدعوك لما فيه زيادة نعمتك ، وأنت تأبى ذلك ، ولكل شىء زكاة ، وزكاة الجاه بذله للمستعين ، فدخل يحيى على المأمون فقال : أجرنى من لسان العتابى ، فلها عنه ، ولم يأذن له ، فلما طال عليه كتب له :

ما على ذلك افترقنا بسندا * ن ولا هكذا عهدنا الاخاءَ

لم أكن أحسب الخلافة يزدا * د بها ذو الصفاء الاصفاء

تضرب الناس بالمثقفة السُّمْ * رِ على غدرهم وتنسى الوفاءَ

يعرِّض بقتله لأخيه على غدره ، ونكثه لما عقد الرشيد ، فلما قرأ المأمون الأبيات أمر ان يدخل عليه فلما سلم قال : يا عتابى بلغتنى وفادتك فسرتنى ، وقد كانت بلغتنى وفاتك فساءتنى ، وانى لحرىّ بالغم لبعدك ، والسرور لقربك ! فقال يا أمير المؤمنين : لو قسم هذا الكلام على أهل الارض لوسعهم عدلا ، وأعجزهم شكراً ، وان رضاك لغاية المنى ، لأنه لادين الا بك ، ولا دنيا الامعك ،

قال سلنى ، قال يدك بالعطية أطلق من لسانى بالمسئلة ، فأمر له بخمسين ألفا

وداعه لجاريته

وقال وودع جارية له :

ماغَناء الحذار والإشفاقِ * وشآبيب دمعك المهراقِ
ليس يقوى الفؤاد منك على الصد ولا مقلتا طليح المآقى
غدرات الأيام منتزعاتٌ * ماغنمنا من طول هذا العناق
ان قضى الله أن يكون تلاقٍ * بعد ما ترأيين كان تلاقِ
هوّنى ماعليك وأقنىْ حياءً * لست تبقين لى ولست بباقِ
أينا قدّمت صروف المنايا * فالذى أخّرت سريع اللحاقِ
ويد الحادثات رهن بمُرّا * تٍ من العيش خادعات المذاق
غرّ من ظن أن تفوت المنايا * وعُراها قلائد الأعناق
كم صفيّين مُتّعا باتفاقٍ * ثم صارا لغربة وافتراقِ
قلت للفرقدين والليل ملقٍ * سُود أكنافه على الآفاقِ
ابقيا ما بقيتما سوف يُرمى * بين شخصيكما بسهم الفراقِ
بينما المرء فى غضارة عيش * وصلاح من أمره واتفاق
عطفت شدة الزمان فأدتـــــه الى فاقة وضيق الخناق
لا يدوم البقاء للخلق لـكنْ * ن دوام البقاء للخلاق

مدحه للرشيد

وقال فى الرشيد

إمامٌ له كف تضم بنانها * عصا الدين ممنوعاً من البَرْى عودها
وعين محيط بالبرية طرفها * سواء عليها قربها وبعيدها

وقال فيه

رعى أمة الاسلام فهو امامها * وأدى اليها الحق فهو معينها

مقيم بمستن الفلاحيث يلتقي * طوارق أبكار الخطوب وعونها

اعتذار العتابى

وكان منصور النميرى سعى به الى الرشيد نخافه ، فهرب الى بلد الروم ، وله قصائد يعتذر فيها جيدة مختارة ، وهو مشبه فى حسن الاعتذار بالنابغة الذبيانى ، ومن جيد قوله اعتذاره للرشيد ، ويقال بل قالها على لسان عيسى بن موسى الهاشمي يخاطب الرشيد

جعلت رجاء العفو عذراً ونهيةً * بهيئة اما غافر أومعاتبِ
وكنت اذا ماخفت حادث تبرةٍ * جعلتك حصناً من حذار النوائب
فأترك من هجرانك اليأس بعدما * حللت بواد منك رحب المشاربِ
أظل ومرعايَ الجديب مكانه * وآوى الى حافات أكدرَ ناضب
ولم يثن عن نفسى الردى غير انها * تثوب بساق عن رجائك نائب
هى النفس محبوسٌ عليك رجاؤها * مقيدة الآمال دون المطالب
وتحت ثياب الصبر منى ابن لوعةٍ * يظل ويمسى مستلين الجوانب
فتى ظفرت منه الليالى بذلةٍ * فأقلعن عنه راميات المخالب
حنانيك انى لم أكن بعت عزة * بذل وأحرزت المنى بالمواهب
فقد سُمتنى الهجران حتى أذقتنى * عقوبة زلاتى وسوء المناقب
فها أنا مغضٍ فى رضاك وقابض * على حد مصقول الذبابين قاضب
ومنتزح عما كرهت وجاعلٌ * هواك مثالا بين عين وحاجب

وفى هذه القصيدة مما يختار أهل الصناعة

أشيعت مشتاقا رمى فى جفونهِ * غريب الكرى بعد الفجاج السباسب
سحبت له ذيل السرى وهو لابسٌ * دجى الليل حتى مج ضوء الكواكب
ومن فوق أكوار المهارى لبانة * أحل لها أكل الذرى والغوارب

وكل فتى عاداته قصر سوقه * وطيُّ الحشى دون الهموم العوازب
يسر الهوى لم يبده نعت فرقةٍ * صراخاً ولم تسمع به أذن صاحب
اذا ادّرع الليل انجلى وكأنه * بقية هنديٍّ الحسام المضارب
بركب ترى كسر الكرى فى جفونهم * وعهد الليالى فى وجوهٍ شواحب

وقال أيضاً

لو رأتنى ذرى الجادة فرداً * وذراع ابنة الفلاة وسادى
اطفىء الحرق بالدموع اذا ما * حُمَةَ الشوق أثرت فى فؤادى
خاشع الطرف قد توشحنى الضرُّ * فلانت له قناة قيادى
تِرب بؤس أخا هموم كأن الحز * ن والبؤس وافيا ميلادى
وكأنى استشعرت ما لغط النا * س من النائرات والاحقاد
اتصدى الردى وادرع الليـ * ل بهوجاء فوقها اقتادى
حظ عينى من الكرى خفقاتٌ * بين صرحى ومنحنى أعوادى
أوحش الناس جانبىّ فما آ * نس إلا بوحدتى وانفرادى
قد رددت الذى به أتقى النا * س وأبرزت للزمان سوادى
فاستهلت علىّ تمطرنى الشو * ق شآبيب مزنة من غادى

وقال

أما راع قلب العامرية انى * غدوت ومرجوع السقام قرينى
أكاتم لوعات الهوى وبينها * تحلّل ماء الشوق بين جفونى
ومطروفة الانسان فى كل لوعةٍ * لها نظرةٌ موصولة بحنين

وقال الحسن بن وهب بن سعيد :

ابك فمن أحسن ما فى البكا * أن البكا للوجد تحليـلُ
وهو اذا أنت تأملتهُ * حزن على الخدين محمول

آل وهب

وقد أعرق بنو وهب فى الكتابة فانجبوا ، ولهم فى هذا الكتاب مايشهد لهم بما نسب اليهم ، وفيهم يقول الطائى :

كل شعب أنتم به آلَ وهبٍ * فهو شعبي وشعب كل أديبِ
ان قلبي لكم لكالكبد الحر * ى وقلبي لغيركم كالقلوب

وفى هذه القصيدة يقول فى مدح سليمان بن وهب :

ماعلى الرزَّح الرقائل من عتـ * ـب اذا ماأتت أبا أيوبِ
سيدٌ لا فعاله مرتع الذمـ * ـم ولا عرضه مناخ العيوبِ
واجد بالصديق من برحاء الشـ * ـوق وِجدان غيره بالحبيبِ

أخذ سليمان منه معنى هذا البيت الأخير فقال فى رسالة لبعض اخوانه : طرف الصداقة ، من طرف العلاقة ، والنفس بالصديق ، آنس منها بالعشيق ، فقال له أبو تمام : كلامك هذا أرق من شعرى

الحسن بن وهب

والحسن بن وهب حسن الشعر والبلاغة ، جيد اللسان ، حلو البيان ، وكان يحب بنان جارية محمد بن حماد ، وله فيها شعر جيد ، ولها يقول :

أقول وقد حاولت تقبيل كفها * وبى رِعدةٌ أهتز منها وأسكنُ
ليهنك انى أشجع الناس كلهم * لدى الحرب الا أننى عنك أجبنُ

وحضرت مجلسه وبين يديه نار فأمرت بازالتها ، فقال :

بأبى كرهتِ النار حتى أبعدتْ * فعلمت ما معناكِ فى ابعادها
هى ضرة لك فى التماع ضيائها * وهبوب نفحتها لدى ايقادها
وأرى صنيعك فى القلوب صنيعها * بسيالها وأراكها وعدادها
شَرَكَتك فى كل الامور بفعلها * وضيائها وصلاحها وفسادها

والى هذا ينظر قول الامير تميم بن المعز

ماهجرت المدام والورد والبد * ر بطوع لكن برغم وكره

منعتني من الثلاثة من لو * قتلتني لم أحك بالله من هي

قالت الورد والمدامة والبد * ر ضيائي ولون خدي ووجهي

قلت بخلا بكل شيء فقالت * لا ولكن بخلت بي وبشبهي

قلت يا ليتني شبيهك قالت * انما يقتل المحب التشهي

سليمان بن وهب

ولما مات الحسن بن وهب وكان موته بالشام عزى عنه أخوه سليمان فجاء أبو العيناء فقال أنشدني أبو سعيد الأصمعي :

لعمري لنعم المرء من آل جعفر * بحدران أمسى أعلقته الحبائلُ

لقد فقدوا عزما وحزما وسؤدداً * وعلما أصيلا خالفته المجاهل

فان عشت لم أملل حياتي وان تمت * فما في حياتي بعد موتك طائلُ

فقال سليمان أحسن الله جزاك ، ووصل أخاك ، ان هذا لمن أحسن الشعر ، وقد تمثل به قتيبة حين بلغه موت الحجاج ، ولكني أقول كما قال كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار :

أخي ما أخي لا فاحشٌ عند بيته * ولا ورَعٌ عند اللقاء هيوبُ

حليم اذا ما سوْرة الجهل أطلقت * من السب للنفس اللجوج غلوب

حبيبٌ اذا الزوّار يغشون بيتهُ * جميل المحيا شبّ وهو أديبُ

اذا ما تراآه الرجال تحفّظوا * فما تنطق العوراء وهو قريبُ

فانصرف الناس يعجبون من علم سليمان ، وحسن جوابه ، وصحة تمثله

الحطيئة

والأبيات التى أنشدها الأصمعى للحطيئة ، واسمه جرول بن أوس بن جؤية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيفة بن عياش بن بغيض يقولها فى علقمة ابن علاثة وفيها يقول :

فما كان بينى لو لقيتك سالما * وبين الغنى الا ليالٍ قلائلُ

بلاغة سليمان بن وهب

قال سليمان بن وهب لما جار علينا بالنكبة السلطان وجفانا من أجلها سائر الاخوان ، أنصفنا ابن أبى دؤاد بتطوله ، وكفانا الحاجة اليهم بتفضله ، فكنا واياه كما قال الحطيئة

جاورت آل محمدٍ فحمدتهم * اذ لا يكاد أخو جوارٍ يحمدُ

أيام من يرد الصنيعة يصطنع * فينا ومن يرد الزهادة يزهد

وله فصل الى بعض اخوانه

يعتذر لك أن يعتب ، ويشبهك أن يعذر ، فهب أقل الامرين لاكثرهما ، وقدم فضلك على حقك ، ويقينك على شكك

ووصف رجلا بليغاً فقال : كان والله واسع المنطق ، جزل الالفاظ ، ليس بالهذر فى لفظه ، حبيب الى السمع * وهذا ضد قول محمد بن عبد الملك الزيات فى عبيد الله بن يحيى بن خاقان هو مهزول الالفاظ ، غليظ المعانى ، سخيف العقل ضعيف العقدة ، واهى العزم ، مأفون الرأى

ذم أدعياء البيان

ألفاظ لاهل العصر فى ذم الكتاب والكتابة والنثر والشعر * الحزن أحسن من كلامه ، والعى أبلغ من بيانه ، خاطره ينبو ، وقلمه يكبو ، يسهو ويغلط ، ويخطىء ويسقط ، هو قصير جامع الكتابة ، قاصر سعى الخطابة ، كتبه

مضطربة الالفاظ ، متفاوتة الابعاض ، منتشرة الاوضاع ، متباينة الاغراض ، الجلم أولى بكفه من القلم[1] ، والطاس أليق بها من القرطاس ، كلام تنبو عن قبوله الطباع ، وتتجافى عن استماعه الاسماع ، ألفاظ تنبو عنها الآذان فتمجها ، وتنكرها الطباع فتر... ، كلام لا يرفع الطبع له حجابا ، ولا يفتح السمع له بابا ، كلام يصدى الريان ، ويصدىء الافهام والاذهان ، كلام فيه تبديل وتكلف ، وتحريف وتعسف ، طبع جاس ، ولفظ قاس ، ولا مساغ له فى سمع ، ولا وصول له مع خلو ذرع ، كلام لا الروية ضربت فيه بسهم ، ولا الفكرة جالت فيه بقدح . كلام تتعثر الاسماع فى حزونته ، وتتحير الافهام من وعورته ، كلمات ضعيفة الاتقان ، قليلة الاعيان ، مضمحلة على الامتحان ، ألفاظ تستعار من الدياجى ، ومعان تقدر من الاثافى ، كلام بمثله يتسلى الاخرس عن كلمه ، ويفرح الاصم بصممه ، أثقل من الجندل ، وأمر من الحنظل ، هو هذيان المحموم ، وسورة الهموم ، كلام رث ومعنى غث ، لاطائل فيهما ، ولا طلاوة عليهما ، أبيات ليست من محكم الشعر وحكمه ، ولا من احجال الكلام وغرره ، شعر ضعيف الصيغة ، رديء الصنعة بغيض الصفة ، لا حظ فى شعره بشعرة ولا سقى قطرة ، لو شعر بالنقص ما شعر لا يميز بين خبيث التول وطيبه ، ولا يفرق بين بكره وثيبه ، هو بارد العبارة ، ثقيل الاستعارة ، هو من بين الشعراء منبوذ بالعراء ، لم يلبس شعره حلة الطلاوة له شعر لا يطيب درسه ، ولا يخف سرده ، وخط مضطرب الحروف ، متضاعف التضعيف ، والتحريف خط يقذى العين ويستنحى الصدر ، خط منحط ، كأنه أرجل البط ، وأنامل السرطان ، على الحيطان قلمه . لا يستجيب بريه ، ومداده لا يساعد جريه ، قلمه كالولد العاق ، والاخ المشاق ، اذا أردته استطال ، واذا قومته مال ، واذا بعثته وقف ، واذا وقفته انحرف ، قلم مائل الشق ، مضطرب المشق ، متفاوت يخدش القرطاس ، وينقش الانقاس ، ويأخذ بالانفاس ، قلم لا

(١) الجلم ما يجز به الصوف

يبعث اذا بعثته ، ولا يقف اذا وقفته ، قد وقف اضطراب جريه ، واقتطع تفاوت قطه عن تجويد خطه

كلام العرب

ذكر عتبة بن أبى سفيان كلام العرب فقال : ان للعرب كلاماً هو أرق من الهواء، وأعذب من الماء ، مرق من أفواههم مروق السهام من قسيها ، بكلمات مؤلفات ان فسرت بغيرها عطلت ، وان بدلت بسواها من الكلام استصعبت ، فسهولة الفاظهم توهمك انها ممكنة اذا سمعت ، وصعوبتها تعلمك أنها مفقودة اذا طلبت . هم اللطيف فهمم ، النافع علمهم. بلغتهم نزل القرآن، وبها يدرك البيان ، وكل نوع من معناه مباين لما سواه. والناس الى قولهم يصيرون، وبهديهم يأتمون ، هم أكثر الناس احلاماً وأكبرهم اخلاقا

المطمع الممتنع

وكان يقال: خير الكلام المطمع الممتنع. وأنشد ابراهيم بن العباس الصولى لخاله العباس بن الاحنف

اليك أشكو رب ما حل بى * من صد هذا العاتب المذنبِ
ان قال لم يفعل وان سيل لم * يبذل وان عوتب لم يُعتب
صب بعصيانى ولو قال لى * لا تشرب البارد لم أشرب

ثم قال: هذا والله الشعر الحسن المعنى ، السهل اللفظ ، العذب المستمع ، الصعب الممتنع، العزيز النظير ، القليل الشبيه ، البعيد مع قربه ، الحزن مع سهولته ، فجعل الناس يقولون هذا الكلام أحسن من الشعر . وقال أبو العباس الناشىء يصف شعره

يتحير الشعراء ان سمعوا بهِ * فى حسن صنعته وفى تأليفهِ
فكأنه فى قربه من فهمهم * ونكولهم فى العجز عن ترصيفه
شجر بدا للعين حسن نباتهِ * ونأى عن الايدى جنى مقطوفه
واذا قرنت أبيّه بمطيعهِ * وقرنته بغريبه وطريفه

ألفيت معناه يطابق لفظهُ * والنظم منه جليله بلطيفه
فأتاه متّسقا على إحسانه * قد نِيط منه رزينه بخفيفه
هذبته فجعلته لك باقيا * ومنعت صرف الدهر عن تصريفه

فضل الشعر

وقال الناشئ في فصل من كتابة في الشعر : الشعر قيد الكلام ، وعقل الآداب ، وسور البلاغة ، ومعدن البراعة، ومجال الجنان، ومسرح البيان ،وذريعة المتوسل ، ووسيلة المتوصل، وذمام الغريب ، وحرمة الأديب ، وعصمة الهارب وعدة الراهب ، ورحلة الداني ، ودوحة المتمثل ، وروحة المتحمل ، وحاكم الاعراب ، وشاهد الصواب

صفات الشعر الجميل

وقال في هذا الكتاب : الشعر ما كان سهل المطالع ، فصل المقاطع ، فحل المديح، جزل الافتخار ، شجي النسيب ، فكه الغزل ، سائر المثل ، سليم الزلل ، عديم الخلل ، رائع الهجاء ، موجب المعذرة ، محب المعتبة ، مطمع المسالك فائت المدارك ، قريب البيان ، بعيد المعاني ، نائى الاغوار ، ضاحي القرار ، نقي المستشف ، قد هريق فيه ماء الفصاحة ، وأضاء له نور الزجاجة ، فانهل في صادي الفهم ، وأضاء في بهم المرائي. لمتأمله تشوّق ، ولمستشفه تألق ، يروق المتوسم ، ويسر المتبرم ، قد أبدت صدوره متونه ، وزهت في وجوهه عيونه ، وانقادت كواهله لهواديه ، وطابقت آثاره لمستوضحه ، وأشبه الروض في وشي الوانه ، وتعمم افنانه ، وإشراق أنواره ، وابتهاج أنجاده واغواره ، وأشبه الوشي في اتفاق رقومه ، واتساق رسومه ، وتسطير كفوفه ، وتحبير حروفه ، وحكى

العقد فى التئام فصوله ، وانتظام وصوله ، وازديان ياقوته بدره ، وفريده بشذره ، قد كشف الايجاز موارده ، وصقلت مداوس الدربة مناصله ، وشحذت مدارس الأدب فواصله ، فجاء سليما من المعايب ، مهذبا من الادناس ، تتحاشاه الأُبن ، وتتحاماه الهُجن ، مهديا الى الاسماع بهجته ، والى العقول حكمته

منظومة أبى العباس الناشىء

وقد قلت فى الشعر قولا جعلته مثلا لقائليه ، وأسلوبا لسالكيه ، وهو

الشعر ما قومت زيغ صدورهِ * وشددت بالتهذيب أسر متونهِ

ولأمت بالاطناب شعب صدوعهِ * وفتحت بالايجاز غور عيونه

وجمعت بين قريبه وبعيدهِ * ووصلت بين مجمه ومعينه

وعهدت منه لكل أمر يقتضى * شبهاً به فقرنته بقرينه

فاذا بكيت به الديار وأهلها * أجريت للمحزون ماء شؤنه

ووكلته بهمومه وغمومه * دهراً ولم يسر الكرى بجفونهِ

واذا مدحت به جواداً ماجداً * وقضيته بالشكر حق ديونه

أصفيته بصفيه ورضيه * ومنحته بخطيره وثمينه

فيكون جزلا فى اتفاق صنوفهِ * ويكون سهلا فى اتساق فنونه

واذا أردت كناية عن ريبةٍ * باينت بين ظهوره وبطونه

فجعلت سامعه تسوء شكوكهُ * ببيانه وظنونه بيقينه

واذا عتبت على أخ فى زلةٍ * أدمجتَ شدته له فى لينه

فتركته مستأنسا لدياسه * مستبيا لرعونه وحزونه

واذا نبذت الى التى علقتها * ان صار نك بفاشيات شؤنه

تمقتها بلطيفه ودقيقه * وشغفتها بخبيثه وكمينه

واذا اعتذرت الى أخ فى زلةٍ * واشكت بين مخيله وسنينه

فيحور ذنبك عند من يعتده * عتبا عليك مطالما بيمينه
والقول يحسن منه فى منثوره * ما ليس يحسن منه فى موزونه

ما يباح للشعراء

وقال الخليل بن احمد : الشعراء أمراء الكلام ، يصرفونه انى شاؤا ، وجائز لهم ما لايجوز لغيرهم : من اطلاق المعنى وتقييده ، ومن تصريف اللفظ وتعقيده ، ومد مقصوره ، وقصر ممدوده ، والجمع بين لغاته ، والتفريق بين صفاته . وقال : الشعر حلية اللسان ، ومدرجة البيان . ونظام الكلام مقسوم غير محظور ، ومشترك غير محصور ، الا أنه فى العرب جوهرى ، وفى العجم صناعى

لايفل الحديد الا الحديد

قال اعرابى لشاعر من بنى الفرس : الشعر للعرب ، فكل من يقول الشعر منكم فانما نزا على أمه رجل منا ! فقال الفارسى: وكذلك من لايقول الشعر منكم فانما نزا على أمه رجل منا !

الشعر الجيد

وقال عمارة بن عقيل : أجود الشعر ما كان أملس المتون ، كثير العيون ، لايمجه السمع ، ولا يستأذن على القلب — وأنشد الجاحظ شعر أبى العتاهية فلم يرضه ، وقال : هو أملس المتون ، ليس له عيون ، كأنه وحماره تجاريا كلاً واحدا وقال أبو عقيل : الشعر بضاعة من بضائع العرب ، ودليل من أدلة الادب ، وأثارة من سالف ذوى الحسب . ولن يهدى الشعر الا لكريم المحتد ، الكثير السؤدد ، الكلف بذكر اليوم والغد

جزاء الكاذبين !

ومدح بشار المهدى فلم يعطه شيئا فقيل له : لم تُجِد فى مدحه ، فقال : لا والله ، لقد مدحته بشعر لوقلت مثله فى الدهر لما حنف صرفه على حر ، ولكنى أكذب فى العمل ، فاكذب فى الامل — نظمه الناجم فقال

ولى فى أحمدٍ أمل بعيدٌ * ومدح حين أنشده طريفُ
مدائح لو مدحت بها الليالى * لما دارت علىّ لها صروف

جرير والفرزدق والاخطل

قال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان صف لى جريراً والفرزدق والاخطل فقال : ياأمير المؤمنين أما أعظمهم نخرا ، وأبعدهم ذكرا ، وأحسنهم عذرا ، وأسيرهم مثلا ، وأقلهم غزلا ، وأحلاهم عللا ، البحر الطامى اذا زخر ، والحامى اذا ذعر ، والسامى اذا خطر ، الذى اذا هدر جال ، واذا خطر صال ، الفصيح اللسان ، الطويل العنان ، فالفرزدق . وأما أحسنهم نعتا ، وأمدحهم بيتا ، وأقلهم فوتا ، الذى اذا هجا وضع ، واذا مدح رفع ، فالاخطل . وأما أغزرهم بحرا ، وأفهمهم شعراً ، وأكثرهم ذكرا ، الاغر الابلق ، الذى ان طلب لم يسبق ، وان طلب لم يلحق ، فجرير . وكلهم ذكى الفؤاد ، رفيع العماد ، وارى الزناد . قال مسلمة بن عبد الملك ، وكان حاضرا ، ما سمعنا بمثلك يا ابن صفوان فى الاولين ولافى الآخرين ، أشهد انك أحسنهم وصفا ، وألينهم عِطفا ، وأخفهم مقالا ، وأكرمهم فعالا . فقال خالد أتم الله عليك نعمته ، وأجزل لك قسمته ، أنت والله أيها الامير ما علمت كريم الغِراس ، عالم بالناس ، جواد فى المجل ، بسام عند البذل ، حليم عند الطيش ، فى الذروة من قريش ، من أشراف عبدشمس ، ويومك خير من الامس ، فضحك هشام وقال : مارأيت مثلك يا ابن صفوان لتلخصك فى مدح هؤلاء ، ووصفهم ، حتى أرضيتهم جميعاً وسلمت منهم

بغض العجاج للهجاء

ودخل العجاج على عبد الملك بن مروان فقال له : بلغني انك لاتحسن الهجاء ، فقال ياأمير المؤمنين من قدر على تشييد الابنية ، أمكنه خراب الاخبية ، قال ما يمنعك من ذلك ؟ قال ان لنا عزا يمنعنا من أن نُظلم ؛ وحلماً يمنعنا من أن نَظلم ، قال لكلماتك أحسن من شعرك ، فما العز الذى يمنعك أن تظلم ؟ قال الادب المستطرف ، والطبع التالد ، قال لقد أصبحت حكيما . قال وما يمنعنى من ذلك وانا نجىّ أمير المؤمنين ؟ قال أبو اسحاق : وليس كما قال العجاج ، بل لكثير من الشعراء طباع تنبو عن الهجاء كالطائى واضرابه ، وأصحاب المطبوع ، أقدر عليه من أهل المصنوع ، اذ كان الهجو كالنادرة التى اذا حدثت على سجية قائلها ، وقربت من يد متناولها ، وكان واسع العطن ، كثير الفطن ، قربت القلب من اللسان ، والتهبت بنار الاحسان

المقامة القريضية

ومما ينحو هذا النحو من مقامات أبى الفتح الاسكندرى انشاء بديع الزمان قال حدثنا عيسى ابن هشام قال : طرحتنى النوى مطارحها ، حتى اذا وطئت جرجان الاقصى ، فاستظهرت على الايام بضياع أجلت فيها يد العمارة ، وأموال وقفتها على التجارة ، وحانوت جعلته مثابة ، ورفقة اتخذتهم صحابة ، وجعلت للدار ، حاشيتى النهار ، والحانوت ما بينهما ، فجلسنا يوما نتذاكر الشعر والشعراء ، وتلقانا شاب قد جلس غير بعيد ، ينصت وكأنه يفهم ، ويسكت وكأنه لا يعلم ، حتى اذا مال الكلام بنا ميله ، وجر الجدل فينا ذيله [1] قال أصبتم عُذَيقه ، ووافيتم جُذَيله [2] ولو شئت للفظت ، ولو أردت لسردت ، ولجلوت الحق

(١) جر الكلام ذيله : كناية عن التطويل (٢) عذيق : تصغير عذق بفتح

فى معرض بيان يسمع الصم ، ويردى العُصم (١) فقلت يافاضل ادن فقد منّيت ، وهات فقد أثنيت ، فدنا وقال : سلونى أجبكم ، واستمعوا أعجبكم ، قلنا فما تقول فى امرىء القيس ؟ قال هو أول من وقف بالديار وعرصاتهـا ، واغتدى والطير فى وكناتها ، ووصف الخيل بصفاتها ، ولم يقل الشعر كاسبا ، ولم يجد القول راغبا ، ففضل من تفتق للحيلة لسانه ، وانتجع للرغبة بنانه ، قلنا وما تقول فى النابغة ؟ قال ينسب إذا عشق ، ويثلب اذا حنق ، ويمدح اذا رغب ، ويعتذر اذا رهب ، فلا يرمى الا صائبا ، قلنا فما تقول فى طرفة ؟ قال هو ماء الاشعار وطينتها ، وكنز القوافى ومدينتها ، مات ولم تظهر أسرار دفائنه ، ولم تطلق عتاق خزائنه ، قلنا فما تقول فى جرير والفرزدق ؟ قال جرير أرق شعرا ، وأعذر غزرا ، والفرزدق امتن صخرا ، وأكثر فخرا ، وجرير أوجع هجوا ، واشرف يوما ، والفرزدق أكثر روما ، وأكرم قوما ، وجرير اذا اذا نسب أشجى ، واذا ثلب أردى ، واذا مدح أسنى ، والفرزدق اذا افتخر أجزى ، واذا وصف أوفى ، واذا احتقر أزرى ، قلنا فما تقول فى المحدثين من الشعراء والمتقدمين منهم ؟ قال المتقدمون أشرف لفظا ، وأكثر فى المعانى حظا ، والمتأخرون ألطف صنعا ، وأرق نسجا ، قلنا فلو أوريت من اشعارك ، ورويت من اخبارك ، قال خذهما فى معرض واحد ، وانشد

أما ترونى أتغشّى طمرا * ملتحفا بالضر أمراً مرا
منطويا على الليالى غمرا * ملاقيا منها صروفا حُمرا
أقصى أمانىّ طلوع الشِّعرى * فقد عنينا بالأمانى دهرا
وكان هذا الحر أعلى قدرا * وماء هذا الوجه أغلى سعرا
ضربت للسر قبابا خضرا * فى دار دارا أو إوان كسرى

العين وهو النخلة بحملها ، وجذيل تصغير جذل بكسر الجيم وهو عود ينصب للجربى من الابل لتحتك به (١) العصم : جمع أعصم وهو من الوعول والظباء ما فى ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر وهو يلزم رءوس الجبال

فانقلب الدهر لبطن ظهرا * وعاد عرف العيش عندى نكرا
لم يبق من وفرىَ الا ذكرا * ثم الى اليوم هلمّ جرا
لولا عجوز لى بسرّ من را * وافرخ دون جبال بصرى
قد جلب الدهر اليهم شراً * فقلت ياساداتى نفسى صبرا !

قال عيسى بن هشام فتلته ما تاح ،واعرض عنا فراح ، وجعلت أنفيه واثبته ، وانكره وكانى اعرفه ، ثم دلتنى عليه ثناياه ، فقلت الاسكندى والله ، فقد كان فارقنا خشفا ، ووافانا جلفا [1] ونهضت على أثره ، ثم قبضت على خصره ، وقلت ألستَ أبا الفتح ، ألم تكن فينا وليدا ، ولبثت فينا من عمرك سنين ، فأى عجوز لك بسر من رأى ؟ فضحك وقال

ويحك هذا الزمان زور * فلا يغرنك الغرورُ
غرّق وبرّق وكل وطرّق * واسرف وطلّق لمن تزور
لا تلتزم حالةً ولكن * دُر بالليالى كما تدور

المقامة الغيلانية

ومن انشائه مقامة ولّدها على لسان عصمة وذى الرمة حدثنا عيسى ابن هشام قال: بينا نحن فى مجتمع لنا ومعنا يومئذ رجل العرب حفظا وروّاية عصمة ابن بدر الفزارى ، فأفضى الكلام الى ذكر من اعرض عن خصمه حلما ، أو اعرض عنه خصمه احتقارا ، حتى ذكر الصلتان العبدى والبعيث المنقرى ، وما كان من احتقار جرير والفرزدق لهما ، فقال عصمة سأحدثكم بما شاهدته عينى ، ولا أحدثكم عن غيرى ، بينا أنا سائر فى بلاد تميم مرتحلا نجيبة ، وقائدا جنيبة ، عنّ لى راكب على أورق جعد اللغام [2] فاجتاز بى رافعا صوته بالسلام ، فقلت

(١) الخشف بالكسر ولد الظبية ، والجلف الجاسى الغليظ
(٢) الاورق : مافيه بياض وسواد ، وجعد اللغام : كثير الزبد

من الراكب الجهير الكلام ، المحيي بتحية الاسلام ؟ فقال أنا غيلان بن عقبة ، فقلت : مرحبا بالكريم حسبه ، الشهير نسبه ، السائر منطقه ، فقال : رحُب واديك ، وعزّ ناديك ، فمن أنت؟ قلت عصمة بن بدر الفزارى فقال : حياك الله ، نعم الصديق ، والصاحب والرفيق . وسرنا فلما هجّرنا قال : ألا نَقيل يا عصمة فقد صهرتنا الشمس ؟ فقلت انت وذاك ، فمال الى شجرات ألاء [١] كأنهن عذارى متبرجات ، قد نشرن الغدائر ، وسرحن الضفائر ، لأثلات متناوحات ، فحططنا رحالنا ونلنا من الطعام ، وكان ذو الرمة زهيد الاكل ، ومال كل منا الى ظل أثلة يريد القائلة ، واضطجع ذو الرمة ، وأردت أن أصنع صنيعه : فوليت ظهرى الارض ، وعيناى لا يملكهما غُمض . فنظرت غير بعيد الى ناقة كوماء ، قد ضحيت وغبيطها ملق [٢] واذا رجل قائم يكلؤها كأنه عسيف أو أسيف ؟[٣] فلهيت عنهما ، وما أنا والسؤال عما لا يعنينى ! ونام ذو الرمة غِرارا [٤] ثم انتبه ، وكان ذلك فى أيام مهاجاته لذلك المرء ، فرفع عقيرته ينشد فيه

أمن مية الطلل الدارسُ * ألظّ به العاصف الرامسُ [٥]

فلم يبق الا شجيج القذال * ومستوقدٌ ماله قابس [٦]

وحوض تثلّم من جانبيه * ومحتفل دائر طامس [٧]

وعهدى به وبه سَكْنُهُ * ومية والأنس والآنس [٨]

ستأتى امرأ القيس مأثورةٌ * يغنِّى بها العابر الجالسُ

ألم تر أن امرأ القيس قد * ألظّ به داؤه الناجسُ [٩]

هم القوم لا يألمون الهجاء * وهل يألم الحجرُ اليابسُ

---

(١) الألاء شجر مر الطعم ورقه دائم الخضرة (٢) كوماء : عظيمة السنام ، وضحيت اصابتها الشمس (٣) العسيف : الاجير ، والاسيف : العبد (٤) غراراً : قليلا (٥) ألظ به لازمه ، والعاصف الشديد ، والرامس الذى يصير ما يمر عليه كالرمس فهو يدفنه (٦) شجيج القذال : مكسور الرأس ، ويريد به الوتد (٧) طامس : مطموس (٨) سكنه : ساكنوه (٩) الناجس المضال

فما لهمُ فى الفلا راكبٌ * ولا لهمُ فى الوغا فارسُ
إذا طمح الناس للمكرمات * فطرفهمُ المطرق الناعسُ
تعاف الأكارم إصهارهم * فكل نسائهمُ عانِسُ

فلما بلغ هذا البيت جعل ذلك المرء يمسح عينيه ويقول : أذو الرميمة يمنعنى القوم بشعر غير مثقف ولا سائر ، فقلت ياغيلان من هذا ؟ فقال الغرير يعنى الفرزدق ، وحمى ذو الرمة فقال :

وأما مجاشعٌ الأرذلون * فلم يسق ميتهم راجسُ
سيعقلهم عن مساعى الكرام * عقالٌ ويحبسهم حابسُ

فقلت الآن يشرق فيثور ويعم الفرزدق هذا وقبيله بالهجاء . فوالله ما زاد على أن قال : قبحاً لك يارميمة ! أتعرض لمثلى بعقال منتحل ! ثم عاد الى نومه كأن لم يسمع شيأ وسار ذو الرمة وسرت وانى لأرى فيه انكساراً حتى افترقنا

عقال وحابس

قلت قول الفرزدق بعقال منتحل يريد أن البيت الأخير منقول من قول جرير :

ألم تر أن الله أخزى مجاشعاً * اذا ما أفاضت فى الحديث المجالسُ
ومازال معقولاً عقالٌ عن الندى * وما زال محبوساً عن المجد حابسُ

عقال بن محمد بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم وهو جد الفرزدق. وحابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم وهو أبو الاقرع بن حابس أحد المؤلفة قلوبهم

فضل الايجاز

فِقر فى الشعر — قيل لابن الزِّبَعْرى : لم تقصر أشعارك ؟ فقال لأنها أعلق بالمسامع ، وأجول فى المحافل ، وقيل ذلك لعقيل بن علفة فى أهاجيه فقال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق

خطر الشعراء

غيره — لسان الشاعر أرض لا تخرج الزهر حتى تستسلف المطر ، وماظنك بقوم الاقتصاد محمود الا فيهم ، والكذب مذموم الا منهم ، اياكم والشاعر فانه يطلب على الكذب مثوبة ، ويفزع جليسه بأدنى زلة

أبو القاسم الصاحب بن عباد : النثر يتطاير كتطاير الشرر ، والنظم يبقى بقاء النقش فى الحجر

قيمة العروض

أبو عبيدة: الزحاف فى الشعر كالرخصة فى الدين لا يقدم عليها الا فقيه

قال أبو فراس الحمدانى :

تناهض النـاس للمعانى * لمـا رأوا نحوها نهوضى

تكلفوا المـكرمات كدًّا * تكلف الشعر للعروضى

وقد مدح الجاحظ العروض وذمها فقال فى مدحها: العروض ميزان ، وبعياره يعرف الصحيح من السقيم ، والعليل من السليم ، وعليه مدار الشعر وبه يسلم من الأوَد والكسر ، وقال فى ذمه : هو علم مولّد ، وأدب مستبرد ، ومذهب مقروض ، وكلام مجهول ، يستكد العقل بمستفعل وفعول ، من غير فائدة ولا محصول

أدب الشاعر

ومن مفردات الأبيات فى هذا المعنى قول دعبل :

يموت ردىء الشعر من قبل أهله * وجيده يبقى وان مات قائله

البحترى :

أعيا علىّ فلا هيّابةٌ فَرِقٌ * يخشى الهجاءَ ولا هشٌّ فيُمتدحُ

آخر :

ومما يقتل الشعراء غماً * عداوة من يقلّ عن الهجاء

أحمد بن أبى فنن :

وان أحق الناس باللؤم شاعرٌ * يلوم على البخل اللئام ويبخلُ

وهذا كقول على بن العباس الرومى فى أبى الفياض سوار بن أبى شراعة وكان سوار شاعراً مجيداً :

يا من صناعته الدعاء الى العلا * ناقضت فى فعليك أىّ نقاضِ

عجباً لحضّاض الكرام على الندى * هو فيه محتاجٌ الى حضّاض

وَصَفَ المكارم وهو فيها زاهدٌ * ورأى الجميل وعنه فيه تغاضِ

لم ألق كالشعراء أكثر صارخا * وأشدّ معيبة على الحرّاض

كم فيهمُ من آمر برشيدةٍ * لم يأتها ومرغب عن قاض

يا حسرتى لمودة أدبيةٍ * لم نفترق عنها افتراق تراضِ

ليس العتاب بنافع فى قاطع * أعيا المشيبُ تتابعَ المقراضِ

وقال بعد هذا التنكيت والعتاب ما منعه أن يتوهم انه هجاء :

لما هجوتك بل وعظتك إننى * لا أجعل الأعراض كالأغراضِ

فاكففْ سهامك عن أخيك فانما * أثبته فرماك بالمعراض

فمتى حلمتَ لقيت أحنف دهرهِ * ومتى جهلت مُنيت بالبرّاض

فاعذر أخاك على الوعيد فانما * أنذرت قبل الرمى بالانباض

ثم هجاه بقوله

وما تكلمت الا قلت فاحشةً * كأن فكيك للاعراض مقراضُ

مهما تقل فسهامٌ منك مرسلةٌ * وفوك قوسُك والاعراض أغراض

وابن الرومى هذا كما قال مسلم بن الوليد الانصارى فى الحكم بن قنبر المازنى

عابنى من معايب هن فيهِ * حكَم فاشتفى بها من هجانى

وكما قال الآخر

ويأخذ عيب الناس من عيب نفسهِ * مراد لعمرى ما أراد قريبُ

الاحنف عند عمر بن الخطاب

وروى عيسى بن داب قال : أول ما عرف من تقدم الأحنف بن قيس أنه وفد على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان أحدث القوم سنا ، وأقبحهم منظراً ، فتكلم كل رجل من الوفد بحاجته فى خاصته ، والأحنف ساكت ، فقال له عمر : قل يافتى ! فقام فقال : ياأمير المؤمنين ، ان العرب نزلت بمساكن طيبة ، ذات ثمار وأنهار عذبة ، وأكنة ظليلة ،ومواطن فسيحة ، وانا نزلنا بسبخة نشاشة ، ماؤها ملح ، وأفنيتها ضيقة ، وانما يأتينا الماء العذب فى مثل حلق النعامة بالانزار ، كنا ياأمير المؤمنين نحفر نهراً يقدر ماؤه ، حتى تأتى الامة فتغرف بجرتها وانائها .وتوشك أن نهلك ، قال . ثم ماذا ؟ قال تزيد فى صاعنا ومدنا ، وتثبت من تلاحق فى العطاء من ذريتنا . قال ثم ماذا ؟ قال تخفف عن ضعيفنا ، وتنصف قوينا ، وتتعاهد ثغورنا ، وتجهز بعثنا ، قال ثم ماذا ؟ قال الى هنا انتهت المطالب ، ووقف الكلام ، قال أنت رئيس وفدك ، وخطيب مصرك ، قم عن موضعك الذى أنت فيه . فأدناه حتى أقعده الى جانبه ، ثم سأله عن نسبه ، فانتسب له ، فقال أنت سيد تميم ، فبقيت له السيادة حتى مات ،

وهو الأحنف واسمه الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن حصن بن عبادة ابن النزال بن مرة بن عبيد بن مقاعس بن عمر بن كعب بن زيد مناة بن تميم

كلمات الاحنف

وقال بعض بني تميم : حضرت مجلس الأحنف وعنده قوم مجتمعون فى أمر لهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان الكرم ، منع الحرم ، ما أقرب النقمة من أهل البغى ، لا خير فى لذة تعقب ندماً ، لم يهلك من اقتصد ، ولم يفتقر من زهد ، رب هزل قد عاد جداً ، من أمن الزمان خانه ، ومن تعظم عليه أهانه ، دعوا المزاح فانه يورث الضغائن ، وخير القول ماصدقه الفعل ، احتملوا لمن أدل عليكم ، واقبلوا عذر من اعتذر اليكم ، أطع أخاك وان عصاك ، وصله وان جفاك ، أنصف من نفسك قبل أن ينتصف منك ، إياكم ومشاورة النساء ، واعلم ان كفر النعم لؤم ، وصحبة الجاهل شؤم ، ومن الكرم الوفاء بالذمم ، ما أقبح القطيعة بعد الصلة ، والجفاء بعد اللطف ، والعداوة بعد الود ، لا تكونن على الاساءة أقوى منك على الاحسان ، ولا الى البخل أسرع منك الى البذل ، واعلم أن لك من دنياك ما أصلحت فى مثواك ، فأنفق فى حق ، ولا تكن خازناً لغيرك ، واذا كان الغدر موجوداً فى الناس فالثقة بكل أحد عجز ، اعرف الحق لمن عرفه لك ، واعلم أن قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل ، قال فما سمعت كلاماً أبلغ منه فقمت وقد حفظته

وصف الاحنف للبنين

ودخل الأحنف على معاوية ويزيد بين يديه وهو ينظر اليه اعجاباً فقال ياأبا بحر ما تقول فى الولد ؟ فعلم ما أراد ، فقال : ياأمير المؤمنين هم عماد ظهورنا ، وثمرة قلوبنا ، وقرة أعيننا ، بهم نصول على أعدائنا ، وهم الخلف منا بعدنا ، فكن لهم أرضاً ذليلة ، وسماء ظليلة ، ان سألوك فأعطهم ، وان استعتبوك فأعتبهم

ولا تمنعهم رفدك ، فيملوا قربك ، ويستثقلوا جنابك ، ويتمنوا وفاتك ، فقال لله درك يا أبا بحر ، هم كما قلت

شعر الاحنف وبخله

وزعمت الرواة انها لم تسمع للأحنف الا هذين البيتين

فلو مدّ سَرْوى بمال كثير * لجدت وكنت له باذلا

فان المروءة لا تستطاع * اذا لم يكن ما لها فاضلا

وكان يبخل . وقال لبنى تميم : أتزعمون انى بخيل ! والله انى لأشير بالرأى قيمته عشرة آلاف درهم ! فقالوا تقويمك لرأيك بخل ، وكان الأحنف من الخطباء الفضلاء النساك ، وبه يضرب المثل فى الحلم

استغفار النبى له

وقد ذكر للنبى صلى الله عليه وسلم فاستغفر له ، فقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى ليث إلى قومه بنى سعد يعرض عليهم الاسلام فقال الأحنف انه يدعوكم إلى خير ، ولا أسمع الا حسناً فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اغفر للأحنف ، وكان الأحنف يقول : ماشئ عندى أرجى من ذلك

دمامة الاحنف

قال عبد الملك بن عمير قدم الينا الاحنف فما رأينا خطة تذم فى رجل الا رأيناها فيه ، كان أصلع الرأس ، متراكم الاسنان ، أشدق ، مائل الذقن ، ناتئ الوجنتين ، ماحق العينين ، خفيف العارضين ، أحنف الرجلين ، وكانت العين تقتحمه دمامة وقلة رُواء ، ولكنه اذا تكلم جلى نفسه ، وهو الذى خطب بالبصرة حين اختلف الأحياء وتنازعت القبائل ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يا معشر الازدو ربيعة ، أنتم اخواننا فى الدين ، وشركاؤنا فى الصهر ،

وا كفاؤنا فى النسب ، وجيراننا فى الدار ، ويدنا على العدو ، ووالله لأزد البصرة أحب الينا من تميم الشأم ، وفى أموالنا وأحلامنا سعة لكم ، ولنا

وقد كان خطباء البصرة فى هذا اليوم تكلموا وأسهبوا ، فلما قام الاحنف أصغت القبائل اليه ، وانثالت عليه ، وقال الناس : هذا أبو بحر ، هذا خطيب بنى تميم ، وحضر ذلك الجمع جارية لآل المهلب فذهبت تروم النظر اليه ، فاعتاص ذلك عليها ، فأشرفت عليه من دارها ، فلما رأت الأبصار خاشعة لكلامه ، ورأت دمامة خلقه ، وكثرة آفات جوارحه ، قالت : قُبِّحت هذه الخلقة ولو افترّت عن فصل الخطاب!

وفوده على معاوية

وذكر المدائنى أن الاحنف بن قيس وفد على معاوية رضى الله عنه مع أهل العراق ، فخرج الآذن ، فقال : ان أمير المؤمنين يعزم عليكم أن لا يتكلم أحد إلا لنفسه ، فلما وصلوا إليه قال الأحنف : لولا عزمة أمير المؤمنين لاخبرته ان دافة دفت ، ونازلة نزلت ، ونابتة نبتت ، كلهم بهم حاجة إلى معروف أمير المؤمنين وبره ، قال حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الشاهد والغائب — ولما عزم معاوية على البيعة الى يزيد كتب الى زياد أن يوجه اليه بوفد أهل العراق فبعث إليه بوفد البصرة والكوفة فتكلمت الخطباء فى يزيد ، والاحنف ساكت ، فلما فرغوا قال : قل يا أبا بحر ، فان العيون اليك أشرع منها إلى غيرك ، فقام الاحنف فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا أمير المؤمنين انك أعلمنا بيزيد فى ليله ونهاره ، واعلانه وإسراره ، فان كنت تعلمه لله رضا فلا تشاور فيه أحداً ، ولا تقم له الخطباء والشعراء ، وان كنت تعلم بعده من الله فلا تزوّده من الدنيا وترحل أنت إلى الآخرة ، فانك تصير إلى يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، فكأنه أفرغ على معاوية ذنوب ماء بارد

فقال له اقعد يا أبا بحر ، فان خيرة الله تجرى ، وقضاء الله يمضى ، وأحكامه تنفذ لامعقب لحكمه ، ولا راد لقضائه ، وان يزيد فتى قد بلوناه ، ولم نجد فى قريش فتى هو أجدر بأن يُجتمع عليه منه ، فقال يا أمير المؤمنين أنت تحكى عن شاهد ، ونحن نتكلم على غائب ، واذا أراد الله شيئاً كان

حقوق الاديب

قال ابن الرومى

ان امرأً رفض المكاسب واغتدى * يتعلم الاداب حتى أحكما
فكسا وحلّى كل أروع ماجد * من حر ما حاك القريض ونظّما
ثقة برعى الأكرمين حقوقه * لأحق ملتمس بان لايحرما

مغارم الشعراء

قال أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار ، ومن نادر شعر أبى الحسن فى هذا المعنى قوله ووصف إتعاب الشعراء أنفسهم بدؤبهم فى صناعتهم ، وما ينصرم من أعمارهم ، وان الحاحهم فى طلب مافى أيدى من أسلفوه مديحهم ، لو كان رغبة منهم الى ربهم ، كان أجدى عليهم ، وأقرب من درك بغيتهم ، ونجح طلبتهم ، ثم انحرف الى توبيخ من مدحه فحرمه ، بأحسن عبارة ، وأرصن استعارة ، فقال :

للناس فيما يكلفون مغارمٌ * عند الكرام لها قضاء ذمامِ
ومغارم الشعراء فى أشعارهم * إنفاق اعمار وهجر منامِ
وجفاء لذات ورفض مكاسب * لو خُولفت حرست من الاعدام
وتشاغل عن ذكر رب لم يزل * حسن الصنائع صانع الانعام
من لو بخدمته تشاغل معشرٌ * خدموا فكم أجدى على الخدام

أفما لذلك حرمة مرعيةٌ * إن الكرام اذاً لغير كرامِ
لم أحتسب فيك الثواب لمدحتي * إياك يا ابن أكارم الاقوامِ
لو كان شعرى جبة لم اكسهُ * أحداً أحق به من الايتام
لا تقبلنّ المدح ثم تعافهُ * فتنام .والشعراء غير نيام
واحذر معرتهم اذا دنّستهم * فلهم أشد لعرة العرام
واعلم بأنهمُ اذا لم ينصفوا * حكموا لأنفسهم على الحكام
وجناية العادى عليهم تنقضى * وعقابهم يبقى على الايام

أبو الطيب المتنبي

ومكايد السفهاء واقعة بهم * وعداوة الشعراء بئس المقتنى

جنازة الاحنف بن قيس

مات الاحنف بن قيس بالكوفة ، فمشى مصعب ابن الزبير فى جنازته بغير رداء ، وقال قوم : مات سر العرب ، ، فلما دفن قامت امرأة على قبره فقالت لله درك من مجن فى جنن ، ومدرج فى كفن ، نسأل الذى فجعنا بموتك ، وابتلانا بفقدك ، أن يجعل سبيل الخير سبيلك ، ودليل الرشد دليلك ، وأن يوسع لك فى قبرك ، ويغفر لك يوم حشرك ، فوالله لقد كنت فى المحافل شريفاً ، وعلى الارامل عطوفاً ، ولقد كنت فى الحى مسوّداً ، والى الخليفة موفداً ، ولقد كانوا لقولك مستمعين ، ولرأيك متبعين ، ثم أقبلت على الناس فقالت : ألاان أولياء الله فى بلاده شهود عباده ، وانى لقائلة حقا ، ومثنية صدقا ، وهو أهل لحسن الثناء ، وطيب البقاء ، أما والذى كنت من أجله فى عدة ، ومن الحياء إلى مدة ، ومن المقدار إلى غاية ، ومن الآثار إلى نهاية ، الذى رفع عملك ، لما قضى أجلك ، لقد عشت حميداً مودوداً ، ومت سعيداً مفقوداً ، ثم انصرفت وهى تقول

لله درك يا أبا بحرِ * ماذا تغيّب منك فى القبرِ

لله درك أى حشو ثرًى * أصبحت من عرف ومن نكر
إن كان دهر فيك جدّ لنا * حدثاً به وهنت قوى الصبر
فلكم يد أسديتها ويدٍ * كانت ترد جرائر الدهر

ثم انصرفت فسئل عنها ، فاذا هى امرأته ، وابنة عمه ، فقال الناس ماسمعنا كلام امرأة قط أبلغ ولا أصدق منه

ترك الفضول

قال : وكان الأحنف قدم الكوفة فى أيام مصعب بن الزبير ، فرآه رجل أعور قصيراً دميا أحنف الرجلين ، فقال له : يا أبا بحر بأى شئ بلغت فى الناس ما أرى ، فوالله ما أنت بأشرف قومك ، ولا أجودهم ، فقال يا ابن أخى بخلاف ما أنت فيه ! قال وما هو؟ قال تركى من أمرك مالا يعنينى ، كما عناك من أمرى مالا تتركه

تحكم المعتصم فى الشعراء

اجتمع الشعراء بباب المعتصم فبعث اليهم : من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول أبى منصور النميرى فى أمير المؤمنين الرشيد

إن المكارم والمعروف أوديةٌ * أحلك الله منها حيث تجتمعُ
من لم يكن بأمين الله معتصماً * فليس بالصلوات الخمس ينتفع
اذا رفعت أمرءاً فالله رافعه * ومن وضعت من الأقوام يتضعُ
ان أخلف المزن لم تخلف أنامله * أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع

فليدخل ، فقال محمد بن وهب فينا من يقول خيراً منه ، وأنشد

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتهم * شمس الضحى وأبو اسحق والقمرُ
يحكى أفاعيله فى كل نائبةٍ * الغيث والليث والصمصامة الذكر

فأمر بادخاله وأحسن صلته. أخذ معنى البيت الاول من بيتى محمد بن وهب أبو القاسم محمد بن هانئ الاندلسى فقال

المدنفان من البرية كلها * قلبى وطرف بابلىّ احورُ
والمشرقات النيرات ثلاثة * الشمس والقمر المنير وجعفر

وبيت أبى القاسم مأخوذ من قول ابن الرومى

يا عليلاً جعل العلـ ـلة مفتاحاً لسقمى
ليس فى الارض عليل * غير جفنيك وجسمى

نكتة مؤلمة

ومر النميرى بالعتابى مغموماً فقال: مالك،أعزك الله ؟ فقال امرأتى تطلق منذ ثلاث ونحن على يأس منها . فقال له العتابى وان دواءها منك أقرب من وجهها . قل هارون الرشيد فان الولد يخرج ! فقال شكوت إليك مابى ، فأجبتنى بهذا ؟ فقال ما أخذت هذا الا من قولك

إن اخلف المزن لم تخلف أناملهُ * أو ضاق أمر ذكرناه فيتسعُ

بكاء الشباب *

وأبيات منصور بن سلمة بن الزبرقان النميرى التى ذكرها المعتصم من قصيدة له وهى أحسن ما قيل فى الشيب أولها

ما تنقضى حسرة منى ولا جزع * اذا ذكرت شباباً ليس يرتجعُ
بان الشباب ونابتنى بفرقته * خطوب دهر وأيام لها خِدع
ما كنت أوفى شبابى كنه غرته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبعُ

---

* ارجع إلى هذا الباب فى مدامع العشاق

تعجبت أن رأت أسراب دمعته * فى حلبة الخد أجراها حشًى وجعُ
أصبحت لم تطعمى ثكل الشباب ولم * تشجىْ بغصته والعذر لا يقعُ
لا ألحينّ فتاتى غير كاذبةٍ * عين الكذوب فما فى ودكم طمع
ما بالشبيبة من وان وإن رفعت * الا لها نبوة عنه ومرتدعُ
انى لمعترف مافىَّ من أربٍ * عندالحسان فما فى النفس منخدَعُ
قد كدت تقضى على فَوْت الشباب أسًى * لولا أعزيك ان الامر منقطع

وذكر ان الرشيد لما سمع هذا بكى ، وقال : ماخير دنيا لا يحظى فيها ببرد الشباب ! وأنشد متمثلا

أتأمل رجعة الدنيا سفاها * وقد صار الشباب الى ذهاب
فليت الباكيات بكل أرض * جمعن لنا فنُحْنَ على الشبابِ

منصور النميرى

وكان الرشيد يقدم أبا منصور النميرى لجودة شعره ، ولما متّ اليه من النسب الى العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وكانت نتيلة أم العباس من النمر ابن قاسط ، ولما كان يظهر من الميل الى امامة العباس وأهله ، والمنافرة لآل على رضى الله عنه ، ويقول

بنى حسن وقل لبنى حسينٍ * عليكم بالسواء من الامورِ
أميطوا عنكمُ كذب الامانى * وأحلاما يعِدن عِداة زور
تسمّون النبى أباً ويأبى * من الاحزاب سطر فى سطور

يريد قول الله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، وهذا انما نزل فى شأن زيد بن حارثة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبنّاه ، فقال له الرشيد ما عدوت مافى نفسى ، وأمره أن يدخل بيت المال فيأخذ ما أحب ، وكان يضمر غير ما يظهر ، ويعتقد الرفض ، وله فى ذلك شعر كثير لم يظهر الا بعد موته ، وبلغ الرشيد قوله

آلُ النبي ومن يحبهمُ * يتطامنون مخافة القتلِ
أمن النصارى واليهود ومَن * من أمة التوحيد في أزْل [1]
الا مصالت ينصرونهمُ * بظبا الصوارم والقنا الذُّبل [2]

فأمر الرشيد بقتله فمضى الرسول فوجده قد مات ، فقال الرشيد لقد هممت أن أنبش عظامه فأحرقها ، وكان يلغز فى مدحه لهرون ، وانما يريد قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلى رضوان الله عليه أنت منى بمنزلة هرون من موسى ، وقال الجاحظ وكان يذهب أولا مذهب الشُّراة ، فدخل الكوفة وجلس الى هشام ابن الحكم الرافضى وسمع كلامه ، فانتقل إلى الرفض ، وأخبرنى من رآه على قبر بن الحسن بن على رضى الله عنهما ينشد قصيدته التى يقول فيها

فما وُجدت على الأكتاف منهم * ولا الأقفاء آثارُ النصولِ
ولكنّ الوجوه بها كلومٌ * وفوق حجورهم مجرى السيولِ
أريق دم الحسين ولم يراعوا * وفى الأحياء أموات العقول
فدت نفسى جبينك من جبينٍ * جرى دمه على خد أسيلِ
أيخلو قلب ذى ورع ودينٍ * من الأحزان والألم الطويلِ
وقد شرِقت رماح بنى زيادٍ * بِرِيٍّ من دماء بنى الرسول
بتربة كربلاءَ لهم ديارٌ * نيامُ الاهل دارسة الطلول
بأوصال الحسين ببطن قاع * ملاعب للدَّبور وللقَبول
تحيات ومغفرة وروحٌ * على تلك المحلة والحلول
برئنا يارسول الله ممن * أصابك بالأذية والذحول

أحمد بن المعذل

وقال احمد بن المعذل

أخو دنفٍ رمتهُ فأقصدتهُ * سهامٌ من جفونك لاتطيشُ

(١) الأزل : الشدة (٢) المصالت جمع مصلت وهو المقدام

كثيب إن ترحّل عنه جيشٌ * من البلوى ألم به جيوش

وكان احمد بن المعذل بن غيلان العبدى فى اللغة والبيان والأدب والحلاوة غاية . قال دخلت المدينة فتجملت على عبد الملك بن الماجشون برجل ليخصنى ويعنى بى ، فلما فاتحنى قال ماتحتاج أنت الى شفيع ، معك من الحذاء والسقاء ماتأكل به لب الشجر ، وتشرب صفو الماء ، وكان أخوه عبد الصمد يؤذيه ويهجوه ، فكتب اليه احمد : أما بعد فان أعظم المكروه ماجاء من حيث يرجى المحبوب ، وقد كنت مؤملا مرجوا ، حتى شمل شرك ، وعمّ أذاك ، فصرت فيك كابى العاق ان عاش نغصه ، وان مات نقصه ، واعلم لقد خشيت صدر أخ جيبه لك ناصح والسلام

وكان يقول له أنت كالأصبع الزائدة ان تركت شانت ، وان قطعت آلمت : ومثل هذا قول النعمان بن شمر الغسانى

وصال أبى برد عناءٌ وتركهُ * بلاءٌ فما أدرى به كيف أصنعُ

اذا زرته يومين ملّ زيارتى * وان غبت عنه ظلت العين تدمع

وقول الضحاك بن همام الرقاشى

وأنت امرؤ منا خلقت لغيرنا * حياتك لاترجى وموتك فاجعُ

وأنت على ما كان منك ابن حرةٍ * وانى لما يرضى به الخصم طائع

وفيك خصال صالحات يشينها * لديك جفاءٌ عندك الود ضائع

وقال بعض المحدثين

اذا ساءنى فى القول والفعل جاهداً * وفى حاله من قد أحب وأمحضُ

فياليت شعرى مايعاملنى بهِ * على الذنب منى من أعادى وأبغضُ

عبد الصمد بن المعذل

وقال أبو العباس المبرد : وكان احمد بن المعذل من الأئمة ، والتمسك بالمنهاج ، والتجنب للعبث ، والتعرض للاشفاق لما فى أيدى الناس ، واظهار الزهد فيه ، والتباعد عنه ، على غاية ، حتى حمل فقها وأدبا من أهل البصرة فأخذ الصلة غير ممتنع ولا منكر ، ووصله اسحق بن ابراهيم فقبل ، واستدعا أخاه فأبى وتخلى جهده ، فقال عبد الصمد

عذيرى من أخ قد كان يبدى * على من لابس السلطان عتبهْ
وكان يذمهم فى كل يوم * له بالجهل والهذيان خُطْبهْ
فلما ان أتته دريهماتٌ * من السلطان باع بهن ربه

وقال فيه

لى أخ لا يرى لهُ * سائلٌ غير عائبِ
أجمعُ الناس كلهم * للئيم المذاهب
دون معروف كفهِ * لمس بعض الكواكب
ليت لى منك يا أخى * جارة من محارب
نارها كل شتوةٍ * مثل نار الحباحب

بائية القطامى فى هجاء محارب

ذهب الى قول القطامى من حيث الهجاء وكان نزل بامرأة من محارب ابن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر فذم مثواه عندها فقال

وانى وان كان المسافر نازلا * وان كان ذا حق على الناس واجبِ
فلا بد أن الضيف يخسر ما رأى * مخبر أهل أو مخبر صاحب
لخبرك الانباء عن أم منزل * تضيفتها بين العذيب فراسب

تلفتّ فى ظل وريح تلفنى * إلى طرمساء غير ذات كواكب

الى حيزبون توقد النار بعدما * تلفعت الظلماء من كل جانب

تصلى بها برد العشاء ولم تكن * تخال وميض النار يبدو لراكب

فجئت إليها من دلاص مناخةٍ * ومن رجل عارى الاشاجع شاحب

سرى فى جليد الليل حتى كأنما * تخرّم بالاطراف شوك العقارب

تقول وقد قربت كورى وناقتى * اليك فلا تذعر علىّ ركائبى

فسلمت والتسليم ليس يسرها * ولكنه حق على كل جانب

فردت سلاماً كارهاً ثم أعرضت * كما انحاشت الافعى مخافة ضارب

فلما تنازعنا الحديث سألتها * من الحىُّ قالت معشر من محارب

من المشترين الغدر مما تراهمُ * جياعاً وريف الناس ليس بناضب

فلما بدا حرمانها الضيف لم يكن * علىّ مبيت السوء ضربة لازب

وقمت إلى مهرية قد تعودت * يداها ورجلاها حثيث المراكب

الا انما نيران قيس اذا اشتووا * لطارق ليل مثل نار الحباحب

ومحارب قبيلة منسوبة إلى الضعف وقد ضرب العرب بها المثل قال الفرزدق لجرير

وما استعهد الاقوام من زوج حرةٍ * من الناس الا منك أو من محاربِ

أى يأخذون العهد عليه انه * ليس من كليب ولا من محارب

وقال أبو نواس فى قصيدته التى فخر فيها باليمانية وهجا قبائل معد

وقيس عيلان لا أريد لها * من المخازى سوى مخازيها

امرأة ابن المعذل

وكانت امرأة عبد الصمد بن المعذل طباخة ، فكان احمد يقول اذا بلغه هجاءه : ما عسيت أن أقول فيمن ألقح بين قدر وتنّور ، ونشأ بين زق وطنبور ،

وعبد الصمد شاعر أهل البصرة فى وقته ، وهو القائل

تكلفنى إذلال نفسى لعزها * وهان عليها أن أهان لتكرما

تقول سَل المعروف يحيى بن أكثم * فقلت سليه رب يحيى بن اكثما

راشد بن اسحاق

قال أبو شراعة القسى : كنت فى مجلس العتبى مع عبد الصمد بن المعذل فتذاكرنا شعار المولدين فى الرقيق ، فقال عبد الصمد أنا أشعر الناس فيه وفى غيره فقلت أحذق والله منك بالرقيق الذى يقول ، وهو راشد بن اسحق أبو حكيمة الكوفى

ومستوحش لم يمس فى دار غربةٍ * ولكنه ممن يحب غريبُ

طواه الهوى واستشعر الوصل غيرهُ * فشطت نواه والمزار قريب

سلام على الدار التى لا أزرها * وان حلها شخصٌ الىَّ حبيبُ

وان حَجبت عن ناظرىَّ ستورُها * هوًى تحسن الدنيا به وتطيبُ

هوى تضحك اللذات عند حضورهِ * ويسخن طرف اللهوى حين يغيب

تثّنى به الاعطاف حتى كأنهُ * اذا اهتزّ من تحت الثياب قضيبُ

ألم ترصمتى حين يجرى حديثهُ * وقد كنت أدعى باسمه فأجيب

رضيت بسعى الدهر بينى وبينهُ * وان لم يكن للعين فيه نصيبُ

أحاذر ان واصلته ان ينالنى * وإياه سهم للفراق مصيبُ

أرى دون من أهوى عيونا تريبنى * ولا شك انى عندهنّ مريبُ

أدارى جليسى بالتجلد فى الهوى * ولى حين أخلو زفرة ونحيب

وأخبر عنه بالذى لا أحبهُ * فيضحك سنى والفؤاد كئيب

مخافة ان تغرى بنا ألسن العدا * فيطمع فينا كاشح فيعيب

كأن مجال الطرف فى كل ناظر * على حركات العاشقين رقيبُ

أرى خطرات الشوق يبكين ذا الهوى * ويصبين عقل المرء وهو لبيب
وكم قد أذل الحب من متمنع * فأضحى وثوب العز منه سليب
وان خضوع النفس فى طلب الهوى * لأمر اذا فكرت فيه عجيب

فلم ينطق بحرف

ابراهيم بن رباح

ولا بى شراعة يمدح بنى رباح

بنى رباح أعاد الله نعمتكم * خير المعاد وأسقى ربعكم دِيَما
فكم بهم من فتى حلو شمائلهُ * يكاد ينهل من أعطافه كرما
لم يلبسوا نعمة لله مذخلقوا * إلا تلبّسها اخوانهم نعما

وفى ابراهيم بن رباح يقول عبد الصمد بن المعذل

قد تركت الرياح ياابن رباح * وهى حسرى إن هب منها نسيم
نهكت مالك الحقوق فأضحى * لك مال نِضوٌ وفعل جسيمُ

وكان عبد الصمد متصلا بابراهيم وبنيه ، وأفاد منهم أموالا جليلة ، واعتقد عقدا نفيسة ، فما شكر ذلك ولا أصحبه ما يجب عليه من الثناء عند نكبته ، وكان الواثق عزله عن ديوان الضياع ، ودفعه الى عمر بن فرخ الرجحى ، فحبسه فهجاه عبد الصمد

لؤم عبد الصمد بن المعذل

قال أبو العباس محمد بن يزيد وكان عبد الصمد شديد الاقدام على الاعراض ردىء السريرة فيما بينه وبين الناس ، خبيث النية ، يرصد لصديقه المكروه ، تقدير أن يعاديه فيسوءه بأمر يعرفه ، ولا يكاد يسلم لأحد ، وكان مشهورا فى ذلك الامر ، يلبس عليه ، ويحمل على معرفة به ، عجباً بظرف لسانه ، وطيب مجلسه ، وأيضا لقبح مسبته ، وشائن معرته

كرم أبى العيناء

قال أبو العيناء : ولما حبس الواثق ابراهيم بن رباح ، وكان لى صديقا ، صنعت له هذا الخبر راجيا ان ينتهى الى أمير المؤمنين فينتفع به ، فاخبرنى زيد بن على بن الحسين انه كان عند الواثق حين قرئ عليه فضحك واستظرفه ، وقال : ما صنع هذا كله أبو العيناء الا بسبب ابراهيم بن رباح وأمر بتخليته (والخبر) قال لقيت اعرابيا من بنى كلاب فقلت له ما عندك من خبر هذا العسكر؟ فقال قتل أرضاً عالمها ، فقلت فما عندك فى خبر الخليفة ، قال بخبخ فى عزه ، وضرب بجرانه ، وأخذ الدرهم من مصره ، وارعف قلم كل كاتب بجنايته . قلت فما عندك فى احمد بن أبى دؤاد ؟ قال عضلة من العضل لا تطاق ، وجندلة لا ترام ، ينتحى بالمدى لتنحره فيجوز ، وتنصب له الحبائل حتى تقول الآن ، ثم يطفر طفرة الذئب ، ويخرج خروج الضب ، والخليفة يحنو عليه ، والقرآن آخذ بضبعيه ، قلت فما عندك فى عمر بن فرخ ؟ قال ضخم ، ضجر ، عضوب ، هزبر ، قد أهدفه القوم لبعضهم ، وانتضلوا له عن قسيّهم ، وأهلّ له بمصرع من يصرع ، قلت فما عندك فى خبر ابن الزيات ؟ قال ذلك رجل وسع الورى شره ، وبطن بالامور خيره ، فله فى كل يوم صريع ، لا يظهر فيه أثر ناب ولا مخلب ، الا بتسديد الرأى . قلت فما عندك فى خبر ابراهيم بن رباح ! قال ذاك رجل أوبقه كرمه ، وان يقره للكرام قدح ، فلا عز بهجائه ، ومعه دعاء لا يخذله ، ورب لا يُسلمه ، وفوقه خليفة لا يظلمه ، قلت فما عندك فى خبر نجاح بن سلمة ؟ قال لله دره من نابض أوقار ، يتوقد كأنه شعلة نار ، له فى الغيبة ، بعد الغيبة ، عند الخليفة خلسة كخلسة السارق ، أو كحسوة الطائر ، يقوم عنها وقد أفاد نعما ، وأوقد نقما ، قلت فما عندك فى خبر ابن الوزير ؟ قال اخاله كبش الزنادقة ، الا ترى ان الخليفة اذا سلمه خصما رتع ، واذا أمر بتقصيته أمطر فأمرع ، قلت فما عندك فى خبر الخصيب ؟ قال ذاك أحمق

أكل أكلة نهم ، فاختلف اختلاف بشم ، قلت فما عندك فى خبر المعلى بن أيوب ؟ قال ذاك رجل قُدَّ من صخرة ، فصبره صبرها ، ومسه مسها ، وكل مافيه بعد فنها ولها . قلت فما عندك من خبر احمد بن اسرائيل ؟ قال كتوم غدور ، وجلد صبور ، رجل حرد، نمر ، كلما خرقوا له إهابا ، حرق لهم بابا ، قلت فما عندك فى خبر الحسن ابن وهب ؟ قال ذاك رجل اتخذ السلطان أخا ، فاتخذه السلطان عبدا ، قلت فما عندك من خبر عبد الله بن يعقوب ؟ قال أموات غير احياء ، وما يشعرون أيان يبعثون ، قلت فما عندك فى خبر أخيه سليمان بن وهب ، قال شد ما استوفيت مسئلتك أيها الرجل ! ذاك حرمة حبست مع صواحبها فى جريرة مجرمة ، ليس من القوم فى ورد ولا صدر ، هيهات !

كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذيول

قلت أين نزلت فأؤمك ؟ قال مالى منزل تؤمه ، أنا أستتر فى الليل اذا عسعس وأنتشر فى الصبح اذا تنفس

شعر راشد بن اسحاق

ومن مليح شعر راشد بن أرشد وهو أبو حكيمة وكان قوىّ أسر الشعر

تحيرت فى أمرى وانى لواقف * أجيل وجوه الرأى فيك وما أدرى

أأعزم عزم الياس فالموت راحةٌ * أو اقنع بالاعراض والنظر الشزر

وانى وان أعرضت عنك لمنطوٍ * على حُرَق بين الجوانح والصدر

اذا هاج شوقى مثلتك لىَ المنى * فألقاك ما بينى و بينك فى السر

فمن تيك لم اصبر و لى فيك حيلة * ولكن دعانى اليأس فيك الى الصبر

تصبرت مغلوباً وانى لموجعٌ * كما يصبر الظمآن فى البلد القفر

وقال

عتبت عليك فى قطع العتاب * فما عطفتك ألسنة العتاب

وفيا قلت يظهر لى دليل * على عتب الضمير المستراب
وماخطرت دواعى الشوق الا * هززت اليك أجنحة التصابي

وقال أيضاً

ضحكت ولو تدرين مابى من الهوى * بكيتِ لمحزون الفؤاد كئيبَ
لمن لم تُرَحْ عيناه من فيض عبرةٍ * ولا قلبه من زفرة ونحيب
لمستأنس بالهم فى دار وحشةٍ * غريب الهوى باكٍ لـكل غريب
ألا بأبى العيش الذى بان وانقضى * وما كان من حسن هناك وطيب
وترداد مستور الأحاديث بيننا * على غفلة من كاشح ورقيب
ليالىَ يدعونا الصبا فنجيبهُ * وتأخذ من لذاته بنصيب
لى أن جرى صرف الحوادث فى الهوى * فبُدل منا بمشهد بمغيب

وله مذهب استفرغ فيه أكثر شعره صنت الكتاب عن ذكره[1]

عبد الملك بن صالح

دعا الرشيد بعبد الملك بن صالح وكان معتقلا فى حبسه ، فلما مثل بين يديه التفت اليه ، وكان يحدث يحي بن خالد بن برمك وزيره ، فقال متمثلا :

أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مُرادِ

وقال ياعبد الملك كأنى أنظر إلى شر يومها قد همع ، وإلى عارضها قد لمع وكأنى بالوعيد قد أروى ، بل أدمى ، فأبرز عن براجم بلا معاصم ، ورؤس بلا غلاصم ، فمهلا بنى هاشم فبى والله سهل لـكم الوعر ، وصفا لـكم الـكدر ، وألقت إليكم الأمور أزمتها ، فتدار كتكم من حلول داهية ، نار خبوط باليد والرجل ، فقال عبد الملك أفذّا أتكلم أم توأما ؟ قال بل فذا ، قال اتق الله يا أمير المؤمنين فيا ولاك ، واحفظه فى رعاياك التى استرعاك ، ولا تجعل الـكفر

(١) تجد تقدهذه الفكرة فى المقدمة التى صدرنا بها الجزء الاول من هذا الـكتاب

بموضع الشكر ، والعقاب بموضع الثواب ، فقد والله سهلت لك الوعود ، وجمعت على خوفك ورجائك الصدور ، وشددت أواخى ملكك بأوثق من ركن ململم وكنت لك كما قال أخو بني جعفر بن كلاب يعني لبيدا

ومقام ضيق فرجتهُ * بلسان وبيان وجدَلْ

لويقوم الفيل أو فيّالُهُ * زلّ عن مثل مقامي وزحل

فأدناه إلى مجلسه وقال : لقد نظرت إلى موضع السيف من عاتقه مراراً ، فنعفو عن قتله، إبقاءً على مثله .

مدح الحقد

وأراد يحيى بن خالد أن يضع من عبد الملك ليرضى الرشيد ، فقال له : ياعبد الملك بلغنى أنك حقود ! فقال عبد الملك : أيها الوزير ، ان كان الحقد هو بقاء الخير والشر ، انهما لباقيان فى قلبى ! فقال الرشيد : تالله ما رأيت أحداً احتج للحقد بأحسن مما احتج به عبد الملك

وقد مدح ابن الرومى الحقد وأخذ هذا المعنى من قول عبد الملك وزاد فيه فقال لعائب عابه

لئن كنت فى حفظى لمـا أنا مودعٌ * من الخير والشر انتحيت على عرضى

لمـا عبتنى إلا بفضل ابانةٍ * وربّ امرئٍ يزرى على خلق محض

ولاعيب أن تجزى القروض بمثلها * بل العيب أن تدّان دينا ولاتقضى

وخير سجيات الرجال سجية * توفّيك ماتسدى من القرض بالقرض

اذا الأرض أدت رَيْع ما أنت زارعٌ * من البذر فيها فهى ناهيك من أرض

ولولا الحقود المستكنات لم يكنْ * لينقض وتراً آخرَ الدهر ذو نقض

وما الحقد إلا توأم الشكر فى الفتى * وبعض السجايا ينتهين إلى بعض

فحيث ترى حقداً على ذى اساءة * فثمّ ترى شكراً على حسن القرض

ذم الحقد

وقال يرد على نفسه ويذم ما مدح توسعاً واقتداراً

يامادح الحقد محتالا له شبهاً * لقد سلكت اليه مسلكا وعثا
إن القبيح وان صنّعت ظاهرهُ * يعود مالمّ منه مرة شعثا
كم زخرف القول ذو زور ولبّسهُ * على القلوب ولكن قل مالبثا
قد أبرم الله أسباب الامور معاً * فلا ترى سبباً منهن منتكثا
يادافن الحقد فى ضعفى جوانبهِ * ساء الدفين الذى أضحت له جدثا
الحقد داء ردىٌ لادواء لهُ * يَرِى الصدور اذا ماجمره حُرثا
فاستشف منه بصفحٍ أو معاتبةٍ * فانما يبرىء المصدور مانفثا
واجعل طلابك بالأوتار ماعظمت * ولا تكن بصغير القول مكترثا
فالعفو أقرب للتقوى وان جُرُمٌ * من مجرم جرح الاكباد أوفرثا
يكفيك فى العفو ان الله قرّظهُ * وحيا إلى خير من صلى ومن بعثا
شهدت أنك لو أذنبت تسأل أن * تلقى أخاك حقوداً صدره شرثا
بادر بسرك أن تلقى الذنوب معاً * وان تصادف منه جانباً دمثا
إنى اذا خلط الاقوام صالحهم * بسيىء الفعل جدا كان أو عبثا
جعلت قلبى كطرق السبك من حسد * يستخلص الفضة البيضاء لا الخبثا
ولست أجعله كالحوض أمزجهُ * بحفظ ماطاب من ماء وما خبثا

على بن أبى طالب

والبيت الذى تمثل به الرشيد هو لعمرو بن معديكرب يقوله لقيس بن الكشوح المرادى وقد تمثل به على بن أبى طالب رضى الله عنه رأى عبد الرحمن

ابن ملجم المرادى فقال له أنت تخضب هذه من هذه ، وأشار الى لحيته وثغرته . فقيل له يا أمير المؤمنين ألا تقتله ، فقال كيف يقتل المرء قاتله ؟

مسلمة بن عبد الملك

وكان بين مسلمة بن عبد الملك وبين العباس بن الوليد تباعد فبلغ العباس أن مسلمة ينتقصه ، فكتب اليه يقول

ألا تبقى الحياء أبا سعيدٍ * وتقصر عن ملاحاتى وعذلى
فلولا أن فرعك حين تنمى * وأصلك منتهى فرعى وأصلى
وانى ان رميتك هضت عظمى * ونالتنى إذا نالتك نبلى
لقد أنكرتنى إنكار خوفٍ * يصم حشاك عن شتمى وأكلى
فكم من سورة أبطأت عنها * بنى لك مجدها طلبى وحلى
ومبهمة عييت بها فأبدى * عويلى عن مخارجها وفعلى
كقول المرء عمرو فى القوافى * لقيس حين خالف كل عدل
عذيرى من خليل من مراد * أريد حياته ويريد قتلى

لم يتفق له فى القافية كما قال عمرو فغيره وعبد الملك هذا هو صالح بن على وكان بليغاً جهيراً فاضلا عاقلا

حسن الاستماع

وقال الجاحظ قال لى عبد الرحمن مؤدب عبد الملك بن صالح قال لى عبد الملك بعد أن خصنى وصيرنى وزيراً بدلا من قمامة ياعبد الرحمن أنظر فى وجهى ؛ فأنا أعرف منك بنفسك ولا تستعد على مايقبح ؛ دع كيف أصبح الأمير وكيف أمسى ، واجعل مكان التقريظ حسن الاستماع منى ، واعلم أن صواب الاستماع أحسن من صواب القول ، واذا حدثتك حديثاً فلا يفوتك شئ منه ؛ وأرنى فهمك فى طرفك ، انى اتخذتك مؤدبا بعد ان كنت معلما ،

وجعلتك جليسا مقربا بعد أن كنت مع الصبيان مبعداً ، ومتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رجحان ماصرت اليه

الرشيد وعبد الملك بن صالح

وساير الرشيد عبد الملك فقال له قائل: طاط من إشرافه ، واشدد من شكائمه والا فسد عليك ، فقال له الرشيد: ما يقول هذا ؟ قال حاسد نعمة ، ونافس رتبة ، أغضبه رضاك عنى ، وباعده قربك منى ، وأساءه احسانك الى ، فقال له الرشيد انخفض القوم وعلوتهم فتوقدت فى قلوبهم جمرة التأسف ، فقال عبد الملك: أضرمها الله بالتزيد عندك! فقال الرشيد هذا لك وهذا لهم

انموذج فى الاعتذار عن الافحام

وصعد المنبر فأرتج عليه فقال : أيها الناس ان اللسان بضعة من الانسان تكل بكلاله اذا كل ، وتنفسح اذا ارتجل ، ان الكلام بعد الافحام كالاشراق بعد الاظلام ، وإنا لا نسكت حصَرا ، ولا ننطق هذَرا ، بل نسكت مفيدين ، وننطق مرشدين ، وبعد مقامنا مقام ، ووراء أيامنا أيام ، بها فصل الخطاب، وموقع الصواب ، وسأعود فأقول ان شاء الله تعالى

مرارة العقوق

قال الاصمعى : كنت عند الرشيد فدعا بعبد الملك بن صالح من حبسه فقال : ياعبد الملك أكفراً بالنعمة ، وغدراً بالسلطان ، ووثوباً على الإمام ؟ فقال أمير المؤمنين بؤت بأعباء الندم ، واستحلال النقم ، وما ذاك الا من قول حاسد ، ناشدتك الله والولاء ومودة القرابة ، فقال الرشيد ياعبد الملك تضع

لى لسانك ، وترفع لى جنانك ، بحيث يحفظ الله لى عليك ، ويأخذ لى منك ، هذا كاتبك قمامة ينبئ عن عملك ، فالتفت عبد الملك الى قمامة ، فقال : حقا لقد رمت ختر أمير المؤمنين ! فقال عبد الملك وكيف لا يكذب علىّ يا أمير المؤمنين فى غيبتى ، من يبهتنى فى حضرتى ؟

فقال الرشيد دع قمامة ، هذا ابنك عبد الرحمن ينبئ عنك بمثل خبر قمامة ، فقال ان عبد الرحمن مأمور أو عاق ، فان كان مأموراً فهو معذور ، وان كان عاقا فما أتوقع من عقوقه أكثر

بديهة الحسن بن عمران

وقال الرشيد للحسن بن عمران وقد دخل عليه يرسف فى قيوده : ولّيتك دمشق وهى جنة مونقة ، تحيط بها غُدُر كاللجين ، فتكِف على رياض كالزرابى ، وكانت بيوت وأموال فما برح بك التعدى ، حتى تركتها أجرد من الصخر ، وأوحش من القفر ! فقال يا أمير المؤمنين ما قصدت تغير التوفيق من جهته ، ولكنى ولّيت اقواما ثقل على أعناقهم الحق ، فتفرغوا فى ميدان التعدى ، ورأوا أن المراغمة بترك العمارة أوقع باضرار السلطان ، وأنوه بالشنعة ، فلا جرم أن موجدة أمير المؤمنين قد أخذت لهم بالحظ الأوفر من مساءتى ! فقال عبيد ابن مالك : هذا أجزل كلام سُمع لخائف ، وهذا ما كنا نسمعه عن الحكماء « أفضل الاشياء بديهة وردت فى مقام خوف »

يزيد بن مزيد

ولما رضى الرشيد عن يزيد بن مزيد دخل عليه فقال : الحمد لله الذى سهل لى سبل الكرامة بلقائك ، ودر على النعمة بوجه الرضا منك ، وجزاك الله فى حال سخطك حق المنيبين المراقبين ، وفى حال رضاك حق المنعمين المتطوّلين ، فقد جعلك الله ، وله الحمد ، تتثبت عند الغضب ، وتتطول بالنعم ، وتستبق

المعروف عنـد الصنائع تفضلا بالعفو * وفى يزيد بن مزيد يقول مسلم بن الوليد مرثيته وقد رويت له فى يزيد بن احمد السلمى

قـبر ببرذعة استسرّ ضريحهُ * خطراً تقاصر دونه الاخطارُ
نُفضت بك الاحلاس نفض إقامةٍ * واسترجعت نُزّاعها الامصار
فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة * أثنى عليها السهل والاوعار
سلـكت بك العرب السبيل الى العلا * حتى اذا سبق الردى بك حاورا

محمد ابن أبى عطية

وقال أبو عبد الرحمن محمد بن أبى عطية يرثي أخاه

حنطته يانصر بالـكافور * ورفعته للمنزل المهجورِ
هلاّ ببعض صلاحه حنطتهُ * فيضوع أفق منازل وقبور
والله لو بنسيم أخلاق لهُ * تُعزى الى التقديس والتطهير
حنطت من وطىء الحصى وعلا الربى * لتزوّد بل عدة لنشور
فاذهب كما ذهب الشباب فانهُ * عصفت بهِ ريحا صباً ودَبور
والله ما أثنيته لأزيدهُ * شرفاً ولـكن نفثة المصدور

أجمل ما قيل فى الرثاء

ومات رجل من العرب كان يعول اثنا عشر ألفا فلما حُمل سريره صرّ فقال بعض من حضر

وليس صرير النعش ما تسمعونهُ * ولـكنه أصلاب قوم تَقَصّفُ
وليس فتيق المسك ما تجدونهُ * ولـكنه ذاك الثناء المخلّفُ

وقال عبد الله بن المعتز فى عبيد الله سليمان بن وهب يرثيه

يا ابن وهب بالـكره منى بقيتُ * عجبي يوم متّ كيف حييتَ

إنما طيّب الثناء الذى خلفـ * ـت لا مِسْك نعشك المفتوتُ

واختصرت الطريق بعدك للمو * ت فلاقيته ولست أفوت

كيف يبقى على الحوادث حيٌّ * بيـد الدهر عوده منحوت

وقال أيضاً

ذكرت ابن وهب ولله ما * ذكرت وما غيّبوا فى الكفَنْ

تقطّر أقلامه من دم * ويعلم بالظن مالم يكن

وظاهر أطرافه ساكنٌ * وما تحته حركات الفطن

وقال

ذكرت عبيد الله والترب دونهُ * فلم تحبس العينان منى بكاهما

وحاشاه من قول سقى الغيث قبرهُ * يداه تروِّى قبره من نداهما

وهذا مأخوذ من قول الطائى

سقى الغيث غيثا وارت الارض شخصهُ * وان لم يكن فيـه سحاب ولا قطرُ

وكيف احتمالى للسحاب صنيعةً * بإسقائها قبرا وفى لحده البحر

وقال ابن المعتز

لم تمت أنت انما مات من لم * يَبق فى المجد والمكارم ذكرا

لست مستسقيا لقبرك غيثاً * كيف يظما وقد تضمّن بحرا

والبيت الثانى من هذين من بيت الطائى — وقال

محمد بن حميد أخلقت رممُهُ * أريق ماء المعالى إذ أريق دمه

رأيته بنجاد السيف محتبياً * كالبدر حين انجلت عن وجهه ظُلَمه

فى روضة حفّها من حولها زَهَرٌ * أيقنت عند انتباهى أنها نِعَمُهْ

فقلت والدمع من وجدٍ ومن حُرَق * يجرى وقد خدّ دا لخدين منسجمهْ

ألم تمت يا سليل المجد من زمنٍ * فقال لى لم يمت من لم يمت كرمه

وقال بعض أهل العصر

عُمر الفتى ذكره لا طول مدته * وموته موته لا موته الدانى
فأحى ذكرك بالاحسان تزرعهُ * تُجمع به لك فى الدنيا حياتان

وقال عبد السلام بن رغبان الحمصى

سقى الغيث أرضا ضُمّنتك وساحةً * لقبرك فيه الغيث والليث والبدرُ
وما هى أهلٌ إذ أصابتك بالبلى * لسقيا ولكن من حوى ذلك القبر

أخذ هذا البيت الراضى فقال يرثى أباه المقتدر

أليت الثّرى ضمنت فى ساحة البلى * لقد ضم منك الغيث والليث والبدرا
فلو أن عمرى كان طوع مشيئتى * وأسعدنى المقدور قاسمتك العمرا
ولو أنّ حيًّا كان قبراً لميت * لصيرت احشائى لأعظمه قبرا

هذا البيت ينظر الى قول المتنبى

حتى أتوا جدثاً كأن ضريحهُ * فى قلب كل موحّد محفورُ

قطر الندى بنت خمارويه

لما حُملت قطر الندى بنت خمارويه بن طولون الى المعتضد كتب معها أبوها يذكر بخدمة سلفها ، ويذكر ما ترد عليه من أبهة الخلافة ، وجلالة الخليفة ، وسأل إيناسها وبسطها. فبلغت من قلب المعتضد لما زفت اليه مبلغا عظيما ، وسر بها غاية السرور ، وأمر الوزير أبا القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب بالجواب عن الكتاب فأراد أن يكتبه بخطه ، فسأله أبو الحسين بن ثوابة أن يؤثره بذلك ففعل ، وغاب أياما وأتى بنسخة يقول فى فصل منها : وأما الوديعة فهى بمنزلة شئ انتقل من يمينك الى شمالك ، عنايةً بها ، وحياطة عليها ، ورعاية لمودتك فيها ، ثم أقبل عبيد الله يعجب من حسن ما وقع له من هذا ، وقال تسميتى لها بالوديعة نصف البلاغة ، فقال عبيد الله ما أقبح هذا ! تفاءلت لامرأة زفت الى صاحبها بالوديعة ، والوديعة مستردة ، وقولك من يمينك الى شمالك أقبح ، لأنك جعلت

أباها اليمين وأمير المؤمنين الشمال ، ولو قلت « وأما الهدية فقد حسُن موقعها منا ، وجلّ خطرها عندنا ، وهي وان بعدت عنك، بمنزلة ما قرب منك ،لتفقدنا لها ، وأُنسنابها ، ولسرورها بما وردت عليه ، واغتباطها بما صارت اليه » لكان أحسن ، فنفذ الكتاب

وكانت قطر الندى مع جمالها موصوفة بفضل العقل ، خلابها المعتضد يوما للأنس فى مجلس أفرده لم يحضره غيرها فأخذت منه الكأس ، فنام على فخذها فلما استثقل وضعت رأسه على وسادة ، وخرجت فجلست فى ساحة القصر على باب المجلس ، فاستيقظ فلم يجدها فاستشاط غضبا ، ونادى بها فأجابته على قرب ، فقال ما هذا ؟ استخليتك اكراما لك ، ودفعت اليك مهجتى دون سائر حظاياى ، فتضعين رأسى على وسادة ! فقالت يا أمير المؤمنين ما جهلت قدر ما انعمت به علىّ وأحسنت فيه الىّ ، ولكن فيما أدبنى به أبى ان قال لى : لا تنامى بين الجلوس ، ولا تجلسى بين النيام

أبو الحسين بن ثوابة

وفى أبى الحسين بن ثوابة يقول ابن المعتز يرثيه

ليس شئٌ لصحة ودوام * غلب الدهر حيلة الاقوامِ
وتولى أبو الحسين حميداً * فعلى روحه سلام السلام
حين عاقدته على الحفظ للعهـ * ـد وصافحته بكف الذِّمام
واصطفته دون الاخلاء نفسى * كاصطفاء الارواح للاجسام
كان ريحانة الندامى وميزا * ن القوافى شعراً وبحر كلام
ومكان الوهم الذى لا يرى الشك * ولا يستغيث بالأوهام
سامر الوحى فى القراطيس لا تحـ * ـبس عنـه أعنة الاقلام
فاذا ما رأيته خلت فى خديـ * ـه صبحا منقبا بظلام
نفسُ صبراً ألا تجزعى ان هذا * خلق من خلائق الأيام

أيام الشباب

وأنشد أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب لرجل من بنى كلاب

سقى الله دهرا قد تولت غياطله * وفارقنا الا الحشاشة باطلُهْ

ليالىَ خِدنى كل أبيضَ ماجدٍ * يطيع هو الصابى ويُعصى عواذله

وفى دهرنا والعيش فى ذاك غِرةٌ * ألا ليت ذاك الدهر تُثنى أوائله

بما قد غنينا والصِبا جلُّ همنا * يمايلنا ريعانُهُ ونمايله

وجرّ لنا أذياله الدهر حقبةً * يطاولنا فى غيه ونطاوله

فسقياً له من صاحب خذلت بنا * مطيتنا فيه وولَّت رواحله

أصدّ عن البيت الذى فيه قاتلى * وأهجره حتى كأنىَ قاتله

هذا البيت يناسب قول ذى الرمة وان لم يكن فى هذا المعنى يصف ظبية وولدها

اذا استودعته صفصفا أو صريمةً * تنحت ونصت جيدها بالمناظر [١]

حِذاراً على وسنان يصرعه الكرى * بكل مقيل عن ضعاف فواتر

وتهجره الا اختلاساً نهارها * وكم من محب رهبةَ العين هاجر

وقال أبو حية النميرى

أما وأبى الشباب لقد أراهُ * جميلا ما يراد به بديلُ

اذ الأيام مقبلة علينا * وظل أراكة الدنيا ظليل

ابن بسام

وقال على بن بسام

بشاطئْ نهر قبرك فالمصلَّى * بما والاهما فالقريتين

معاهد لهونا والعيش غضٌ * وصرف الدهر مقبوض اليدين

وكان ابن بسام هذا وهو على بن منصور بن بسام، مليح المقطعات، كثير الهجاء خبيثه، وله حظ التطويل وهو القائل

---

(١) الصفصف المستوى من الارض، والصريمة هى الرملة المنصرمة من الرمال ذات الشجر، ونصت جيدها رفعته، والجيد العنق

ولكمْ قطعت الياء من ديمومةٍ * نطف المياه بها سواد الناظرِ
فى ليلة فيها السماء مزادةٌ * سوداء مظلمة كقلب الكافر (١)
والبرق يخفق من خلال سحابهِ * خفق الفؤاد مواعداً من زائر
والقطر منهملٌ يسح كأنهُ * دمع الدموع بإثر ألف سائر

وقال فى العباس لما وزر للمكتفى

وزارة العباس من نحسها * ستقلع الدولة من أُسّها
شبهته لما بدا مقبلا * فى حلل يخجل من لبسها
جارية رعناء قد قدّرت * ثياب مولاها على نفسها

وقال فى على بن يحيي المنجم يرثيه

قد زرت قبرك ياعلى مسلماً * ولك الزيارة من أقلّ الواجب
ولو استطعت حملت عنك ترابهُ * فلطالما عنى حملت نوائبي

وكان مولعاً بهجاء أبيه وفيه يقول وقد ابتنى دارا :

شِدت داراً خلتها مكرمةً * سلَّط الله عليها الغرقا
وأرانيك صريعاً وسطها * وأرانيها صعيدا زلقا

وقال أبو العباس بن المعتز يهجوه

من شاء يهجو عليا * فشعره قد كفاهُ
لو أنه لأبيهِ * ما كان يهجو أباه

أحمد بن أبى خالد

وقال المأمون لأحمد بن أبى خالد ، وهو يخلف الحسن بن سهل ، وقد أشار إليه برأى استرجحه : قد اعتل الحسن ولزم بيته ، ووكل الامر اليك، فانا إلى راحته وبقائه ، أحوج إلى إلغائه وفنائه ، وقد رأيت أن أستوزرك ، فان الأمر له مادمت أنت أن تقوم به ، وقد طالعت رأيه فى هذا الأمر ، فأعداك (٢) ، فقال يا أمير المؤمنين

(١) المزادة الراوية الضخمة (٢) أعداه ساعده

أعفنى من التسمى بالوزارة ، وطالبنى بالواجب فيها ، واجعل بينى وبين الغاية مايرجونى له ولي ، ويخافنى له عدوى ، فما بعد الغايات الا الا آفات . فاستحسن كلامه وقال : لا بد من ذلك واستوزره

حسن البديهة

ورأى المأمون خط محمد بن داود فقال يامحمد ان تشاركنا فى اللفظ ، فقد فارقناك فى الخط ، فقال يا أمير المؤمنين ان من أعظم آيات النبي صلى الله عليه وسلم انه أدى عن الله سبحانه وتعالى رسالاته ، وحفظ عنـه وحيه ، وهو أمى لا يعرف من فنون الخط فنا ، ولا يقرأ من سائره حرفا ، فبقى عمود ذلك فى أهله ، فهم يشرفون بالشبه الكريم فى نقص الخط ، كما يشرف غيرهم بزيادته ، وان أمير المؤمنين أخص الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والوارث لموضعه ، والمتقلد لأمره ونهيه ، فعلقت به المشابهة الجليلة ، وتناهت اليه الفضيلة . فقال المأمون يا محمد لقد تركتنى لا آسى على الكتابة ، ولو كنت أميا

وهذا شبيه بقول سعيد بن المسيب وقد قيل له مابال قريش أضعف العرب شعرا وهى أشرف العرب بيتا ؟ قال لأن كون رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قطع متن الشعراء عنها

رفق الخلفاء

وقال ابراهيم بن الحسن بن سهل كنا فى مجلس المأمون وعمرو بن مسعدة يقرأ عليه الرقاع فجاءته عطسة فلوى عنقه فردها فرآه المأمون فقال : يا عمرو لا تفعل فان رد العطسة ، وتحويل الوجه بها ، يورثان انقطاعا فى العنق ، فقال بعض ولد المهدى: ما أحسنها من مولًى لعبده ، وامام لرعيته . فقال المأمون ومافى ذلك ؟ هذا هشام اضطربت عمامته فأهوى الابرش الكلبي الى اصلاحها ، فقال هشام إنا لا نتخذ

الاخوان خولا [1] : فالذى قال هشام أحسن مما قلته ، فقال عمرو : ياأمير المؤمنين ان هشاما يتكلف ما طبعت عليه ، فيما تمدل فيه ، ليس له قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا قيامك بحق الله ، وإنك والملوك لكما قال النابغة الذبيانى

ألم تر أن الله أعطاك سَورةً * يرى كل مَلْك دونها يتذبذبُ
لأنك شمس والملوك كواكبٌ * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

أخذ النابغة هذا من قول شاعر قديم من كندة

تكاد تميد الارض بالناس ان رأوا * لعمرو بن هند عضبة وهو عاتبُ
هو الشمس وافت يوم دَجن فأفضلت * على كل ضوء والملوك كواكب

جميل بن أوس

قال يزيد بن معاوية لجميل بن أوس وكان اكرمه واجتباه: لم كرهت الافراط فى تقدمى ، وتطامنت عن الدرجة التى سمابك اليها مكانك ؟ فقال ان الذين كانوا قبلنا من أهل العلوم والآداب ، والعقول والالباب ، كانوا أطول اعمارا منا ، وأكثر للزمان صحبة ، وأكثر للأيام تجربة ، وقد قال الحكيم بقدر الثواب عند الرضا يكون العقاب عند السخط ، وبقدر السمو فى الرفعة تكون الضعة ، ولا خير فيمن لا يسمع الوعظ ، ولا يقبل النصيحة ، وأنا يا أمير المؤمنين وان كنت آمناً من التعرض لسخطك والدنو مما يقرب منه ، فلست بآمن من طعن المساوى فى الدرجة عندك ، وحقر المشارك فى المنزلة منك ، وليس من تقديمك قليل ، ولا من تعظيمك يسير ، بل أقل ذلك فيه النباهة ، والفخر ، والذكر ، وحسبى مما بذلته من أموالك استحقاقى عندك لاكرامك ، وحسبى من تقديمك خالص رضاك ، وصافى ضميرك

---

(١) الخول : العبيد

عند وفاة الاسكندر

مختار من أقوال الحكماء عند وفاة الاسكندر — لما جعل الاسكندر فى تابوت من ذهب تقدم اليه أحدهم فقال : كان الملك يخبأ الذهب ، وقد صار الآن الذهب يخبؤه (وتقدم) اليه آخر والناس يبكون ويجزعون فقال : حركنا بسكونه ، أخذه أبو العتاهية فقال

يا علىّ بن ثابت بان منى * صاحب جلّ فقده يوم بنتا
قد لعمرى حكيت لى غصص المو * ت وحركتنى لها وسكنتا

وتقدم اليه آخر فقال : كان الملك يعظنا فى حياته ، وهو اليوم أوعظ منه أمس * أخذه أبو العتاهية فقال

وكانت فى حياتك لى عظاة * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وتقدم اليه آخر فقال : قد طاف الأرضين وتملكها ثم جعل منها فى أربعة أذرع (ووقف عليه آخر) فقال : انظر الى حلم النائم كيف انقضى ، والى ظل الغمام وقد انجلى ؟ (ووقف عليه آخر) فقال مالك لا تُقلّ عضواً من اعضائك ، وقد كنت تستقل ملك العباد (وقال آخر) مالك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان ، وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد (وقال آخر) أمات هذا الميت كثيراً من الناس لئلا يموت ، وقد مات الآن (وقال آخر) ما كان أقبح إفراطك فى التجبر أمس ، مع شدة خضوعك اليوم (قالت بنت دارا) ما علمت ان غالب أبى يُغلب (وقال رئيس الطباخين) قد نضدت النضائد ، وألقيت الوسائد ، ونصبت الموائد ، ولست أرى عميد المجلس !

كلمات ابن المعتز

(جملة من كلام ابن المعتز فى الفصول القصار فى ذكر السلطان) أشقى الناس بالسلطان صاحبه ، كما أن أقرب الاشياء الى النار أسرعها احتراقا — لا يدرك الغنى بالسلطان إلا نفس خائفة، وجسم تعب ، ودين منثلم — ان كان البحر كثير الماء ، فانه بعيد الهواء ، ومن شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة — فساد الرعية بلا ملك كفساد الجسم بلا روح — اذا زادك السلطان تأنيسا فزده اجلالا — من صحب السلطان صبر على قسوته ، كصبر الغواص على ملوحة بحره — الملك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى — من نصح الخدمة نصحته المجازاة — لا تلتبس بالسلطان فى وقت اضطراب الامور عليه ، فان البحر لا يكاد يسلم صاحبه فى حال سكونه ، فكيف عند اختلاف رياحه ، واضطراب أمواجه

العدل أساس الملك

(ومن كلام أهل العصر وغيرهم فى هذا النحو) * الأوطان حيث يعدل السلطان — اذا نطق لسان العدل فى دار الامارة فلها البشرى بالعز والامارة — أحر بالملك العادل أن يستقل سريره فى سرة الارض — ريح السلطان على قوم سموم ، وعلى قوم نسيم — أخلق بالمستخف بالجبابرة أن يكون جبارا — من غمس يده فى مال السلطان فقد مشى بقدمه على دمه — الملك خليفة الله فى عباده وبلاده ، ولن يستقيم أمر خلافته مع مخالفته — الملك مع من ينشر أثواب الفضل ، ويبسط أنواع العدل — السلطان كالنار إن باعدتها بطل نفعها ، وان قاربتها عظم ضررها — اقبال السلطان تعب وفتنه ، وإعراضه حسرة ومذلة — صاحب السلطان كراكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه أهيب — السلطان إذا قال لعماله هاتوا ، فقد قال لهم خذوا — ثلاثة لا أمان لهم : السلطان ، والبحر ، والزمان — ليكن السلطان عندك كالنار ، لا تدنو منها الا عند الحاجة اليها ، وان اقتبست منها فعلى حذر

مثل أصحاب السلطان كقوم رقوا جبلا ثم وقعوا منه ، فكان أقربهم الى التلف أبعدهم فى الرقى — مثل السلطان كالجبل الصعب الذى فيه كل ثمرة طيبة ، وكل سبع حطوم ، فالارتقاء اليه شديد ، والمقام فيه أشد — لئن عز الملوك فى الدنيا بالجور ليذلُّن فى الآخرة (لابن عباد الصاحب)

اذا ما ودَّك السلطان زدهْ * من التعظيم واحذرهُ وراقبْ
فما السلطان الا البحر خضما * وقرب البحر محذور العواقب

وصف جارية كاتبة

ووصف احمد بن أبى صالح بن بشير جارية كاتبة فقال : كأن خطها أشكال صورتها ، وكأن مدادها سواد شعرها ، وكأن قرطاسها أديم وجهها ، وكأن قلمها بعض أناملها ، وكأن بنانها سحر مقلتها ، وكأن سِكِّينها غُنج لحظها ، وكأن مِقطها قلب عاشقها

وصف غلام كاتب

وقال بعض الكتاب يصف غلاماً كاتباً

أنظر إلى أثر المداد بخدهِ * كبنفسج الروض المشوب بوردهِ
ما أخطأت نوناته من صدغه * شيئاً ولا ألفاته من قدهِ
ألقت أنامله على أقلامهِ * شبهاً أراك فرندها كفرنده
وكأنما أنقاسه من شعره * وكأنما قرطاسه من خده[1]

وقال احمد بن أبى سمرة الدارمى فيما ينظر إلى هذا من طرف خفى

رمتنى ولم أسعد بأيام وصلها * بعينى مهاة أحبستنى بيعدها
فعلقها . قلبى كما قد تعلقت * صوالج صدغيها بتفاح خدها
فقلبىَ لما أضعفته كخصرها * ودمعىَ لما نظمته كعقدها
ونيل الثريا ممكن عند وصلها * وأسرع من برق تناقضُ وعدها

(١) الانقاس جمع نقس بكسر النون وهو الحبر

كتاب استنجاز

رقعة كتبها بديع الزمان إلى العميد يستنجزه : أين تكرم الشيخ العميد أيده الله عن مولاه ، وكيف معدله إلى سواه ، أيقصر فى النعمة ، لانى قصرت فى الخدمة ؟ إذن فقد أساء المعاملة ، ولم يحسن المقابلة ، وعثرت فى أذيال السهو ، ولم ينعش بيد العفو ، أم يقول ان الدهر بيننا خدع ، وفيما بعده متسع ، فقد أزف رحيلى ولا ماء بعد الشط ، ولا سطح وراء الخط ، أم ينتظر سؤالى ، وانما سألته ، يوم أملته ، واستمنحته ، يوم مدحته ، واقتضيته ، يوم أتيته ، وانتجعت سحابه ، لما قرعت بابه ، وليس كل السؤال أعطى ، ولا كل الرد أعفى أم يظن أيده الله تعالى انى أرد صلته ، ولا ألبس خلعته ، وهذه فراسة المؤمن الا أنها باطلة ، ومَخِيلة العارف الا أنها فاسدة .أم ليس يجد فىَّ مكاناً للنعمة يضعها وأرضاً للمنة يزرعها . فلا أقل من تجربةٍ دفعة ،والمخاطرة بانفاذ خلعة، ليخرج من ظلمة التخمين ، إلى نور اليقين ، وينظر أأشكر أم أكفر ، أم يتوقع أيده الله صاعقة تملكنى ، أو بائقة تهلكنى ، فلهذا أمل موفَّر ،لأن شيخ السوء باق معمَّر أم يقدر أيده الله انى أشكره اذا اصطنع ، واعذره اذا منع ، وتالله لو كنت ينبوع المعاذير ما حظى منها بجرعة، فليرحنى بسرعة

أبو القاسم الهمذانى

وكتب أبو القاسم الهمذانى إلى البديع :قدطبخت لسيدى حاجة ان قضاها وأمضاها، ذاق حلاوة العطاء ، وان أباها وفلّ شباها لقى مرارة الاستبطاء ، فأى الجودين أخف عليه ؟ أجود بالعِلق ، أم جود بالعرض ؟ ونزول عن الطريف ، أم عن الخلق الشريف ؟ ؟ فأجابه : جعلت فداك هذا طبيخ ، كله توبيخ ، وثريد ، كله وعيد ، ولُقم ، الا أنها نقم ، ولم أر قِدراً أكثر منها عظما ، ولا آكلا

أ كثر منى كظماً، ولم أر شربة أمر منها طعماً ، ولا شارباً أتم منى حلماً ، ما هذه الحاجة ، ولكن حاجتك من بعدُ ألينَ جوانب ، وألطفَ مطالب ، ترافق قضاها وتوافق ارتضاها ، ان شاء الله تعالى

المقامة البخارية

وفى مقامات أبى الفتح الاسكندرى من انشائه قال

حدثنا عيسى بن هشام قال : أحلنى جامع بخارى يوم ، وانتظمت مع رفقة فى سمط الثريا ، وحين احتفل الجامع بأهله طلع علينا ذو طِمْرين[1] قد أرسل صِواناً ، واستتلى طفلا عريانا[2] يضيق بالضر وسعه ، ويأخذه القر ويدعه[3] لا يملك لقشره بردة ، ولا يلتقى لِحْياه رعدة[4] ووقف الرجل وقال : لا ينظر لهذا الطفل الا مَن رحم طفله ، ولا يرق لهذا الضر الا من لا يأمن مثله ، يا أصحاب الجدود المفروزة ، والأردية المطروزة ، والدور المنجّدة ، والقصور المشيدة ، انكم لم تأمنوا حادثاً ، ولن تعدموا وارثاً ، فبادروا الخير ما أمكن ، وأحسنوا مع الدهر ما أحسن ، فقد والله طعمنا السكباج[5] وركبنا الهملاج[6] ولبسنا الديباج ، وافترشنا الحشايا بالعشايا[7] فما راعنا الا هبوب الدهر بغدره ، وانقلاب المجن لظهره ، فعاد الهملاج قَطوفا[8] وانقلب الديباج صوفا ، وهلم جرا إلى ما يُشاهد من حالى وزيى ، فها نحن نرضع من الدهر ثدى عقيم ، ونركب من الفقر ظهر بهيم ، ولا نرنو الا بعين اليتيم ، ولا نمد إلا يد الغريم ، فهل من كريم يجلو عنا غياهب

(١) الطمر : الثوب البالى (٢) الصوان : وعاء الثوب يحفظ فيه ، واستتلى : استتبع خلفه (٣) القر : البرد (٤) لحياه : فكاه (٥) السكباج . لحم يطبخ بالخل وقد يضاف اليه الزعفران (٦) الهملاج . الدابة الحسنة السير فى رفق (٧) الحشايا جمع حشية وهى الأريكة ، والعشايا جمع عشية (٨) القطوف . الدابة البطيئة السير

هذه البؤوس ، ويقل شباهذه النحوس [١] ثم قعد مرتفعاً وقال للطفل : أنت وشأنك [٢] فقال وما عسى أن أقول ، وهذا الكلام لو لقي الشعر لحلقه ، أو الصخر لفلقه ، وان قلبا لم ينصحه ماقلت لغبي ! قدسمعتم ياقوم ، مالم تسمعوا قبل اليوم ، فليشغل كل منكم بالجود يده ، وليذكر غده ، واقيا بى ولده ، واذكرونى أذكركم وأعطونى أشكركم !

قال عيسى بن هشام فما آنسنى فى وحدتى الا خاتم ختمت به خنصره ، فلما تناوله أنشأ يقول

ومنطق من نفسهِ * بقلادة الجوزاء حسنا
كمتيم لقى الحبيـ * ـب فضمه شغفاً وحزناً
متألفاً من غير أسـ * ـرته على الايام خِدنا
عِلق سنيٌّ قدرهُ * لكن من أهداه أسنى
أقسمت لو كان الورى * فى المجد لفظا كنت معنى

قال عيسى بن هشام فتبعته حتى أسفرت الخلوة عن وجهة ، فاذا والله شيخنا الاسكندرى ، واذا الصبي غلام له . فقلت

أبا الفتح شبت وشبَّ الغلام * فأين الكلام ، وأين السلام ؟

فقال غريبان جمعتنا الطريق ، وأليفان نظمتنا الخيام . فعلمت أنه كره لقائى فتركته وانصرفت

وصف فص

(وقال أبو الفتح كشاجم) يصف فصا

ساجل بفصك من أردت وباهِهِ * فكفى به كمداً لقلب الحاسدِ
متألق فيه الفرند كأنهُ * وجهي غداة ندًى وضيف قاصد

---

(٥) الشبا جمع شباة وهى حد النصل أو ظبة السنان (٦) أى تكلم عن نفسك !

لو أن ظمأى منه عُلّت لارتوت * من ماء جوهره المعين الباردِ
بهر العيون إضاءةً فى رقةٍ * فكأننى متختم بعُطاردِ

وصف خاتم

وقال بعض المحدثين يصف خاتما

ووحيد الكيان صيغَ بديعاً * فاذا تمّ صيغَ من جوهرينِ
خُلعت خَجلة الخدود عليهِ * خِلعاً قد لبسن فوق اللجين
فاذا ما رأيته فى بنانٍ * قد كساها من حسنه حلتين
قلت نجم هوى من الجوّ حتى * صار بحراً مروجه فى اليدين

استهداء فص

وقال البحترى يستهدى المعتز فصا

فهل أنت يا ابن الراشدين مختمى * بياقوتةٍ تبهَى علىّ وتشرق
يغار احمرار الورد من حسن صِبغها * ويحكيه جادىُّ الرحيق المعتق
اذا برزت والشمس قلت تجاريا * الى مَدَدٍ أو كادت الشمس تسبقَ
اذا التهبت فى اللحظ ضاهى ضياؤها * جبينك عند الجود إذ يتألقُ
أسَربَلُ منها ثوب فخر معجّلٍ * فيبقى بها ذكر على الدهر مخلَق

وصف الشفاه اللعس

وعلى ذكر الخاتم قال أبو الفتح كشاجم

عرضن فعرّضن القلوب من الهوى * لأسرع من كى القلوب على الجمرِ
كأن الشفاه اللُّعس منها خواتمٌ * من التبر مختوم بهن على الدر

سحر الالحاظ

وقال الناظم

يَروعُ مناجيه بهاروت لحظهِ * ويؤنسه منـه بصورة آدمِ
ترى فيه لاماً فردةً فوق وردةٍ * وفصا من الياقوت من فوق خاتم

الكلام والسكوت

وقال أبو تمام الطائى : تذاكرنا فى مجلس سعيد بن عبد العزيز الكلام وفضله ، والصمت ونبله ، فقال : ليس النجم كالقمر ، انك انما تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت ، ومن أنبأ عن شئ فهوأ كبر منه . قال الجاحظ : كيف يكون الصمت أنفع من الكلام ، و نفعه لا يكاد يجاوز صاحبه ، ونفع الكلام يعم ويخص ، والرواة لم ترو سكوت الصامتين ، كما روت كلام الناطقين ، فبالكلام أرسل الله تعالى أنبياءه لا بالصمت ، ومواضع الصمت المحمودة قليلة ، ومواطن الكلام المحمودة كثيرة ، وبطول الصمت يفسد البيان . وكان يقال محادثة الرجال تلقيح لألبابها — وذكر الصمت فى مجلس سليمان بن عبد الملك فقال : من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن ، وليس من سكت فأحسن يتكلم فيحسن . قال بعض النساك : أسكتتنى كلمة ابن مسعود عشرين سنة وهى : من كان كلامه لا يوافق فعله فانما يوبخ نفسه

الحنين الى الوطن

قال أبو عمرو بن العلاء : مما يدل على حرية الرجل ، وكرم غريزته ، حنينه الى أوطانه ، وتشوقه الى متقدم اخوانه ، وبكاؤه على ما مضى من زمانه . وقالوا الكريم يحن الى جنابه ، كما يحن الأسد الى غابه ، وقالوا يشتاق اللبيب الى وطنه

كما يشتاق النجيب الى عَطَنه [1]

(ألفاظ لأهل العصر فى ذكر الوطن)

بلد لا تؤثر عليه بلداً ، ولا تصبر عنه أبداً ، هو عشه الذى فيه درج ، ومنه خرج ، مجمع أسرته ، ومقطع سرته ، بلد أنشأته تربته ، وغذاه هواه ، ورباه نسيمه ، وحلت عنه التمائم فيه

دار ابن الرومى

قالوا : وكان الناس يتشوقون الى أوطانهم ، ولا يفهمون العلة فى ذلك ، حتى أوضحها على ابن العباس الرومى فى قصيدة لسليمان بن عبد الله بن طاهر يستعديه [2] على رجل من التجار ، يعرف بابن أبى كامل أجبره على بيع داره واغتصبه بعض جدرها ، بقوله

ولى وطن آليت أن لا أبيعهُ * وأن لا أرى غيرى له الدهر مالكا

عمَرت به شرخ الشباب منعّماً * بصحبة قوم أصبحوا فى ظلالكا [3]

وحبّب أوطانَ الرجال اليهمُ * مآرب قضّاها الشباب هنالكا

اذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهم * عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

فقد ألفته النفس حتى كأنهُ * لها جسد إن بان غودر هالكا

يقول له فيها

فقد عزنى فيها لئيمٌ وسامنى * فقال لىَ اجهد فىَّ جهد احتيالكا [4]

وما هو الا نسجك الشّعر ضلة * وما الشعر الا ضلة من ضلالكا

بصيرٌ بتسآل الملوك ولم يكنْ * يغار على الأحرار مثل سؤالكا

وانى وان اضحى مدلاً بماله * لآمل أن اضحى مدلا بمالكا

فان لم تصبنى من يمينك نعمةٌ * فلا تخطئنْه نقمة من شمالكا

فكم لقى العافون بدأً وعودةً * نوالك والعادون غمر نكالكا

---

(١) العطن وطن الابل ومبركها حول الحوض (٢) يستعديه يستنصره
(٣) شرخ الشباب : أوله (٤) عزنى فيها : غلبنى عليها

السر فى حب الوطن

وقال على بن عبد الكريم النصيبى : أتانى أبو الحسن بن الرومى بقصيدته هذه وقال : أنصفنى ، وقل الحق : أيهما أحسن قولى فى الوطن أو قول الاعرابى

أحبُّ بلاد الله ما بين منعجٍ * الىَّ وسلمى أن يَصُوب سحا (١)

بلاد بها نِيطتْ على تمائمى * وأول أرض مسَّ جلدى ترابها

فقلت : بل قولك لأنه ذكر الوطن ومحبته ، وأنت ذكرت العلة التى أوجبت ذلك . وقال ابن الرومى أيضاً يتشوق الى بغداد ، وقد طال مقامه بسُرَّ من رأى

بلدٌ صحبت به الشبيبة والصبا * ولبست ثوب العيش وهو جديد

فاذا تمثَّل فى الضمير رأيتـه * وعليه أغصان الشباب تميد

وقال أبو العباس بن عماد : ولما احتفل القائد فى هذا المعنى السابق اليه قال

بلاد حل بها الشباب تمائمى

وقد تقدم . واذا كانت تمائمه قطعت بأبرق العزَّاف(٢) وكان التراب الذى مس جلده تراب جزيرة سيراف(٣) وجب أن يحن اليه حنـين المتأسفين على

---

(١) منعج : واد يصب من الدهناء ، وقبل هذا البيت :

ألم تعلمى يادار ملحاء أنه * اذا أخصبت أو كان جدبا جنابها

(٢) العزاف : جبـل من جبال الدهناء ، وقيـل رمل لبنى سعدجاء ذكره فى قول جرير

حى الديار التى شبهتها خللا * أو منهجا من يمان محَّ ملبوس

بين المحيصر والعزاف منزلة * كالوحى من عهد موسى فى القراطيس

وانما سمى العزاف لانهم يسمعون به عزيف الجن . وهو صوتهم (٣) سيراف : مدينة على ساحل بحر فارس كانت قديما فرضة الهند ، واليها ينسب ابو سعيد الحسن ابن عبد الله السيرافى النحوى

غُوطة دمشق [١] وقصورمدينة السلام [٢] ونجف الجزيرة [٣] ومستشرف الخورنق [٤] وجوسق سر من رأى [٥] لمـا بعدوا عنها ، وطال مقامهم بغيرها ، كلا ولـكن هذا الرجل علم ان الحنين الى الأوطان لِما تُذكِّر من معاهد اللهو فيهـا ، بجدة الشباب الذى ذكر أن سكرته تعطى على مقدار فضيلته فى

لاتلح من يبكى شبيبته * الا اذا لم يبكهـا بدم
عيب الشبيبة غول سكرتها * ومدار ما فيها من النعم
لسنا نراها حق رؤيتهـا * إلا أوان الشيب والهرم
كالشمس لا تبدو فضيلتها * حتى تغشى الأرض بالظلم
ولرب شىء لا يسر به * وجدانه الا مع العدم

(١) غوطة دمشق : هى احدى الجنان الأربع فى عرف المتقدمين ، وهى الصغد والأبلة وشعب بوان ، وأجلها الغوطة (٢) مدينة السلام : بغداد (٣) النجف كما قال ياقوت، عينان يقال لاحداهما الربض ، وللأخرى النجف ، تسقيان عشرين الف نخلة ، قال بعض أهل الـكوفة

وبالنجف الجارى اذا زرت اهله * مهى مهملات ماعليهن سائس
خرجن بحب اللهو فى غير ريبة * عفائف باغى اللهو منهن آيس
يردن اذا ماالشمس لم يخش حرها * ظلال بساتين جناهن يابس
اذا الحر آذاهن لذن بفينة * كما لاذ بالظل الظباء الـكوانس

(٤) الخورنق : قصر كان بظهر الحيرة ، أمر ببنائه فيما يقال النعمان بن امرىء القيس ، بناه له رجل من الروم فى ستين سنة واسمه سنمار ، وقد أهلـكه النعمان، فى حديث طويل (٥) الجوسق القصر ، وسر من رأى مدينة بناها المعتصم بين تكريت وبغداد على شرقى دجلة ، وتسمى سامراء ، وسامرا ، بالقصر والمد، وسر من رأى ، وسر من را ، قال ابن المعتز :

قدأقفرت سرمن را * وما لشىء دوام
فالنقض يحمل منها * كانهـا آجام
ماتت كما مات فيل * تسل منه العظام

أخذه من قول الطائى :

راحت وفود الارض عن قبره * فارغة الأيدى ملاء القلوب
قد علمت مارزئت انما * يعرف فقد الشمس بعد الغروب

أخذ ابن الرومى معانى الشعراء

وأخذ ابن الرومى قوله فى صفة الوطن من قول بشار :

متى تعرف الدار التى بان أهلها * بسعدى فان العهد منك قريبُ
تذكرك الاهواء اذ أنت يافعٌ * لديها فمغناها لديك حبيبُ

أو من قول بعض الاعراب :

ذكرت بلادى فاستهلت مدامعى * بشوقى الى عهد الصبا المتقادمِ
حننت الى أرض بها اخضر شاربى * وقطع عنى قبل عقد التمائم

وأنشد ثعلب لرجاء بن هرون العسلى

أحن الى وادى الاراك صبابةً * لعهد الصبا فيه وتذكار أولى[1]
كأن نسيم الريح فى جنباته * نسيم حبيب أو لقاء مؤهل

قال أبو بكر الصولى ، ولست أشك انه من قول رجاء أخذ ، وبه ألم، وعليه عوّل ، لانه فى تناوله المعنى غريب الأخذ ، عائر السهم[2] لا يعارض معنى معروفا اذا أنشد علم الناس انه معدنه الذى انتحته منه

لطف السرقة

وقد اختُلِس معنى قول ابن الرومى :

فقد ألفته النفس حتى كأنه * لهجسد إن بان غودر هالكا

(١) وادى الاراك : قريب من مكة ، قالت امراة من غطفان
اذا حنت الشقراء هاجت لى الهوى * وذكرنى اهل الاراك حنينها
شكوت اليها نأى قومى وبعدهم * وتشكو الى أن أصيب جنينها

(٢) عائر السهم: العائر من السهام مالا يدرى راميه

أخذه على بن محمد الأيادى وقال فأحسن الأخذ ولطف السرقة :

بالجزع فالخبتين كانت لنا * ذات ليال قد تولت قصار (١)

بانوا فما بنتُ أسًى بعدهم * وانما الناس نفوس الديار

رقة الحنين

وقال اعرابى :

أيا حبذا نجد وطيب ترابه * تصافحه أيدى الرياح الغرائب

عهودٌ لنا فيه ينازعك الهوى * بذلك أترابٌ عذاب المشارب

تنال المنى منهن فى كل مشرب * عذاب الثنايا باردات النوائب (٢)

وقال ابن ميادة يخاطب الوليد بن يزيد

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلةً * بحرة ليلى حيث ربينى أهلى (٣)

بلاد بها نيطت علىّ تمائمى * وقطعن عنى حين أدركنى عقلى

فان كنت عن تلك المواطن مانعى * فأقتر علىّ الرزق واجمع بها شملى

وقال سواد بن الضرير ، ورويت لمالك بن الريب

سقى الله اليمامة من بلادٍ * نوافجها كأرواح الغوانى (٤)

وجواً زاهرا للريح فيهِ * نسيم لا يروع الترب وانى

به سُقت الشباب الى مشيبٍ * يقبح عندنا حسن الزمان

وقال اعرابى

أقول لصاحبى والعيس تهوى * بنا بين المُنيفة فالضمار (٥)

---

(١) الجزع : اسم لعدة مواطن وهو فى الاصل منعطف الوادى ، والخبتان مثنى خبت وهو اسم لعدة مواطن ، وهو فى الاصل الوادى العميق الوطىء تنبت فيه العضاه (٢) النوائب هنا بمعنى الانياب (٣) حرة ليلى : من وراء وادى القرى من جهة المدينة وفيها نخل وعيون (٤) النوافج : جمع نافجة وهى السحابة الكثيرة المطر . وهى كذلك وعاء المسك والريح تبدأ بشدة (٥) المنيفه : ماء لتميم . والضمار : موضع بين نجد واليمامة

تمتع من شميم عَرار نجـدٍ * فما بعد العشية من عَرارِ [١]

ألا يا حبذا نفحات نجـد * وريا روضه غِب القِطار [٢]

شهور ينقضين وما شعرنا * بانصاف لهن ولا سِرار [٣]

وهذا البيت كقول الآخر

سقى الله أياماً لنا قد تتابعتْ * وسَقْياً لعصر العامرية من عصر

ليالىَ أعطيت البطالة مقودى * تمر الليالى والشهور ولا أدرى

سليمان بن عبد الله بن طاهر

وتخلف سليمان عن نصرة بن الرومى فذاك الذى هاجه على هجائه ، فمن ذلك قوله وقد خرج فى بعض الوجوه فرجع مهزوماً

جاء سليمان بنى طاهـرٍ * فاهتاج معتز بنى المعتصمُ

كأن ببغداد وقد أبصرت * طلعته نائحة تلتـدم [٤]

مستقبل منه ومستدبر * وجهٌ بخيلٌ وقفاً منهزم

وقال :

قِرْنُ سليمان قد أضرَّ به * شوقٌ الى وجه سيتلفهُ

كم يعد القِرن باللقاء وكم * يكذب فى وعده ويخلفهُ

لا يعرف القِرن وجهه ويرى * قفاه من فرسخ فيعرفهُ

---

(١) العرار : ورد أصفر طيب الرائحة (٢) الريا : الرائحه ، وغب القطار . عقب المطر ، وبعد هذا البيت

واهلك اذ يحل الحى نجدا وأنت على زمانك غير زار

وغير زار : غير عاتب (٣) السرار مستهل الشهر أو آخره (٤) تلتدم تضرب وجهها

من القفا يعرف الجبان

وقد اختلس هذا المعنى من قول بعض الخوارج وقد قال له أبو جعفر المنصور أخبرني أي أصحابي كان أشد اقداماً في مبارزتك ، فقال ما أعرف وجوههم ، ولكنني أعرف أقفاءهم ، فقل لهم يدبروا أعرِّفك

موالى ابن الرومى

وفى هذه المنازعة يقول ابن الرومى لمواليه بنى هاشم وكان مولاه عبيدالله بن عيسى بن جعفر بن المنصور

تخِذتُكم دُرعا على لتدفعوا * نبال العدى عنى فكنتم نصالها
وقد كنت أرجو منكم خير ناصر * على حين خذلان اليمين شمالها
فان كنتمو لم تحفظوا الى مودة * ذِماماً فكونوا لا عليها ولا لها
قفوا موقف المعذور عنى بمعزل * وخلوا نبالى والعدا ونبالها

وصف الازمنة والامكنة

ألفاظ لأهل العصر فى وصف الامكنة والأزمنة ، بلدة كأنها صورة جنة الخلد ، منقوشة فى عرض الارض — بلدة كأن محاسن الدنيا مجموعة فيها ، ومحصورة فى نواحيها — بلدة كأن ترابها عنبر ، وحصباءها عقيق ، وهواءها نسيم ، وماءها رحيق — بلدة معشوقة السكنى ، رحبة المثوى ، كوكبها يقظان ، وجوها عُريان ، وحصباؤها جوهر ، ونسيمها معطر ، وترابها مسك أذفر[1] يومها غداة ، وليلها سحر ، وطعامها هنئ ، وشرابها مرئ — بلدة واسعة الرقعة ، طيبة البقعة ، كأن محاسن الدنيا عليها مفروشة ، وصورة الجنة فيها منقوشه ، واسطة البلاد وسرتها ، ووجهها وغرتها . (ولهم فى ضد ذلك) : بلد متضايق الحدود والأفنية[2] متراكب المنازل والأبنية ، بلد حرها مؤذ ، وماؤها غير مغذ ، وسخة

(١) أذفر : جيد الى الغاية (٢) الأفنية : جمع فناء وهو الرحبة

السماء ، رمدة الهواء ، جوها غبار ، وماؤها طين ، وترابها سرجين[1] ، وحيطانها نزوز ، وتشرينها تموز[2] ، فكم فى شمسها من حرق ، وفى ظلها من عرق — بلدة ضيقة الجوار ، سيئة الديار ، حيطانها اخصاص ، وبيوتها اقفاص ، وحشوها مسايل ، وطرقها مزابل

صفات الحصون والقلاع

ولهم فى صفات الحصون والقلاع : كأنه حصن على مَرْقَب النجم ، يحسر دونه الناظر ، ويقصر عنه العُقاب الكاسر ، يكاد من علاه يغرق فى حوض الغمام — حصن امتطى بالجوزاء ، وناجت أبراجه بروج السماء — قلعة حلقت بالجو تناجى السماء بأسرارها — قلعة يغدو فى السماء مرتقاها ، حتى تساوى ثراها مع ثرياها — قلعة تتوشح بالغيوم ، وتحتلى النجوم — قلعة عالية على المرتقى ، صمة عن الراقى ، قد جازت الجوزاء سمْتا ، وعزلت السماك الأعزل سمكا ، متناهية فى الحصانة ، موثوقة بالوثاقة ، ممتنعة عن الطلب والطالب ، منصوبة على أضيق المسالك وأوعر المناصب ، لم تزدها الايام الا نُبُوّ أعطاف ، واستصعاب جوانب وأطراف ، قد مل الولاة حصارها ، ففارقوها عن طموح منها وشماس ، وسئمت الجيوش ظلها ، فغادرتها بعد قنوط وياس ، فهى حِمًى لا يراع ، ومَعقِل لا يستطاع ، كأن الأيام صالحتها على الإعفاء من الحوادث ، والليالى عاهدتها على التسليم من القوارع ، قلعة تحوى من الرفعة قدراً لا تُستهان مواقعه ، وتلوى فى المنعة جيداً لا تستلان أخادعه[3] ليس للوهم قبل القدم اليها مسرى ، ولا للفكر قبل الخطر مجرى

---

(١) السرجين روث الدواب (٢) تشرين وتموز من أسماء الشهور السريانية

(٣) الأخادع : جمع أخدع وهو شعبة من الوريد

صفات الدور والقصور

ولهم فى صفات القصور والدور : قصر كأن شرافته بين النسر والعيّوق [١] كأنه يسامى الفرقد ، وقد اكتست له الشّعرى العَبور ، [٢] ثوب الغيور ، قصر طال مبناه ، وطاب مغناه ، كأنه فى الحصانة جبل منيع [٣] وفى الحسن ربيع مريع [٤] شرافات كالعذارى شددن مناطقها [٥] وتوجن بالأكاليل مفارقها [٦] قصر أقرت له القصور بالقصور ، كأنه سحاب فى بحر السحاب ، دار قرار توسع العين قُرة [٧] والنفس مسرة . كأن بانيها استسلف الجنة فعجلت له — دار تخجل منها الدور ، وتتقاصر عنها القصور ؛ ان مات صاحبها مغفوراً له فقد انتقل من جنة الى جنة ، دار قد اقترن اليمن بيمناها ، واليسر بيسراها ، الجسوم منها فى حَضَر ، والعيون على سفر [٨] دار هى دارة المحاسن [٩] دارٌ دارَ بالسعد نجمها ، وفاز بالحسن سهمها دار يخدمها الدهر ، ويأويها البدر ، ويكنفها النصر ، هى مرتع النواظر ، ومتنفّس الخواطر ، دار قد أخذت أدوات الجنان ، وضحكت عن العبقرى الحسان

---

(١) النسر كوكبان : الواقع والطائر ، والعيوق نجم أحمر يضيء فى طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها (٢) الشعرى العبور : نجم ، ومثلها الشعرى الغميصاء . ومن أحاديث العرب أن الشعرى العبور قطعت المجرة فسميت عبورا ، وبكت الأخرى على أثرها حتى غمصت عينها فقيل لها الغموص والغميصاء . قال فى الأساس وتقول قد يقع بين الأخوين من الخلصاء ، ماوقع بين الشعريين : العبور والغميصاء . والشعرى العبور يضرب بها المثل فى الحسن ، قال بعض الأعراب

ألا قالت بهيثة ما لنفر أراه غيرت منه الدهور
وأنت كذاك قد غيرت بعدى وكنت كأنك الشعرى العبور

(٣) الحصانة الامتناع ، ومنه المحصنات . لاعتصامهن بالعفاف (٤) المريع: الخصيب (٥) المناطق جمع منطقة وهى ماينتطق به (٦) المفارق جمع مفرق وهو موضع فرق الشعر (٧) القرة : الغبطة (٨) يريد أنها واسعة الأرجاء (٩) الدارة : هالة القمر

رسائل الميكالى

— ١ —

(فصل) لأبى فضل الميكالى الى بعض اخوانه

ما ابتدأت بمخاطبة سيدى حتى سرت المسرة فى نفسى ، وقويت أركان بهجتى وأنسى ، وحتى اقبلت وجوه الميامن تتهلل الىّ ، وبدَر المساعدة تنثال علىّ ، وكيف لا يهزنى النشاط والمرح ، وقد زففت ودى الى كفء كريم ، وعرّضته لحظ من الجمال جسيم ، وأرجو أن يرد منه على حسن قبول واقبال ، ويُحفى من ارتياحه له ببرد اشتمال[1] ويصان من اهتزازه وانشائه ، وعمارته وانمائه ، وتحصين اطرافه من شوائب الخلل ، وشوائن الوهن والميَل ، ما تستحكم به مرائر الوصال[2] وتؤمن على قواها عوادى الانتقاض والانحلال

— ٢ —

(وله) إذا لم يؤت المرء فى شكر المنعم الا من عظم قدر الانعام والاصطناع واستغراقه منه قوى الاستقلال والاضطباع[3] فليس عليه فى القصور عن كنه واجبه عتْب ، ولا تلحقه فيه نقيصة ولا عيب ، ولئن ظهر عجزى عن حق هذه النعمة فانى أحمل حسن الثناء على من لا يعجزه حمله ، ولا يؤوده ثقله ، ولا يزكو الشكر الا لديه ، ولا تصرف الرغبة الا اليه ، والله يبقيه لمجدٍ يقيم أعلامه ، وفضلٍ يقضى زِمامه ، وعُرْفٍ يثبت أقسامه ، وولىّ يوالى اكرامه ، وعدوٍ يديم قمعه وارغامه

— ٣ —

وله — ولو وفيت هذه النعمة الجسيمة حقها ، لمشيت الى حضرته آنسها الله تعالى حبوا على القدم ، ولآثرت فيه خدمة السلطان على خدمة القلم ، ولما رضيت له بباعى القصير ، وعبارتى الموسومة بالعجز والقصور ، حتى أستعين فيه ألسنة

---

(١) يحفى : يكرم (٢) المرائر : جمع مريرة وهى الحبل المفتول
(٣) الاضطباع : النهوض

تحمل شكرا وثناء ، وتوسع نثرا ودعاء ، ثم لا أكون بلغت مبلغاً كافياً ، ولا بليت عذرا شافيا ، الا ان عدم الاذن ثبطني عن مقصود الغرض ، وعاقني عن الواجب المفترض ، فاقتصرت على دعاء أرفعه الى الله عز وجل مبتهلا ، وأوصله مجتهداً في اقامته آناء ليلي ونهاري محتفلا ، ولولا النعمة بالزيارة نعمة ، لم تزل اليها الأعناق مستشرفه ، والقلوب اليها متشوفه ، والأيام بها واعدة ، والاقدار فيها مساعدة ، حتى استقرت في نصابها ، وألقت عصى اغترابها [1] ، فهي للنماء والزيادة مترشحة ، وبالعز والسعادة متوشحة ، وبالأدعية الصالحة مستدامة مرتهنة ، وباتفاق الكلمة والاهواء عليها مرتبطة محصنة

— ٤ —

وله فصل من كتاب تعزية بالأمير ناصر الدين : أقدار الله تعالى في خلقه لم تزل تختلف بين مكروه ومحبوب ، وتتصرف بين موهوب ومسلوب ، عادية احكامها مرةً بالمصائب والنوائب ، رائحة اقسامها تارةً بالعطايا والرغائب ، ولكن أحسنها في العيون أثراً ، وأطيبها في الاسماع خبرا ، وأحراها بأن تكسب القلوب عزاء وتصبرا ، ما اذا انطوى نشر ، واذا انكسر جبر ، واذا أخذ بيد رُدَّ بأخرى واذا وُهب بيمنى سُلب بيسرى ، كالمصيبة بفلان التي قرحت الاكباد ، وأوهنت الاعضاد ، وسودت وجوه المكارم والمعالي ، وصورت الايام في صور الليالي ، وغادرت المجد وهو يلبس حداده ، والعدل وهو يبكي عماده ، والدين وهو يعزى عباده ، حتى كاد اليأس يغلب الرجاء ، ويرد الظنون مظلمة النواحي والارجاء ، قبض الله تعالى من الأمير الجليل من اجتمعت عليه الاهواء ، ورضيت به

---

(١) يقال ألقى عصا الاغتراب ، وألقى عصا التيار ، اذا استراح ، قال ابو محلم الشيباني

عسى جود عبد الله ان يعطف النوى فتمسي عصا التيار وهي طريح

وهذا البيت من قصيدة بديعة تجدها برمتها في نوح الحمام من كتاب « مدامع العشاق »

الدهماء [١] فأنسى به حادث الكلْم [٢] وسد بمكانه عظيم الثلْم [٣] ورد الآمال والنفوس قد استبدلت بالحيرة قوة وابتـدارا ، وصارت الدولة المباركة أعوانا وأنصاراً .

شعر الميكالى

ومن شعره فى تجنيس القوافى بمعان مختلفة قوله :

اذا لم تكن لمقـال النصيح * سميعا ولا عالمـا أنت بهْ
سينبهك الدهر من رقدة الـــــملاهى وان قلت لا أنتبه

قال :

تفرق الناس من أرزاقهم فِرَقاً * فلابس من ثراء المال أوعارى
كذا المعايش فى الدنيا وما كنها * مقسومة بين أوعاث وأوعار [٤]

وقال :

حوى القِدّ عمراً فقلت اعتقد * رضاً بالقضاء ولا تحتقد [٥]
فإما احتقدت قضـاءَ الاله * فأقبحْ بمحتقد تحت قِد

وقال :

تمت محاسنه فلا يزرى بها * مع فضـله وسخائه وكماله
الا قصور وجوده عن جوده * لاعون للرجل الكريم كماله
انصر أخاك اذا اجتداك فِراسةً * واذا استغاثك وانثنى بك ماله [٦]

وقال أيضا :

اذا تغذيت صدر يومى * ثم تأذيت بالغـذاء

---

(١) الدهماء : الكافة (٢) الكلم : الجرح (٣) الثلم : الكسر (٤) الأوعاث : جمع وعث وهو المكان السهل تغيب فيه الاقدام ، والاوعار جمع وعر وهو ضد السهل (٥) القد هو السير يقد من جلد غير مدبوغ ، والمراد ماربط به الاسير والسجين (٦) ماله : مالئه وانصره

فقلت اذ مسنى أذاهُ * أرى غدائى أراغ دائى[1]

وله فى هذا :

لنا صديق يجيد لقما * راحته فى أذى قفاهُ
ماذاق من كسبه ولكنْ * آذى قفاه ماذاق فاه

وقال يهجو رجلا

يريد يوسّع فى بيتهِ * ويأبى له الضيق فى صدرهِ
فتى سخط النصب فى قِدرهِ * كما رضى الخفض فى قَدرهِ
يخدّر أوصال أضيافهِ * ولا يبرز الخبز من خدره

وقال فى غير هذا المذهب يصف كتابا ورد عليه :

قد أتانا من صديق كلام * كلآل زانهن نظام
فسرى فى القلب منى سرور * مطرب يعجز عنه المدام
مثل مايرتاح رب بنات * حوله من عجبهن زحام
فرعى الله طويل حياة * خلفا من نسله لا يدام
واتاه بعد تأبين بشر * قال يابشراى هذا غلام

وصف الشمع

وقال يصف الشمع

وليل كلون الهجر أوظلمة الحبر * نصبنا لراعيه عموداً من التبر
يشق جلابيب الدجى فكأنما * بدا بين أيدينا عمودا من الفجرِ
يحاكى رُواء العاشقين بلونهِ * وذَوْب حشاه والدموع التى تجرى
خلا أن جارى الدمع ينحله قوى * وعهدى بدمع العين ينحل إذ يجرى
تبدّى لنا كالغصن قداً وفوقهُ * شعاعٌ كأنا منه فى ليلة القدر

(١) أراغ : حرك وهاج

تحمل نورا حتفه فيه كامنٌ * وفيه حياة الأنس واللهو لو يدرى
اذا ما علته علة خر رأسهُ * فيختال فى ثوب جديد من العمر

وقال :

يارب غصن نورهُ * يزرى بنور الشفق
يظل طول عمرهِ * يبكى بجفن أرقِ
نار المحب فى الحشا * وناره فى المفرقِ
لاح لنا فى مغربٍ * فردّنا فى مشرقِ

وقال :

وقضيب من بنات النحـل فى قد الكعابِ
يشبه العاشق فى لو * نٍ ودمع ذى انسكاب
قد كسى الباطن منهُ * وهو عريان الاهابِ(١)
فاذا ما أنعم الابـدان ملبوس الثياب
فهو للشقوة منا * فى بلاء وعذاب

وقال كشاجم يصف شمعا أهداها الى بعض الملوك

وصفر من بنات النّحل تكسى * بواطنها وأظهرها عوارى
عذارى يُفتضضن من الاعالى * اذا افتضت من السّفل العذارى
وأمست تنتج الاضواء حتّى * تلقّح فى ذوائبها بنار
كواكب لسن عنك بآفلات * اذا ما أشرقت شمس العُقارِ
بعثت بها الى ملك كريم * شريف الاصل محمود النّجار(٢)
فأهديت الضياء بها الى من * محاسنه تضئ لكل سارى

وقال

يشقى الفتى بخلاف كل معاندٍ * يؤذيه حتى بالقذى فى مائهِ

---

(١) الاهاب : الجلد (٢) النجار : الأصل

يقذى اذا أصغى الاناء لشربهِ * ويزوغ عنه عند سكب انائهِ (١)

وقال

أطالب أيامى بانجاز موعدى * وها هى تلوى بالوفاء وتجمح

أقول عساها ان تلين لمطلبى * قليلا فبعد الترك بالمن تسمح

وقال

أرى وصالك لا يصفو لآملهِ * والهجر يتبعه ركضا على الأثر

كالقوس أقرب سهميها اذا عطفت * عليه أبعدها من منزع الوترِ

وصف رجل متلون

أخذ هذا من قول ابن الرومى وذكر رجلا متلونا

رأيتك بينا أنت خل وصاحبٌ * اذا بك قد وليتنا ثانيا عِطفا

وأنك إذ أحنى حنوك مُوجبٌ * بعاداً لمن بادلته الود واللطفا

لكالقوس أحنى ما تكون اذا انحنت * على السهم أنأى ما تكون له قذفا

وله فى نحو ذلك

توددت حتى لم أجد متودداً * وأتعبت أقلامى عناء مرددا

كأنىَ أستدعى لك ابن حنيةٍ * اذا النزع أدناه من الصدر أبعدا (٢)

آل ميكال

وذكر عمر بن على بن محمد المطوعى أبا الفضل الميكالى فى كتاب ألفه فى منظومه ومنثوره فقال : قد أصبحت حضرته لا زالت أرجة الارجاء بطيب شمائله ، أريضة الرياض عند صَوْب أنامله (٣) موسم الآمال ، ومحط الرحال ، وتعداه أحرار الكلام (٤)، كما خدمته أحرار الكلام وأطاعه المُعالى والمعالى ، كما أطاعه صرف الايام والليالى ، فهو أدام الله تمكينه شهاب المجد الذى لا يخبو واقده ،

(١) أصغى الاناء : أماله (٢) الحنية : القوس (٣) أريضة : معجبة للعين. وصوب الأنامل انهلالها بالجود (٤) الكلام بكسر الكاف الجروح

وأرض الكرم الذى لا يجدب رائده ، ان أردت البلاغة فهو مالك عنانها ، وفارس ميدانها ، وناظم درها ومرجانها ، وصائغ لجينها وعقيانها ، وان أردت السماحة فهو محلها ومكانها ، وتاريخها وعنوانها ، ويدها ولسانها ، وحدقتها وانسانها ، وحديقتها وبستانها ، وان أردت شرف الاصل والنسب ، والجمع بين الموروث من المجد والمكتسب ، فناهيك بأوائله شرفا سابقا ، وفضلا باسقا (١) ومجدا فى ملك الفخر سامقا (٢) فهو ابن الجحاجحة الغُرّ (٣) والكواكب الزُّهر ، ومن بهم يفتخر الفخر ، ويتشرف الدهر ، زاحموا مناكب الكواكب من بعد أقدارهم ، وصكوا فرق الفرقد وصدر البدر بشرف أخطارهم ، فما فيهم الا قمر فضل دار فى فلك علم ، وهلال مجد لاح فى سماء فهم ، توارثوا المجد كابرا عن كابر ، وباقيا عن غابر ، وسافرت اخبارهم فى البعد والقرب ، وطارت فى أقاصى الشرق والغرب ، وسارت مسير الشمس فى كل بلد ، وهبت هبوب الريح فى البر والبحر ، فهم كما قال أبو عبادة البحترى فى الشاه بن ميكال وأهله فأحسن وأجاد وبلغ ما أراد

بنى أحوذىّ يغمر الطرف موفياً * بيسطته والسيف وافى الحمائل (٤)

تضيق الدروع المسبغات لديهمُ * على كل رحب الباع سَبط الأنامل (٥)

عَراعر قوم يسكن الثغران مشوا * على أرضه والثغر جم الزلازل (٦)

فكم فيهم من منعم متطوّلٍ * بآلائه أو مشرف متطاول (٧)

اذا سئلوا اجادت سيوف أكفهم * عرائك أحداث الزمان الجلائل (٨)

---

(١) باسق طويل (٢) سامق : عال (٣) الجحاجحة : جمع جحجاج وجحجح وهو السيد (٤) الاحوذى : الخفيف الحاذق والمشمر للامور القاهر لها (٥) المسبغات: الطويلة ، وسبط الأنامل سخى ، ومثله سبط اليدين

(٦) عراعر : أشراف ، والمفرد عراعر بضم العين ، والثغر موضع المخافة من البلدان

(٧) مشرف : مرتفع ، ومتطاول ، كمتطول ، متفضل ، وهو هنا بمعنى مرتفع

(٨) عرائك : قاتلات

ومازال لحظ الراغبين معلقا * الى قمر فيهم رفيع المنازل

وفيه أو فى أبيه يقول أبو سعيد احمد بن شبيب

والى الأمير ابن الأمير تواهقت * رَزْحى الركاب برازحى الركاب[1]

شيم أرق من الهواء بل الهوى * وألذ من ظفر بعُقْب ضِراب[2]

وعزائم لو كنّ يوما أسهما * لنفرن فى الايام غير نواب

مائية الجرَيان الا أنها * نارية الاقدام والإلهاب

يخطرن بين سياسة ورياسةٍ * ويتهن بين مثوبة وعقاب

أدب الواثق

قال عبدالله بن حمدون النديم: لقد رأيت الملوك فى صبرها ، ومجامع خلقها، فما رأيت أغزر أدبا من الواثق ، خرج علينا ذات يوم وهو يقول : لقد عرض عرضة من عرضه لقول الخزاعى ، يريد به دعبلا

خليلىَّ ماذا أرتجى من غنى امرئٍ * طوى الكشح عنى اليوم وهو مكينُ

وان امرأ قد ضنّ عنى بمنطق * يَسُدُّ به من خلّتى لضنينُ

فانبرى احمد بن أبى دؤاد يسأله كأنما نشط من عقال فى رجل من أهل اليمامة فأطنب وأسهب ، وذهب فى القول كل مذهب ، فقال الواثق : ياأبا عبد الله لقد أكثرت فى غير كبير ، ولا طيب ، فقال يا أمير المؤمنين إنه صديقى

وأهون ما يعطى الصديق صديقهُ * من الهيّن الموجود أن يتكلما

فقال وما قدر اليمامى أن يكون صديقك ، وانما أحسبه أن يكون من عرض معارفك. قال يا أمير المؤمنين انه شهرنى بالاستشفاع اليك ، وجعلنى مرأى ومسمعاً

---

(١) تواهقت الابل مدت اعناقها فى السير وتبارت ، ورزحى مهازيل ، والبعير الرازح هو الذى ألقى نفسه من الاعياء وقيل هو الشديد الهزال وبه حراك ، ورزحت الاسفار الرجل فهو مرزح أتعبته وأضنته ، ورزحت حاله وترازحت أحواله مجاز (٢) الضراب القتال

بين الرد والاسعاف ، فان لم أقم لهذا المقام أكون كما قال أمير المؤمنين آنفا

خليلىّ ماذا أرتجى من غنى امرئٍ * طوى الكشح عنى اليوم وهو مكينُ

فقال الواثق بالله يا محمد بن عبد الملك الا عجلت لأبى عبد الله حاجته ، ليسلم من هجنة المطل ، كما سلم من هجنه الرد

ابن أبى دؤاد وابن الزيات

وكان ابن أبى دؤاد من أحسن الناس تأتيا ، وكان يقول ربما أردت ان أسأل أمير المؤمنين الحاجة بحضرة ابن الزيات فأؤخر ذلك الى وقت مغيبه لئلا يتعلم حسن التلطف منى ! وكان بينه وبين محمد بن عبد الملك عداوة عظيمة ، وأمر الواثق أصحابه أن ينهضوا قياما لأبى جعفر اذا دخل ، ولم يرخِّص فى ذلك لأحد ، فاشتد الأمر على ابن أبى دؤاد ، ولم يجد لمخالفة الواثق سبيلا . فوكل بعض غلمانه بمراقبته وموافاته ، فاذا اقبل أخبره فنهض يركع ، فقال ابن الزيات

صلّى الضحى لما استفاد عداوتى * وأراه ينسك بعدها ويصومُ

لا تعدمنّ عداوة موسومةً * تركتك تقعد تارة وتقومُ

كرائم الآمال

وقال الواثق يوما لابن أبى دؤاد تضجرا بكثرة حوائجه : قد أخليت بيوت الأموال بطلباتك للائذين بك ، والمتوسلين اليك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نتائج شكرها متصلة بك ، وذخائرها موصولة لك ، ومالى من ذلك الا عشق اتصال الألسن بخلود المدح ، فقال والله لا منعناك ما يزيد فى عشقك ، ويقوى فى همتك فينا ولنا ، وأمر فأخرج له خمسة وثلاثين الف درهم

بديهة ابن أبي دؤاد

قال أبو العيناء لابن أبي دؤاد إن قوما من أهل البصرة قدموا الى سر من رأى يداً عليّ ، فقال يد الله فوق أيديهم . فقلت ان لهم مكراً. فقال ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله ،فقلت إنهم كثير ، قال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ،والله مع الصابرين. فقلت لله در القاضي فهو كما قالت الصموت الكلابية

لله درك أي جُنة خائفٍ * ومتاع دنيا أنت للحدثان
متخمِّط يطأ الرجال شهامةً * وطء الفنيق مدارج القِردان (١)
ويكبهم حتى تظل رؤسهم * مأمومةً تنحط للغربان (٢)
ويفرج الباب الشديد رِتاجهُ * حتى يصير كأنه بابان (٣)

وكانت هذه المجاوبة بين أبي العيناء وبين أبي العلاء المنقري وكان قد استجاش عليه قوما من أهل البصرة

غزل الاعراب

قطعة من شعر الاعراب في الغزل — ابن ميادة

ألا ليت شعري هل يبيتن أهلنا * وأهلك روضات ببطن الجوى خُضْرا
وهل يأتينّ الريح يدرج موهنا * برياك يغذو ربنا بلدا قفرا
بريح خزامى الرمل بات معانقا * فروع الأقاحي تنهب الطل والقطرا
ألا ليتني ألقاك يا أم جحدرٍ * قريبا فأما الصبر عنك فلاصبرا

(١) تخمط الفحل : هدر ، وتخمط الرجل : تغضب وثار ، وتخمط البحر زخر ، والمتخمط هنا الثائر الهائج ، والفنيق هو الفحل المكرم عند أهله المقرم لا يؤذى ولا يركب ، والقردان جمع القراد (٢) مأمومة : مشجوجة ، و بلغت الشجة أم الدماغ وهي الجلدة التي تجمعه (٣) الرتاج : الاغلاق

وقال

وما روضة بات الربيع يجودُها * على ما بها من حَنْوة وعَرار[١]
بأطيبَ من ريح القرنفل موهناً * بما التف من درعٍ لها وخمارِ

وقال

تجالسنا بنت الدلال تعلقت * عراه بحبات القلوب الهوائمِ
وبيّن ما تخفي من الوجد ودها * غريق الأنامي في الدموع السواجم
جرى الدمع مجرى مائه فكففنهُ * بعناب أطراف الأكف النواعم
ورد التحيات الهوى من عيونها * بيقظان طرفٍ في مَخيلة نائم

وقال العلاء بن موسى الجهني

ولما رأتني مخطراً شوكة العدى * ردى النفس مجتابا الى غير موعدِ
جلت داجيَ الظلماء منها بسُنةٍ * ونحر مشوبٍ لونهُ بالزبرجدِ[٢]
وبالشَّذر مسبوكا كأن التهابه * تلهب جمر الفرقد المتوقد[٣]
وجاءت كسل السيف لو مرمشيها * على البيض أمسى سالما لم يخضّد
فبتنا ولم نكذبك لو أن ليلنا * الى الحول لم نملل وقلنا له ازددِ
نذودُ النفوس الضاريات عن الهوى * ذياداً ونسقيهم سقيّ المصرّد
فلما بدا ضوء الصباح وراعنا * مع الصبح صوت الهاتف المتسهّد
نهضنا بشخص واحد في عيونهم * نطا في حواشي الأتحمّي المعضد[٤]
الى جنة منهم وسلمت غاديا * عليها سلام الباكر المتزود
وولّت وأغباش الدجى مرجحنةٌ * تأطّر غصن البانة المتأود[٥]

---

(١) يجودها : يعطرها ، والحنوة الريحانه ، والعرار ورد أصفر طيب الرائحة
(٢) السنة الجبين (٣) الشذر قطع من الذهب تلقط من معدنه بلا إذابة. أو خرز يفصل بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار (٤) الأتحمي : البرد المخطط
(٥) مرجحنة. متماوجة ، والتأطر التمايل ، ومثله التأود

وقال اعرابى من طيء

وأحور يصطاد القلوب وماله * من الريش الازعفرانٌ واثمدُ (١)

وما كنت أخشى الفتك ممن سلاحه * سوار وخلخال وطوق منضدُ

خليليّ بالله اقعدا فتبيّنا * وميضاً ترى الظلماء منه تقدّد

وأشنب براق الثنايا غروبُهُ * من البَرَد الوسميّ أصفى وأبردَ (٢)

تكشّف اعراض السحاب كأنهُ * صفيحة هنديّ تسلّ وتغمد

فبت على الاحياء ليلا أشيمهُ * أقوم له حتى الصباح وأقعد

هذا فى البرق كقول الطرماح فى النور

يبـدو وتضمره البلاد كأنهُ * سيف على شرف يسل ويغمد

وقال بشار

أعددت لى عتبا بحيكمُ * ياعبد طال بحيكم عتبى

ولقد تعرض لى خيالكمُ * فى القُرط والخلخال والقُلْبِ (٣)

فشربت غير مباشر حرجاً * برضاب أشنبَ باردٍ عذب

طيف الخيال

وقال المتنبى

بتنا يناولنـا المدام بكفهِ * من ليس يخطر أن نراه ببالهِ

نجني الكواكب من قلائد جيده * وتنال عين الشمس من خلخالهِ

وأول شعر أبى الطيب

لا الحـلم جاد به ولا بمثالهِ * لولا ادكار وداعه وزيالهِ (٤)

ان المعيد لنـا المنام خيالهُ * كانت اعادته خيال خيالهِ

(١) الاثمد : الكحل (٢) الاشنب من الشنب بالتحريك وهو برد ورقة وعذوبة فى الاسنان. والغروب جمع غرب وهو الريق ، والوسمى مطر الربيع الاول ، ويقابله الولى ، لانه يليه فى النزول (٣) القلب بالضم السوار (٤) الزيال الفراق

انى لأبغض طيف من أحبته * إذ كان يهجر فى زمان وصاله

يقول التمثل والتخيل فى اليقظة أعاد خياله فى المنام فكأن الخيال الذى فى النوم خيال الخيال الذى تصور فى اليقظة . وأظهر من هذا قول الطائى

زار الخيال لها لا بل ازاركه * فكر اذا نام فكر الخلق لم ينم

ظبى تقنصته لما نصبت له * فى آخر الليل أشراكاً من الحلم

أما بيته الاول فمن قول جميل

أخفيت طيفك من طيف ألم به * حدثت نفسك عنه وهو مشغول

وقال ذو الرمة

نأت دار مىٍّ أن تزار وزورها * اذا ماد جا الاظلام منى وساوس

اذا نحن عرّسنا بأرض سرى لنا * هوًى لبسته بالقلوب اللوابس[1]

وبيته الثانى ألم فيه بقول قيس بن الملوح

وانى لأستغشى ومابىَ نعسة * لعلّ خيالا منك يلقى خياليا

وأخرج من بين الجلوس لعلنى * أحدث عنك النفس فى السر خاليا

تقطع انفاسى بذكرك أنفساً * يردن فما يرجعن الا صواديا

وقد قال فيه قيس بن ذريح

وانى لأهوى النوم فى غير نعسةٍ * لعل لقاء فى المنام يكون

تخبرنى الاحلام انى أراكم * فياليت أحلام المنام يقين

وكان البحترى أكثر الناس ابداعا فى الخيال ، حتى صار لاشتهاره مثلا يقال له خيال البحترى ، وفى بعض ذلك يقول :

ألمّت بنا بعد الهدوّ فسامحتْ * بوصل متى تطلبه فى الجد تمنع[1]

فمابرحت حتى بدا الليل وانقضى * وأعجلها داعى الصباح الملمّع[2]

(١) التعريس النزول فى آخر الليل (٢) ألمت : نزلت (٣) الملمع : الذى يلمع

فولّت كأن البين يخلج شخصها * أوانَ تولّت من حشايَ واضلعى [١]

وقال :

سقى الغيث أجراعا عهدت بنجدها * غزالا تراعيه الجآذر أغيدا [٢]

اذاما الكرى أهدى الىّ خياله * شفى قربه التبريح أو نقع الصدى

فلم أر مثلَيْنا ولا مثل شاننا * نُعذّب أيقاظاً وننعَم هُجَّدا

وقال :

بلى وخيالٍ من أثيلة كلما * تأوهت من وجدى تعرّض يُطمعُ

ترى مقلتى مالا ترى من لقائهِ * وتسمع أذنى رَجْع ما ليس تسمع

قوله فى البيت الأخير من قول الحسين بن الضحاك

وماذا يفيدك طيف الخيا * ل والهجر حظك ممن تحبْ

غَناءٌ قليلٌ ولكننى * تمنيته بقنوع المحب

خدع المنى

وللحسين فى هذا المعنى وان لم يكن فى ذكر الخيال .

وصف البدر حسن وجهك حتّى * خلت أنى وما أراكَ أراكَ

واذا ما تنفّس النرجس الغضـ * ـض توهمته نسيم جَناكَ

خِدَعٌ للمنى تعللنى فيـ * ـك باشراق ذا ونكهة ذاكَ [٣]

طرد الخيال

وأول من طرد الخيال طرفة بن العبد فقال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب * اليها فانى واصل حبل من وصلْ

---

(١) يخلج : ينزع (٢) الجآذر جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية

(٣) النكهة رائحة الفم

فتبعه جرير فى قوله فقال :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * حين الزيادة فارجعى بسلام

قال البحترى ونفى هذا المعنى بقوله

قد كان منى الوجد غِبَّ تذكر * اذ كان منك الصد غب تناسى

تجرى دموعى حيث دمعك جامدٌ * ويلين قلبى حيث قلبك قاسى

ما قلت للطيف الملم ألا ابتعد * عنى وما نهنهتُ حامل كاسى

وقال ابن هانىء الأندلسى

ألا طرقتنا والنجوم ركودُ * وفى الحىّ أيقاظٌ ونحن هُجود

وقد أعجل الفجر الملمّع خُطوها * وفى أخريات الليل منه عمود

سرت عاطلا غضبى من الدر وحده * فلم يدر نَغر ما دهاه وجيدُ

فما برحت الا ومن سلك أدمعى * قلائد فى لبّاتها وعقود

ألم يأتها انا كبرنا عن الصبا * وانا بلينا والزمان جديد

سماحة الطيف

وقال على بن محمد الأيادى

أما انه لولا الخيال المراجعُ * وعاص يُرى فى النوم وهو مطاوعُ

لأشفق واستحيا من النوم والهُ * يُرى بعد روعات الهوى وهو هاجع

وقال أيضاً

طيف يزورك من حبيب هاجر * أهلا به وبطيفه من زائرِ

شقّ الدجى وسرى فأمعن فى السرى * حتى ألمّ فبات بين محاجرى

يحدو به هيَف القوام المنثنى * نحوى وسالفة الغزال النافر

لله درك من خيالٍ واصلٍ * أسرى فأنصف من حبيب هاجرِ

علّلت علة قلب صب هائم * وقضيت ذِمة فيض دمع قاطرِ

وقال عبد الكريم بن ابراهيم

لم أدر معناك لولا المسك والعطر * وزفرة لملم عنده خَفَرُ

سرى يعارض أنفاس الرياح بما * تحمل الورد منه وانثنى الزهَرُ
يخفى بثوب الدجى مسراه مستتراً * ومن تقنّع صُبحا كيف يستتر
كأن أعين واشيه تراقبهُ * فيه فيدمج اخبارى فيختصرُ

وقال :

أهلا به من زائر معتاد * والليل يرفل فى ثياب حدادِ
يتجاوز الرايات يخفق ظلها * ويشق ملتفّ القنا الميّادِ
أنّى اهتدى فى ظل أخضر مُغدقٍ * حتى تيمم بالعناء وسادى
فأرق من كبد المتيم مقدماً * فى حيث ينبو الحارث بن عُبَاد
معتادة أمنت نمام حَلْيها * والحَلْيُ نمّام على العُوّاد
وكأنما ياقوتها فى نحرها * متوقّد مما يجن فؤادى

عقال بن شبة

خطب صالح بن أبى جعفر المنصور فى بعض الأمر فأحسن ، فأراد المنصور أن يثنى عليه فلم يجسر أحد على ذلك لمكان المهدى ، وكان مرشّحا للخلافة ، وخافوا أن لا يقع الثناء على أخيه بموافقته ، فقام عقال بن شبة فقال : ما رأيت أبين بيانا ، ولا أفصح لسانا ، ولا أحسن طريقا ، ولا أعيص عروقا ، من خطيب قام بحضرتك يا أمير المؤمنين ، وحقٌ لمن كان أمير المؤمنين أباه ، والمهدى أخاه ، أن يكون كما قال زهير

يطلب شأو امرأين قدّما حسناً * بزّا الملوك وبزّا هذه السُّوَقا
هو الجواد فان يلحق بشأوهما * على تكاليفه فمثله لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهل * فبالذى قدما من صالح سبقا

فعجب الناس من حسن تخلصه ، فقال أبو جعفر لا ينصرف التميمي الا بثلاثين ألفا

قال أبو عبد الله كاتب المهدى ما رأيت مثل عقال قط فى بلاغته ، أرضى المنصور ، وسلم من المهدى

زهير وهرم بن سنان

وفى قصيدة زهير هذه يمدح هرم بن سنان بن أبي حارثة المرى

قد جعل المبتغون الخير فى هرم * والسائلون الى أبوابه طُرُقا
من يلق يوماً على علاته هرماً * يلق السماحة منه والندى خُلقا
وليس مانع ذى قربى وذى رحم * يوما ولا مُعْدِماً من خابطٍ ورقا (١)
ليث بعثَّر يصطاد الرجال اذا * ما كذّب الليث عن اقرانه صدقا (٢)
يعطونهم ما ارتموا حتى اذا طعنوا * أربّ حتى اذا ما ضارب اعتنقا
فضل الجياد على الخيل البطاء فلا * يعطى بذلك ممنونا ولا نزقا
هذا وليس كمن يعيى بحجته * وسط النداء اذا ما ناطق نطقا
لو نال حيٌّ من الدنيا بمكرمةٍ * أفق السماء لنالت كفه الافقا

وكان زهير كثير المدح لهرم — ويروى أن بنتا لسنان بن أبى حارثة لاقت بنتا لزهير بن أبى سلمى فى بعض المحافل ، واذا لها شأن وحال حسنة ، فقالت قد سرنى ما أرى من هذه الشارة والنعمة عليك، فقالت: انها منكم . فقالت بلى والله لك الفضل ، اعطينا كم ما يفنى ، وأعطيتمونا ما يبقى ! وقد قيل ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لا بنة هرم بن سنان ما وهب أبوك لزهير ؟ قالت أعطيناه مالا وأثاثا أفناه الدهر ، قال لكن ما أعطاكموه لا تفنيه الدهور ، وقد صدق عمر رضى الله عنه ، لقد أبقى زهير لهم مالا تفنيه العصور ، ولا تخلقه الدهور ، ولا يزال به ذكر الممدوح ساميا ، وشرفه باقيا، فقد صار ذكرهم عَلما منصوبا ، ومثلا مضروبا ، قال الطائى وذكره فى شعره

مالى ومالك شبهٌ حين أذكرهُ * الا زهير وقد أصغى الى هرم

---

(١) كناية عن الجود . وأصل ذلك أن يضرب الرجل الشجر ليعلف بورقه الماشية (٢) عثر : اسم مأسدة

وقال يوسف الجوهرى يمدح الحسن بن سهل

لو أن عينى زهير أبصرت حسنا * وكيف يصنع فى أمواله الكرمُ
اذن لقال زهير حين يبصرهُ * هذا الجواد على العلات لاهرمُ

وقال آخر ويدخل فى باب تفضيل الشعر

الشعر يحفظ ما أودى الزمان بنا * والشعر أفضل ما يجنى من الكرم
لولا مقال زهير فى قصائده * ما كان يعرف جُودٌ كان من هرم

وقيل اعطى هرم العطاء الجزيل عوض قول زهير فيه

تالله قد علمت سراة بنى * ذبيان عام الحبس والأمر
أنْ نعم حشو الدرع أنت اذا * دُعيت نزالِ ولُجّ فى الذعر (١)
حامى الذمار على محافظة الجُـــلّى أمين مغيّب الصدر (٢)
حَدِبٌ على المولى الضريك اذا * ضاقت عليه نوائب الدهر (٣)
ومرهق النيران يحمد فى الـ * لأواء غير ملعّن القِدر (٤)
والستر دون الفاحشات وما * يلقاك دون الخير من شر

وقال :

ان البخيل ملوم حيث كان ولـــكن الجواد على علاته هرمُ
هو الكريم الذى يعطيك نائلهُ * عفوا ويظلم أحياناً فينظلم
وان أتاه خليل يوم مسئلةٍ * يقول لاغائبٌ مالى ولا حرم

الخليل الذى أخلّ به الفقر ، الى غير ذلك من مختار مدحه فيه

(١) نزال : اسم فعل بمعنى انزل وهى تقال عند القتال (٢) الجلى النائبة الشديدة . وهى هنا بمعنى العشيرة (٣) الضريك من به ضر (٤) مرهق النيران هو الذى يؤم السارون نحو ناره ، واللاواء الشدة ، وملعن القدر هو البخيل

نصيب وعبد الله بن جعفر

ولما امتدح نصيب عبد الله بن جعفر رضى الله عنه أمر له بإبل ، وخيل ، وثياب ، ودنانير ، ودراهم ، فقيل له : تعطى هذا القدر لأسود ؟ فقال ان كان أسود ، فان شعره أبيض ، وان كان عبدا فان ثناءه لحر ، ولقد استحق بما قال أكثر مما أعطى ، وهل أعطيناه الا ثيابا تبلى ، ومالا يفنى ، ومطايا تنضى ، وأعطانا مديحاً يروى ، وثناء يبقى ؟

الاخطل وبنو أمية

وقال الأخطل يعتدّ على بنى أمية بمدحه لهم :

ابنى أمية ان أخذت نوالكم * فلما أخذتم من مديحى أكثرُ

أبنى أمية لى مدائح فيكمُ * تُنسون ان طال الزمان وتُذكرُ

أبو تمام ومحمد بن حسان

ولما مدح أبو تمام الطائى محمد بن حسان الضبى بقصيدته التى أولها

فسقى طلولهم أجشُّ هزيم * وغدت عليهم نضرة ونعيمُ

وصله بمال كثير ، وخلع عليه خلعة نفيسة فقال يصفها

قد كسانا من كسوة الصيف خِرقٌ * مكتسٍ من مكارم ومساعِ (١)

حلة سابرية وكساء * كسحا البيض أورداء الشجاع (٢)

كالشراب الرقراق فى الحسن الا * انه ليس مثله فى الخداع

ترجف الريح متنه حين يلقا * ك بأمر من الأمور مطاع

وجفانا كأنما الدهر منه * كبد الضب أوحشى المرتاع

لازما ما يليه تحسبه جزّ * من المتن أو من الأضلاع

---

(١) الخرق : الفتى الحسن الكريم الخليقة (٢) سحا البيض قشره ، والشجاع الثعبان

كسوة من أعز ادرع رحب الـــــصدر رحب الفؤاد رحب الذراع

سوف أكسوك ما يعفّى عليها * من ثنــاء كالبرد برد المضاع

حسن هاتيك فى العيون وهذا * حسنه فى القلوب والاسماع

فقال لعنه الله ان بقى عندى ثوب ، أو يصل الى أبى تمام ، وأمر بحمل مافى خزائنه اليه

بلاغة أبى تمام

قال ابراهيم بن العباس الصولى لأبى تمام: الكلام يا أبا تمام رعية لاحسانك ، قال لأنى أستضيء بنورك ، وأرد شريعتك . وكان الطائى مع جودة شعره بليغ الخطاب ، حاضر الجواب ، وكان يقال: زين المرء اثنان اللسان البليغ والشعر الجيد

وقال الحسن ابن جنادة الوشاء : انصرف أبو تمام من عند بعض أصحاب السلطان فوقف علىّ ، فقلت من أين ؟ فقال كنت عند بعض الملوك فأكلنا طعاما طيبا ، وفاكهة فاضلة ، وبخّرنا وخلّقنا ، فخرجت هاربا من المجلس ، تائقا الى التسلى ، ومافى منزلى نبيذ ، ولكن عندى خمر أريده لبعض الأدوية ، فقال دع اسمه ، واعطنا جسمه ، فليس يثنينا عن المدام ، ماهجنته به من اسم الحرام

أبو عبد الله معاوية بن بشار

قال عبد الله بن محمد بن صدقة كنا عند أبى عبد الله فدخل عليه اعرابى قد كان له عليه وعد ، فقال له : أيها الشيخ السيد ، انى والله أستحث على كرمك ، وأستوطئ فراش مجدك ، وأستعين على نعمك بقدرك ، وقد مضى لى وعدان ، فاجعل الصلح ثالثا ، أشد لك الشكر فى العرب شادخ الغرة ، بادن الأوضاع ، فقال أبو عبد الله ما وعدتك تعذيرا ، ولا أخرتك تقصيرا ، ولكن الاشغال تقطعنى ، وتأخذ بأوفر الحظ منى ، وأنا أبلغ لك الجهد فى الكفاية ، ومنتهى الوسع بأوفر مأمول ، واحمد عاقبة ، وأقرب أمد ، ان شاء الله تعالى . فقال الاعرابى

ياجلساء الصدق ، قد أحصرني التطول ، فهل من معين منجد ، ومساعد منشد ؟ فقال بعض احداث الكتاب لأبي عبد الله أصلحك الله والله لقد قصدك ، وما قصدك حتى أملك ، وما أملك الا بعد ان أجال النظر ، فأمن الخطر ، وأيقن بالظفر ، فحقق له أمله بتهيئة القليل ، وتهنئة التعجيل قال. الشاعر

اذا ما اجتلاه الوجد عن وعد آمل * يسوّف عن بشر ليستكمل الشكرا

ولم يثنه مطل الغداة عن التي * تصون له الحمد الموفر والاجرا

فأحضر أبو عبد الله للاعرابي عشرة آلاف درهم ، وقال الاعرابي للفتى خذها فأنت سببها فقال شكرك أحب الى منها . فقال له أبو عبد الله خذها فقد أمرنا له بمثلها ، فقال الاعرابي: الآن كملت النعمة، وتمت المنة (وكان) أبو عبد الله واسع الصدر كامل الدرك في الكرم والبلاغة ، واسمه معاوية ابن عبدالله بن بشار وكان يقول : ان نخوة الشرف تناسب بطر الغنى ، والصبر على عقوق الثروة أشد من الصبر على ألم الحاجة ، وذل الفقر يسعى على عز الصبر ، وجور الولاية مانع من عدل الانصاف ، الا من كان بعيد الهمة . وكان يقول السلطان عزمه قوة على شهوته . وكان يقول : لا يكسر رأس الا في أخس رتان ، وأرذل سلطان ، ولا يعيب العلم الا من انسلخ عنه ، وجزع منه . وكان يقول : حسن البشر علم من اعلام ، ورائد من روائد ، وما أحسن ما قال زهير

تراه اذا ماجئته متهللا * كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وقال له المهدي بعد أن قتل ابنه على الزندقة لا يمنعك ماسبق القضاء في ولدك ، من تقديم نصحك ، فاني لا أعرض لك رأيا على تهمة ، ولا أؤخر لك قدما عن رتبة ، فقال يا أمير المؤمنين انما كان من نبت احسانك أرضه ، ومن تفقدك سماؤه ، وأنا طاعة أمرك ، وعبد نهيك ، وبقية رأيك ، الى أحسن الخلف عندي ، وكان يقول العالم يمشي البر آمنا ، والجاهل يهبط الغيطان كامناً ، ولله در زهير حيث يقول

الستر دون الفاحشات وما * يلقاك دون الخير من ستر

الحسن بن قحطبة

وقال أبو عبد الله ذاكرنى المنصور فى أمر الحسن بن قحطبة فقال : كان أوثق الناس عندى ، وأقربهم من قلبى ، فلما لقى أبا حنيفة انتكث . فقلت ان بدت نيته فسيضعه الباطل كما رفعه الحق ، وتشهد مخايله عليه كما شهدت له ، فنعدل فى أمره من شك الى يقين . ثم قال لى اكتم علىّ ما ألقيت اليك

مروءة أبى عبد الله

قال عمران ابن شهاب استعنت على أبى عبد الله فى أمر ببعض اخوانه وكان قد تقدم سؤالى إياه فيه ، فقال لى : لولا ان حقك لا يجحد ولا يضاع ، لحجبت عنك حسن نظرى ، أظننتنى أجهل الاحسان حتى أعلَّمه ، ولا أعرف موضع المعروف حتى أعرَّفه ؟ لو كان لا ينال ماعندى الا بغيرى ، لكنت مثل البعير الذلول ، يحمل عليه ولا يمل الثقل ، ان قِيد انقاد ، وان أنيخ برك ، لايملك من نفسه شيأ ، فقلت معرفتك بموضع الصنائع أثبت معرفة ، ولم أجعل فلانا شفيعا إنما جعلته مذكرا ، قال : وأى إذكار أبلغ عندى فى رعى حقك ، من مسيرك الىّ وتسليمك علىّ ، انه متى لم يتصفح المأمول اسماء مؤمليه غدوة ورواحا لم يكن للأمل محلا ، وجرى عليه الغدر لمؤمليه بما غدر ، وهو غير محمود على ذلك ، ولا مشكور ، ومالى امام بعد وردى من القرآن الا أسماء أهل التأميل ، حتى أعرضهم على قلبى ، فلا تستعن على شريف الا بشرفه ، فانه يرى ذلك عيبا لعُرفه ، وأنشد .

وذاك امرؤ ان تأته فى عظيمةٍ * الى بابه لا تأته بشفيعِ

ومن توقيعاته : الحق يعقب صلحا وظفرا ، والباطل يورث كذبا وندما (وكتب اليه رجل : ز النفس مولعة بحب العاجل ، فكتب اليه : لكن العقل الذى جعله الله للشهوة زماما ، وللهوى رباطا ، موكل بحب الآجل ، مستصغر لكل كثير زائل

زياد الحارثى

قال مصعب بن عبد الله الزبيرى : وفد زياد الحارثى على المهدى وهو بالرى ولىّ عهد فأقام سنتين لا يصل اليه شئٌ من رِفده ، وهو ملازم كاتبه أبا عبد الله ، فلما طال أمره دخل على كاتبه فأنشد

ما حُلت حولين مرّا عن مطالبةٍ * ولا مقامَ لذى دين ولا حسبِ
لئن رحلت ولم أظفر بفائدةٍ * من الأمير لقد أعذرت فى الطلب

فوقّع أبو عبد الله : يصنع الله لك ! فكتب اليه

ما أردت الدعاء منك لأنى * قد تيقنت أنه لا يجابُ
أيجاب الدعاء من مستطيل * جُل تسبيحه الخنا والسباب

الاستطالة والكبرياء والجبن

ألفاظ لأهل العصر فى ذكر الاستطالة والكبر وما يشاكل ذلك من معانيها ويطرق نواحيها من المساوى والمقابح * (فلان) لسانه مقراض للاعراض ، لا يأكل خبزه الا بلحوم الناس ، هو غرض يرشق بسهام الغيبة ، وعلم يقصد بالوقيعة ، قد تناولته الألسن العادلة ، وتناقلت حديثه الأندية الحافلة ، قد لزمه عار لا يمحى رسمه ، ولزمه شنار لا يزول وسمه ، فأصبح غرضا لسهام العائبين ، وألسنة القادحين ، وقلد نفسه عظيم العار والشنار ، وألبسها لبسته الخالدة على الليل والنهار ، قد أسكرته خمرة الكبر ، واستغرقته لذة التيه ، كأن كسرى حامل غاشيته ، وقارون وكيل نفقته ، وبلقيس احدى داياته ، وكأن يوسف لم ينظر الا بمقلته ، وداود لم ينطق الا بنغمته ، ولقمان لم يتكلم الا بحكمته ، والشمس لم تطلع الا من جبينه ، والغمام لم يبد الا من يمينه ، وكأنه امتطى السماكين ، وانتعل الفرقدين ، وتناول النيّرين باليدين ، وملك الخافقين ، واستعبد الثقلين ، وكأن

الخضراء له عرشت ، والغبراء له فرشت (فلان) له من الطاوس رجله ، ومن الورد شوكه ، ومن الماء زبده ، ومن النار دخانها ، ومن الخمر خُمارها ، قد هبت سمائم نمائمه ، ودبت مكايد عقاربه ، والنمام يحارب بسيف كليل الا أنه يقطع ، ويضرب بعضد واهن الا أنه يوجع ، هو تمثال الجبن ، وصورة الخوف ، ومقر الرعب ، فلو سميت له الشجاعة لخاف لفظها قبل معناها ، وذكرها قبل فحواها ، وفزع من اسمها دون مسماها : فهو يهلك من تخوفه أضغاث الاحلام ، فكيف بمسموع الكلام ، اذا ذكرت السيف لمس رأسه هل ذهب ، ومس جبينه هل ثُقب ، كأنه أسلم فى كتاب الجبن صبيا ، ولُقن كتاب الفشل أعجميا ، وعده برق خلب ، وروغان ثعلب ، غيم رعده جَهام ، وسيف حده كَهام ، حصلت منه على مواعيد عرقوبية ، واحزان يعقوبية ، قد حرمنى ثمر الوعد ، وجرنى على شوك المطل ، فتى له وعد اخدع من البرق الخلب خلقا ، وقد تناول من العارض الجهام طبقا ، وتركنى أرعى رياض رجاء لا ينبت ، وأجنى ثمار أجل لا يورق ، فأنا فى ضمان الانتظار ، وإسار عدة ضمار ، هل يرسل برقه ، ولا يسيل ودقه ، ويعدم رعده ، فلا يمطر بعده ، وعده الرقم على بساط الهواء ، والخط على بسيط الماء

أخذ هذا من قول أبى الفضل بن العميد

لا أستفيق من الغرام ولا أرى * خِلوا من الاشجان والبرحاء
وصروف أيام أقمن قيامتى * سوء الخليط وفرقة القرناء
وجفاء خل كنت أحسب أنهُ * عونى على السراء والضراء
ثَبْت العزيمة فى العقوق ووده ُ * متنقّل كتنقل الافياء
ذى مَلة يأتيك أثبت عهدهِ * كالخط يرسم فى بسيط الماء

أردت هذا البيت — هو صخرة خلقا ، لايستجيب للمرتقى ، وحية صماء لا تسمع الرُّقى ، كأنى استمر بالجو رعودا ، وأهزمنه بالدعاء طودا ، هو ثانى العطف ، عاجز القوة ، قاصى المُنة ، يتعلق باذناب المعاذير ، ويحيل على ذنوب المقادير ،

هو كالنعامة تكون جملا اذا قيل لها طيرى ، وطائرا اذا قيل لها سيرى ، يفاض له ببذل ، ولا يفوض اليه شغل ، وعلاً له وطب ، ولا يدفع به خطب ، قد وفر همه على مطعم يجوده ، وملبس يجدده ، ومرقد يمهده ، وبنيان يشيده

هذا كقول الحطيئة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ＊ واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

قلب نغل ، وصدر دغل ، وطوية مغلولة ، وعقيدة مدخولة ، صفوه رنق ، وبره ملق ، قد ملئ قلبه رينا ، وشحن صدره مينا ، يدعى الفضل وهو فيه دعى ، دأبه بث الخدائع ، والنفث فى عقد المكايد ، ضمير دخبث ، ويمينه حنث ، وعهده نكث ، هو سحابة صيف ، وطارق ضيف ، قوته غنيمة ، والظافر به عزيمة ، هو العود المركوب ، والوتر المضروب ، يطؤه الخف والحافر ، ويستضيمه الوارد والصادر ويصغر عن الفكر — ذاته لا يوسم اغفالها ، وصفته لا تفرج اقفالها ، هو أقل من تبنة فى لبنة ، ومن قلامة فى قامة ، هو مدب الشطرنج فى القيمة والقامة ، جهله كثيف ، وعقله سخيف ، لا يستزين العقل بتحف ، ولا يستملى إلا على سخف يمد يد الجنون فيعرك بها اذن الحزم ، ويفتح جراب السخف فيصفع به قفا العقل ، لا تزال الاخبار تورد سفائح جهله وخرقه ، والأنباء تنقل نتائج سخفه وحمقه ، رجل يتعثر فى فضول جهله ، ويتساقط فى ذيول عقله ، هو سمين المال مهزول النوال ، ثروة فى الثريا وهمة فى الثرى ، وجهه كهول المطلع ، وزوال النعمة ، وقضاء السوء ، وموت الفجأة ، هو قذى العين ، وشجى الصدر ، وأذى القلب ، وجمر الروح ، وجهه كآخر الصك ، وظلم الشك ، كأن النحس يطلع من جبينه ، والخل يقطر من وجنتيه ، وجهه طلعة الهجر ، ولفظه قطع الصخر وجهه كحضور الغريم ، وحصول الرقيب ، وكتمان الغزل ، وفراق الحبيب ، له من الدينار نضرته ، ومن الورد صفرته ، ومن الليل ظلمته ، ومن الاسد نكهته ، هو عصارة لؤم فى مرارة خبث ، لأم فى أسقط جُنة ، حديث النعمة ، خبيث

الطعمة ، حثيث المركبَ لئيم المنقب ، يكاد من لؤمه يعدى من جلس إلى جنبه ، أو تسمى باسمه ، قد ارتضع بلبان اللؤم ، وربى فى حجر الشؤم ، وفطم عن ثدى الخير ، ونشأ فى عرصة الخبث ، وطلق الكرم ثلاثا ، لم ينتظر فيه استثناء ، واعتق المجد بتاتاً لم يستوجب عليه ولاء ، حمار مبطن مقرون بتيس ، مطرر بطرر من لؤم مادر ، لم تهتد له فطنته بناذر ، هو قصير المشبه ، صغير القدر ، ضيق الصدر ، ودأن قيمة مثله ، فى خبث أصله ، وفرط جهله ، لا أمس ليومه ، ولا قدم لقومه ، سائله محروم ، وماله مكتوم ؛ لا يحل الفاقة ، ولا يحل خناقة ، خيره كالعنقاء تسمع بها ولا ترى ، خبزه فى حالق ، وأدامه فى شاهق ، غناه فقر ومطبخه قفر ، يملأ بطنه والجار جائع ، ويحفظ ماله والعرض ضائع ، قد أطاع سلطان البخل ، وانخرط كيف شاء فى سلكه ، هو ممن لا يبض حجره ، ولا يثمر شجره ، سكيت الحلبة ، وساقة الكتيبة ، وآخر الجريدة ، لعنة الغائب ، وعرضة الشاهد والغائب ، هو عيبة العيوب ، وذَنوب الذنوب

وقال أبو الفضل الميكالى

وطلعة بقبحها قد شهرتْ * تحكى زوال نعمة ماشكرتْ
كأنها عن لحمها قد قشرت * أقبحْ بها صحيفة قد نشرت
عوانها اذا الوحوش حشرت * يلعنها ما قدمت وأخرت
ان سار يوماً فالجبال سيِّرت * أودام أكلا فالجحيم سعرت
صاحبها ذو عورة لو سترت

رسالة لبديع الزمان

ومن هذه الانواع رسالة لبديع الزمان الى القاضى على ابن أحمد يشكو أبا بكر الحيرى القاضى ويذمه . وقد أطلت عنان الاختيار فيها لصحة مبانيها ، وارتباط ألفاظها بمعانيها

الظّلامة أطال الله بقاء القاضى اذا أنت من مجلس القضاء ، لاتزف الا إلى سيد القضاة . وما كنت لأقصر سيادته على الحكام ، دون سائر الانام ، لولا اتصالهم بسببه ، واتسامهم بلقبه ، وهبهم مطفلين على قسمه ، مغيرين على اسمه ، ألهم فى الصحة اديم كأديمه ، أو قديم فى الشرف كقديمه ، أو حديث فى المكارم كطريفه ، فهنيئاً لهم الاسماء وله المعاني ، ولا زالت لهم الظواهر ، وله الجواهر ولا غرو أن يسموا قضاة فما كل مائع ماء ، ولا كل سقف سماء ، ولا كل سيرة عدل العمرين ، ولا كل قاض قاضى الحرمين ، ويالثارات القضاء ما أرخص بيع ، وأسرع ما أضيع ، وألسنة الانذار ، قبل خلو الديار ، وموت الخيار ، ألا يغار لحلى الحسناء ، على السوداء ، ومركب أولى السياسة ، تحت الساسة ، ومجلس الانبياء من تصدر الاغبياء ، وحمى البزاة من صيد البغاث ، ومربع الذكور من تسلط الاناث ؟ ويالالرجال ، وأين الرجال ، ولى القضاء من لايملك من آلاته غير السّبال ، ولا يعرف من أدواته غير الاعتزال ، ولا يتوجه من التفرقة إلا فى العيال ، ولا من أحكامه الا الى الاستحلال ، ولا يحسن من الفقه غير جمع المال ولا يتقن من الفرائض إلا قلة الاحتفال ، وكثرة الافتعال ، ولا يدرس من أبواب الجدال الا قبيح الفعال ، وزور المقال ، ذاك أبو بكر القاضى أضاعه الله كما أضاع أمانته ، وخان خزانته ، ولا حاطه من قاض فى صولة جندى ، وسبلة كردى ، إلى أن قال : أيكفى أن يصبح المرء بين الزق والعود ، ويمسى بين موجبات الحدود ، حتى يكمل شبابه ، وتشيب أترابه ، ثم يلبس دنيته ، ليخلع دينيته ، ويسوى طيلسانه ، ليحرف يده ولسانه ، ويقصر سباله ، ليطيل حباله ، ويبدى شقاشقه ، ليستر مخارقه ، ويبيض لحيته ، ليسود صحيفته ، ويظهر ورعه ، ليخفى طمعه ، ويغشى محرابه ، ليملأ جرابه ، ويكثر دعاءه ، ليحشو وعاءه ، ثم يخدم بالنهار امعاءه ، ويعالج بالليل وجاءه ، ويرجو أن يخرج من بين هذه الاحوال عالما ، ويقعد حاكما ؟ هذا إذا المجد كالوه بالقفزان ، وباعوه فى سوق الخسران !

هيهات حتى ينسى الشهوات ، ويجوب الفلوات ، ويعتضد المحابر ويحتضن الدفاتر ، وينتج الخواطر ، ويحالف الاسفار ، ويعتاد القفار ، ويصل الليلة باليوم ، ويعتاض السهر عن النوم ، ويحمل على الروح ، ويجنى على العين ، وينفق من العيش ، ويخزن فى القلب ، ولا يستريح من النظر إلا إلى التحديق ، ولا من التحقيق إلا إلى التعليق ، وحامل هذه الكلف ان أخطأه رائد التوفيق ، فقد ضل عن سواء الطريق ، وهذا الحيرى رجل قد شغله طلب الرياسة عن تحصيل آلاتها ، وأعجله حصول الأمنية عن تمحل أدواتها

وانكلب أحسن حالة * وهو النهاية فى الخساسه
ممن تصدى للريا سة قبل إبان الرياسه

فولى المظالم وهو لا يعرف أسرارها ، وحمل الأمانة وهو لا يدرى مقدارها ، والأمانة عند الفاسق ، خفيفة المحمل على العاتق ، تشفق منها الجبال ، وتحملها الجهال ، وقعد مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حديثه يروى ، وكتاب الله يتلى ، وبين البينة والدعوى ، فقبحه الله تعالى من حاكم لاشاهد عنده أعدل من السلة والجام ، يدلى بهما الى الحكام ، ولا مزكى أصدق لديه من الصفر ، ترقص على الظفر ، ولا وثيقة أحب اليه من غمزات الخصوم ، على الكيس المختوم ، ولا كفيل أوقع لوفاقه من خبيثة الذيل ، وحمال الليل ، ولا وكيل أعز عليه من المنديل والطبق ، فى وقت الغسق والفلق ، ولا حكومة أبغض اليه من حكومة المجلس ، ولا خصومة أوحش لديه من خصومة المفلس ، ثم الويل للفقير اذا ظُلم ، لا يغنيه موقف الحكم ، الا بالقتل من الظلم ، ولا يجير د مجلس القضاء ، الا بالنار من الرمضاء ، وأقسم لو أن اليتيم وقف بين أنياب الأسود ، بل الحيات السود ، لكانت سلامته منهما أرجى من سلامته اذا وقع من هذا القاضى بين عقاربه وأقاربه ، وماظن القاضى بقوم يحملون الأمانة على متونهم ، ويأكلون النار فى بطونهم ، حتى تغلظ قصراتهم من مال اليتامى ، وتسمن أكفالهم من غزل الأيامى ، وماظنك بدار

عمارتها خراب الدور ، وعطلة القدور ، وخلاء البيوت ، من الكسوة والقوت ، وما قولك فى رجل يعادى الله فى الفلس ، ويبيع الدين بالثمن البخس ، وفى حا كم يبرز فى ظاهر أهل السمت ، وباطن أصحاب السبت ، فعله الظلم البحت ، وأكله الحرام السحت ، وما رأيك فى سوس لا يقع الا فى صوف الأيتام ، وجراد لا يقع الا على الزرع الحرام ، ولص لا ينقب الا خزانة الأوقاف وكردى لا يغير الا على الضعاف ، وليث لا يفترس عباد الله الا بين الركوع والسجود ، ومحارب لا ينهب مال الله الا بين العهود والشهود .

العلم

وذكر فى هذه الرسالة فصلا فى ذكر العلم وهو مستظرف البلاغة ، مستعذب البراعة ، قال

والعلم أطال الله بقاء القاضى شئ كما تعرفه بعيد المرام ، لا يصاد بالسهام ، ولا يقسم بالازلام ؛ ولا يرى فى المنام ، ولا يضبط باللجام ، ولا يورث عن الاعمام ولا يكتتب للئام ، وزرع لا يزكو حتى يصادف من الحزم ثرى طيبا ، ومن التوفيق مطرا صيبا ؛ ومن الطبع جوا صافيا ، ومن الجهد روحاً دائما ، ومن الصبر سقيا نافعا ، والعلم علق لا يباع ممن زاد ، وصيد لا يألف الأوغاد ، وشئ لا يدرك الا بنزوع الروح ، وعون الملائكة والروح ، وغرض لا يصاب الا بافتراش المدر ، واستناد الحجر ، ورد الضجر ، وركوب الخطر ، وادمان السهر ، واصطحاب السفر ، وكثرة النظر ، وإعمال الفكر ، ثم هو معتاص الا على من زكا زرعه ، وخلا ذرعه ، وكرم أصله وفرعه ، ووعى بصره وسمعه ، وصفا ذهنه وطبعه ، فكيف يناله من أنفق صباه على الفحشاء ؛ وشبابه على الاحشاء ، وشغل نهاره بالجمع ، وليله بالجماع ، وقطع سلوته بالغنى ، وخلوته بالغناء ، وأفرغ جده فى الكيس ، وهزله فى الكاس ، والعلم ثمر لا يصلح الا للغرس ، ولا يغرس الا فى النفس ، وصيد لا يقع الا فى البذر ، ولا ينشب الا فى الصدر ، وطائر

لا يخدعه الا قنص اللفظ ، ولا يعقله الا شرك الحفظ ، وبحر لا يخوضه الملاح ، ولا تطيقه الالواح ، ولا تهيجه الرياح ، وجبل لا يتسنم الا بخُطا الفكر ، وسماء لا يُصعد الا بمعراج الفهم ، ونجم لا يلمس الا بيد المجد

قوارع الهجاء

(ومن مفردات الابيات فى المعايب والمقابح) قول أبى تمام

مساوٍ لو قُسِمن على الغوانى * لما أمهرن الا بالطلاقِ

آخر

قوم اذا جرَّجانٍ منهمو أمنوا * من لؤم أحسابهم أن يُقتلوا قَوَدا

البحترى

نبافى يدى وابن اللئيمة واجدٌ * وينبو الخبيث الطبع وهو ثقيلُ

ابن الرومى فى رجل يعرف بابن رمضان

رأيتك تدَّعى رمضان دعوى * وأنت نظير يوم الشك فيهِ

وله فى أعمى

كيف يرجو الحياء منه صديقٌ * ومكان الحياء منه خرابُ

غيره

هو الكلب الا أن فيه ملالةً * وسوءمراعاةٍوما ذاك فى الكلبِ

آخر

أبا دلف يا أكذب الناس كلهم * سوایَ فأنى فى مديحك أكذبُ

أبو الفضل الميكالى

هو الشوك لا يعطيك وافر منهِ * يد الدهر الا حين تضرب به جلدا

تعلموا النحو

قال المأمون لبعض ولده وسمع منه لحنا : ما على أحدكم أن يتعلم العربية ، فيقيم بها أَوَدَه ، ويزين بها مشهده ، ويفل حجج خصمه ، بمس كتاب حكمه ، ويملك مجلس سلطانه ، بظاهر بيانه ، ليس لأحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده أو أمته ، فلا يزال الدهر أسير كلمته. وقال رجل للحسن البصرى يا أبو سعيد، قال كسب الدراهم شغلك أن تقول يا أبا سعيد ، ثم قال تعلموا العلم للأديان ، والنحو للسان ، والطب للابدان — وكان الحسن كما قال الاعرابى وسمع كلامه : والله انه لفصيح اذا لفظ ، نصيح اذا وعظ ، وقيل له يا أبا سعيد ما نراك تلحن ، قال سبقت اللحن ، أخذه أبو العتاهية ، وقيل له انك تخرج فى شعرك عن العروض ، فقال سبقت العروض . وقال اسحق بن خلف البهرانى

النحو يصلح من لسان الالكن * والمرء تُعظِمُه اذا لم يلحنِ
فاذا طلبت من العلوم أجلها * فاجلّها منها مقيم الالسن

وقال على بن بسام

رأيت لسان المرء رائد علمهِ * وعنوانه فانظر بماذا تُعَنْوِنُ
ولا تعد إصلاح اللسان فانهُ * يخبر عما عنده ويبين
على أن للاعراب حداً وربما * سمعت من الاعراب ماليس يحسن
ولاخير فى اللفظ الكريه استماعه * ولا فى قبيح اللحن والقصد أزين

وقال بعض أهل العصر وهو أبو سعيد الرستمى

أفى الحق أن يعطى ثلاثون شاعراً * ويحرم مادون الرضا شاعر مثلى
كما سامحوا عمرا بواو زيادةٍ * وضويق بسم الله فى ألف الوصل

أبو الفتح البستى

حذفت وغيرى مثبت فى مكانهِ * كأنىَ نون الجمع حين تضافُ

وقال

أفدى الغزال الذى فى النحو كلمنى * مناظراً فاجتنيت الشهد من شفته
فأورد الحجج المقبول شاهدها * محققا ليرينى فضل معرفته
ثم اتفقنا على رأى رضيت بهِ * النصب من صفتى والرفع من صفته

أبو الحسن اللحام

أنا من وجوه النحو فيكم أفعل * ومن اللغات اذا تعهد المهمل

لوعة الشوق

وقال أحمد بن يوسف :

كتب غلام من ولد أنوشروان ممن كان أحد غلمان الديوان ، إلى آخر منهم وكان قد علق به ، وكان شديد الكلف به والمحبة له : ليس من قدرى أدام الله سعادتك أن أقول لمثلك جعلت فداك ، لأنى أراك فوق كل قيمة نضيرة ، وثمن معجز ، ولأن نفسى لاتساوى نفسك ، فتقبل فى فديتك ، على كل حال ؛ فجعلنى الله فداء ساعة من أيامك ، اعلم أيها السيد العلى المنزلة ، انه لو كان لعبدك من شدة الخطب أمر يقف على حده النعت ، لاجتهد أن يصف من ذلك ماعسى أن يعطف به زمام قلبك ، وتحنو على الرقة والتحفى أثناء جوانحك ، ولكن الذى أمسيت وأصبحت ممتحنا به فيك منع عن كل بيان ، ونزع عن كل لسان والحب أيها الملك لم يشبه قذى ريبة ، ولم يختلط به قلب معاب ، فلا ينبغى لمن كرمت أخلاقه أن يعاف مقاربة صاحبه المدل بحزم نيته ، والذى أتمناه أيها المولى اللطيف مجلس اقف فيه أمامك ، ثم أبوح بما أضنى جسدى ، وفتت كبدى ، فان خف ذلك عليك ، ورأيت نشاطاً من نفسك اليه ، كنت كمن فك أسيراً وأبرأ عليلا ، ومن الخير سلك سبيلا ، يتوعر سلوكها على من كان قبله ، ويكون بعده ، ثم أضاف إلىَّ منة لا يطيقها جبل راس ، ولا فلك دائر ؛ فرأيك

أيها السيد المعتمد الاسعاف ، قبل أن ينذرنى الموت ، فيحول بينى وبين مانزعت اليه النفس مواصلا برا ، ان شاء الله تعالى — فأجابه: تولى الله تعالى ماجرى به لسانك بالمزيد ، ولا أوحش مابيننا بطائر فرقة ، ولاحافر تشتت ، وضمنا واياك فى أوثق حبال الانس ؛ وأوكد أسباب الالفة ؛ وقفت على مانخصته من العجز عن بلوغ ماخامر قلبك ، وانطوى فى ضميرك ، من الشغف المقلقل ، والهوى المضرع ، ولعمرى لو كشف لك عن معشار ما اشتمل عليه مضمر صدرى ، لأيقنت أن الذى عندك اذا نسبته الى ماعندى كالمتلاشى الزائل ، ولكنك بفضل الانعام سبقتنا الى كشف مافى الضمير ، وأما طاعتى لك ، وذمامى اليك فطاعة العبد المقتنى ، الطائع لما يحكم له وعليه مولاه ومالكه ، وأنا سائر إليك وقت كذا ، فتأهب لذلك بأجهد عافية ، وأتم عاقبة ، وأسعد نجم جرى بالالفة ان شاء الله تعالى

وكتب بعض الكتاب ، انى لا كره أن أفديك بنفسى استحياء من التقصير فى المعاوضة ، ومن التخلف فى الموازنة ، وعلى الاحوال كلها ، فقدم الله روحى عنك ، وصاننى عن رؤية المكروه فيك

وقال المتنبى

فدًى لك من يقصر عن مداكا * فلا ملكٌ اذن الا فداكا
ولو قلنا فدًى لك من يساوى * دعونا بالبقاء لمن قلاكا
وأمنّا فداءك كل نفس * وان كانت لمملكة مِلاكا

ابنا المدبر

وكتب آخر الى ابراهيم واحمد ابنى المدبر وقد أصابتهما محنة ثم أردفتها نعمة : لو قُبلت فيكما ، ودانيت قدريكما ، لقلت جعلنى الله فداكما ، ولكن أخرت عنكما ، فلا أقبل فيكما ، وقد بلغنى المحنة التى لومات انسان غمابها لكنته وكتب تحته

وليس بتزويق اللسان وصوغهِ * ولكنه قد خالط اللحم والدما

ترك التعزية

وكتب ابن ثوابة الى عبيد الله ابن سليمان يعتذر فى ترك مكاتبته فى التعزية قررت عيناً؛ أفديك بنفس لا بد لها من فناء، ولا سبيل لها الى بقاء، ومن أظهر لك شيئاً وأضمر لك خلافه فقد غش، والامر اذا كانت الضرورة توجب أنه ملك لايحقق اعطاء، ولا يتحصل، لم يجب أن يخاطب به مثلك، وان كان عند قوم نهاية من نهايات التعظيم؛ ودليلا من دلالات الاجتهاد، وطريقاً من طرق التعزية— قال الزبير بن أبى بكر قال لى مسلم بن عبيد الله بن جندب الهذلى خرجت أريد العقيق[1] ومعى زيان السواق؛ فلقينا نسوة فيهن امرأة لم أر أجمل منها فأنشدت بيتين لزيان

ألا ياعباد الله هذا أخوكمُ * قتيل فهل فيكم له اليوم ثائرُ[2]

خذوا بدمى ان مت كل خريدةٍ * مريضة جفن العين والطرف ساحر[3]

فقال زيان شأنك بها يا ابن الكرام فالطلاق له لازم ان لم يكن دم أبيك فى تقابها : فاقبلت عليَّ وقالت : أنت ابن جندب؟ فقلت نعم! قالت ان قتيلنا لايُودى[4] وأسيرنا لا يفدى، فاغتنم لنفسك، واحتسب أباك

بنو عذرة

قال أبو عبيدة قال رجل من فزارة لرجل من بنى عذرة تعدون موتكم فى الحب مزية، وانما ذلك من ضعف البنية، وعجز الروية؛ فقال العذرى :

(١) العقيق : موضع بالقرب من المدينة (٢) ثائر : مطالب بدم القتيل

(٣) خريدة : خفرة طويلة السكوت خافضة الصوت (٤) لايودى : لاتدفع ديته

أما انكم لو رأيتم المحاجر البُلْج(١) ترشق بالاعين الدُّعج(٢) فوقها الحواجب الزُّج(٣) وتحتها المباسم الفُلْج(٤) والشفاه السُّمر، تفتر عن الثنايا الغُر، كأنها بَرَد الدُّر، لجعلتموها اللات والعزى، ورفضتم الاسلام وراء ظهوركم

اوصاف الحسان

قال اعرابي دخلت بغداد فرأيت فيها عيونا دُعجاً، وحواجب زُجا، يسحبن الثياب، ويسلبن الالباب — وذكر اعرابي نساء فقال ظعائن في سوالفهن طول؛ غير قبيحات العُطول(٥) اذا مشين أسبلن الذيول، وان ركبن أثقلن الحمول وصف آخر نساء فقال: يتلثمن على السبائك(٦) ويتشحن على النيازك(٧) ويتزرن على العواتك(٨) ويرتفقن على الارائك(٩) ويتهادين على الدوانك(١٠) ابتسامهن وميض(١١) عن ثغر كالاغريض(١٢) وهن عن الصباصُور(١٣) وعن الحياء حُور(١٤)

---

(١) البلج جمع ابلج وهو المشرق والمحاجر جمع محجر وهو مادار بالعين وبدا من البرقع (٢) الدعج: جمع دعجاء وهى العين يشتد فيها البياض مع السواد (٣) الزج: جمع أزج وهو الحاجب الدقيق (٤) الفلج: جمع افلج وهو مابين اسنانه تباعد (٥) العطول: التجرد من الحلى

(٦) السبائك: قطع الفضة، ومفردها سبيكة (٧) النيازك: جمع نيزك وهو الرمح القصير، يصف النساء بدقه الخصور وبأنهن يضعن الوشاح فوق امثال النيازك (٨) العواتك: جمع عاتكة وهى المحمرة من الطيب والمراد هنا الارداف (٩) الارائك: جمع اريكة وهى السرير، ويرتفقن يتكئن

(١٠) الدوانك: جمع دونك وهو الوادى (١١) الوميض لمع البرق

(١٢) الاغريض ماينشق عنه الطلع من الحبيبات البيض (١٣) صور مائلات

(١٤) حور مترددات

وصف الهوى

سئل بعض الحكماء عن الهوى ، فقال : هو جليس مُمتع ، وأليف مؤنس ، وأحكامه جائرة ، ملك الابدان وأرواحها ، والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها ، والنفوس وآراءها ، وأعطيَ زمام طاعتها ، وقياد مملكتها ، توارى عن الابصار مدركه ، وغمض عن العقول مسلكه

وسئلت اعرابية عن الهوى فقالت : لا مُتع الهوى بملكه . ولا مُليّ بسلطانه[1] وقبض الله يده ، وأوهن عضده ، فانه جائر لا ينصف فى حكم ، أعمى لا ينطق بعدل ، ولا يقصر فى ظلم ؛ ولا يرعوى للذم ، ولا ينقاد لحق ، ولا يبقى على عقل وفهم ، لو ملك الهوى وأُطيع لردّ الأمور على أدبارها ، والدنيا على أعقابها

وسئل اعرابى عن الهوى فقال : هو داء تداوى به النفوس الصحاح ، وتسل منه الارواح ، وهو سقم مكتتم ، وجمى مضطرم ، فالقلوب له منضجة ، والعيون سا كبة

الامر للهوى

قال عبيد الله بن محمد بن عمران المرزبانى أخبرنى المظفر بن يحيى قال أحب رجل امرأة دونه فى القدر فعذله عمه فقال ياعم لا تلم مجبرا على سقمه ، فان المقر على نفسه مستغن عن منازعة خصمه ، وانما يُلام من اقترف ما يقدر على تركه ، وليس أمر الهوى الى الرأى فيملكه ، ولا الى العقل فيدبره ، بل قدرته أغلب ، وجانبه أعز من أن تنفذ فيه حيلة حازم ، ولطف محتال . وقال بعضهم رأيت امرأتين من أهل المدينة تعاتب احداها الاخرى على هوى لها ، فقالت انه يقال فى الحكمة الغابرة ، والأمثال السائرة : لا تلومنّ من أساء بك الظن ، إذ جعلت نفسك هدفا للتهمة ، ومن لم يكن عونا على نفسه مع خصمه لم يكن معه شئ من عقدة

---

(١) ملى ومتع بمعنى واحد

الرأى ، ومن أقدم على هوى وهو يعلم مافيه من سوء المغبة [١] سلط على نفسه لسان العذل ، وضيع الحزم ، فقالت المعذولة : ليس أمر الهوى الى الرأى فيملكه ، ولا الى العقل فيدبره ، وهو أغلب قدرةً وأمنع جانباً من أن ينفذ فيه رأى الحازم ، أو ماسمعت قول الشاعر

ليس خطب الهوى بخطب يسير * لا ينبئك عنه مثل خبير
ليس أمر الهوى يدبر بالرأ * ى ولا بالقياس والتفكير
انما الأمر فى الهوى خطراتٌ * محدثات الامور بعد الأمور

قال المرزبانى أخبرنى الصولى ان هذه الابيات لعلية بنت المهدى ولها فيها لحن . وقيل لعبدالله بن المقفع ما بال العاقل المميز الذهن ، واللبيب الفطن ، يتعرض للحب وقد رأى منه مواضع الهلكة ، ومصارع التلف ، وعلم مايؤول اليه عُقباه ، وترجع به أخراه على أولاه ؟ فقال زخرف ظاهر العشق بجمال زينته يستدعى القلوب الى ملابسته ، وحلى عاجل حلاوته يطلب النفوس الى ملابسته ، كظاهر زخرف الدنيا ، وبهاء رونقها ، ولذيذ جنى ثمرها ، وقد ذكرت أبصار قلوب ابنائها بالنظر الى قبيح عيوب أفعالها . فهم فى بلائها منغمسون ، وفى هلكة فتنتها متورطون ، مع علمهم بسوء عواقب خطبها ، وتجرع مرارة شربها ، وسرعة استرجاعها ما وهبت ، واخراجها ما ملكت فليس ينجو منها الا من حذرها ، ولا يهلك فيها الا من أمنها ، وكذلك صورة الهوى ، هما فى الفتنة سواء .

تهذيب الاخلاق

وقال ابن دريد قال بعض الحكماء : أغلق أبواب الشبهات بأقفال الزهادة ، وافتح أبواب البر بمفاتيح العبادة ، فان ذلك يدنيك من السعادة ، وتستوجب من الله الزيادة . وقال غيره ان اللذة مشوبة بالقبح ، ففكروا فى انقطاع اللذة وبقاء ذكر القبح

---

(١) المغبة : العاقبة

جمال العفاف

قال أبو عبد الله بن ابراهيم بن عرفة

ليس الظريف بكامل فى ظرفهِ * حتى يكون عن الحرام عفيفا
فاذا تعفف عن محارم ربهِ * فهناك يدعى فى الانام ظريفا

وقال

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعنى * منه الحياء وخوف الله والحذرُ
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعنى * منه الفكاهة والتقبيل والنظرُ
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم * وليس لى فى حرام منهمُ وطرُ [١]
كذلك الحب لا إتيان معصيةٍ * لاخير فى لذة من بعدها سَقَرَ

وقال العباس بن الاحنف

أتأذنون لصب فى زيارتكم فعندكم شهوات السمع والبصرِ [٢]

وقال بعض الطالبيين

رمونى وإياهم بشنعاء هم بها * أحق أزال الله منهم وعجلا
بأمر تركناه ورب محمدٍ * جميعا فإما عفةً أو تجملا

وقال سعيد بن حميد

زائر زارنا على غير وَعدٍ * مُخْطَف الكشح مُثقل الأرداف [٣]
غالَبَ الخوف حين غالبه الشو ق وأخفى الهوى وليس بخافى
غض طرفى عنه تقى الله فاختر ت على بذله بقاء التصافى
ثم ولى والخوف قد عمّ عِطْفَيْـــه ولم يخل من لباس العفاف

---

(١) الوطر: الحاجة (٢) سقط البيت الثانى فيما يظهر مع ان فيه الشاهد، وهو:
لا يضمر السوء ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر
(٣) مخطف الكشح: ضامر الخصر

وفى الحديث الشريف «من أحب فعف فمات فهو شهيد» والعفاف مع البذل، كالاستطاعة مع العقل . كما قال صريع الغوانى

وماذمىَ الأيام ان لست مادحاً * لعهد لياليها التى سلفت قبلُ
ألا رب يوم صادق العيش نلتهُ * بها وندماى العفافة والبذل

المبرد والسجستانى

وأنشد الصولى لأبى حاتم السجستانى فى المبرد وكان يلزم حلقته ، وكان من الملاح وهو غلام

ماذا لقيت اليوم من * متمجن خَنِث الكلام[1]
وقف الجمال بوجهِهِ * فسمت له حدق الأنام
حركاتهُ وسكونهُ * يُجنى بها ثمر الأثام
فاذا خلوت بمثلهِ * وعزمت فيه على اعترامْ
لم أعدُ اخلاق العفا ف وذاك أوكد للغرام
نفسى فداؤك يا أبا الـــعباس حلّ بك اعتصام
فارحم أخاك فانهُ * نَزْر الكرى بادى السَّقام
وأنِلْهُ ما دون الحرا م فليس يرغب فى الحرام

وكان أبو حاتم يتصدق كل يوم بدرهم ويختم القرآن كل اسبوع

ابن داود وابن شريح

وذكر أنه اجتمع أبو العباس بن شريح الشافعى وأبو بكر بن داود العباسى فى مجلس على بن عيسى بن الجراح الوزير ، فتناظرا بالكلام فى الإيلاء ، فقال ابن شريح أنت بقولك « من كثرت لحظاته دامت حسراته » أبصر منك بالكلام

(١) متمجن : كثير المجون ، وخنث الكلام : لينه

فى الايلاء ، فقال أبو بكر لئن قلت ذلك فانى أقول

أنزّه فى روض المحاسن مقلتى * وأمنع نفسى ان تنال المحرما
واحمل من ثِقل الهوى مالو انهُ * يصبّ على الصخر الأصمّ تهدما
وينطق طرفى عن مترجم خاطرى * فلولا اختلاسى ردَّهُ لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * فلست أرى حبا صحيحا مسلما

فقال أبو العباس بم تفتخر علىّ وانا لوشئت لقلت

ومطاعم للشهد من نغماته * قد بت أمنعه لذيذ سناته
صباً بحسن حديثه وكلامه * وأكرر اللحظات فى وجناته
حتى اذاما الصبح لاح عمودهُ * ولّى بخاتم ربه وبراته

فقال أبو بكر: أصلح الله الوزير تحفظ عليه ما قال حتى يقيم شاهدين عدلين انه ولى بخاتم ربه ! فقال أبو العباس يلزمنى فى هذا ما يلزمك فى قولك انزه فى روض المحاسن مقلتى ، البيت ، فضحك الوزير وقال لقد جمعتنا ظرفا ، ولطفاً ، وفهماً ، وعلماً

محاسن النساء

ألفاظ لأهل العصر فى محاسن النساء

هى روضة الحسن ، وضرة الشمس ، وبدر الارض — هى من وجهها فى صباح شامس [١] ومن شعرها فى ليل دامس [٢] كأنها فلقة قمر على برج فضة — بدر التم يضيء تحت نقابها ، وغصن البان يهتز تحت ثيابها — ثغرها يجمع الضريب والضرَب كأنهُ نثر الدر [٣] كما قال البحترى

اذا نضون شفوف الريط آونةً * قشرن من لؤلؤ البحرين أصدافا [٤]

(١) شامس : مشمس (٢) دامس مظلم (٣) الضريب : اللبن يحلب من عدة لقاح فى إناء ، والضرب بالتحريك العسل الأبيض (٤) الشفوف جمع شف وهو الثوب الرقيق والريط كل ثوب لين

قد أنبت صدرها ثمر الشباب — خرطت لها يد الشباب حقين من عاج — كأنها البدر قُرِّط بالثريا (1) ونيط بها عقد من الجوزاء — أعلاها كالغصن ميال وأسفلها كالدِّعص منهال (2) لها عنق كابريق اللجين ، وسرة كمدهن العاج — نطاقها مجرب ، وإزارها محصب — مطلع الشمس من وجهها ، ونبت الدر من فيها ، وملقط الورد من خدها ، ومنبع السحر من طرفها ، ومبادى الليل من شعرها ومغرس الغصن من قدها ، ومهيل الرمل من ردفها

محاسن الغلمان

فِقر فى محاسن الغلمان

زاد جماله، وأقمر هلاله — ترقرق فى وجهه ماء الحسن — شادنٌ فاترٌ طرفه ، ساحرٌ لفظه — غلام تأخذه العين ، ويقبله القلب ، ويأخذه الطرف — ترتاح اليه الروح — تكاد القلوب تأكله ، والعيون تشربه — جرى ماء الشباب فى عوده فتمايل كالغصن ، واستوفى ماء الحسن ، ولبس ديباجة الملاحة — كأن البدر قد ركب على أزراره — لا يشبع منه الناظر ، ولا يروى منه الخاطر — كأن البدر يحكيه ، والشمس تشبهه وتضاهيه — صورة تجلى الابصار ، وتخجل الاقمار شادن منتقب بالبدر ، ومكتحل بالسحر — ما هو الا نزهة الابصار ، ومخجل الاقمار وبدعة الامصار — غمزات طرفه، تخبر عن ظرفه ، ومنطقه ينطق عن وصفه ، تخال الشمس تبرقعت غرته ، والليل ناسب أصداغه وطرته — الحسن ما فوق أزراره والطيب ما تحت إزاره — شادن يضحك عن الاقحوان ، ويتنفس عن الريحان ، كأن خده سكران من خمرة فه ، ويغـدادمسروقة من حسنه وظرفه أعجمت يد الجمال نون صدغه بخال — هـذا محاول من قول ابن المعتز

غِلالة خدهِ صُبغت بوردٍ * ونون الصدغ معجمة بخالِ

---

(1) قرط : لبس القرط (2) الدعص : الكثيب من الرمل

له عينان حشو أجفانهما السحر ، كأنه قد أعار الظبي جيده ، والغصن قدّه ، والراح ريحه ، والورد خدّه — الشِّكل من حركاته (١) وجميع الحسن من بعض صفاته — قد ملك أزمة القلوب ، وأظهر حجة الذنوب (٢) كأنما وسمه الجمال بنهايته ، ولحظه الفلك بعنايته ، فصاغه من ليله ونهاره ، وحلّاه بنجومه وأقماره ، وقلّبه ببدائع آثاره ، ورمّقه بنواظر سعوده ، وجعله بالكمال أحد جنوده — قد قد صبغ الحياء غلالة وجهه ، ونُثر لؤلؤ العرق عن ورد خده — تكاد الالحاظ تسفك من خده دم الخجل — له طُرّة كالغسق ، على غرة كالفلق — جاءنا فى غلالة تنم على مايستره ، وتحنو مع رقتها على ما يظهره — وجه بماء الحسن مغسول ، وطرف ببرود السحر مكحول — ثغر حمى حماية الثغور ، وجعل درة لقلائد النحور — السحر فى الحاظه ، والشهد فى الفاظه — اختلس قامة الغصن ، وتوشح بمطارف الحسن ، كالروض غب المزن ، الارض مشرقة بنور وجهه، وليل الستر فى مثل شعره — الجنة مجتناة من قربه ، وماء الجمال يترقرق فى خده ، ومحاسن الربيع بين سَحره ونحره ، والقمر فضلة من حسنه — ما هو الا خال فى خد الظرف ، وطراز على علم الحسن ، ووردة فى غصن الدهر ، ونقش على خاتم الملك ، وشمس فى فلك اللطف — هو قمر فى التصوير ، شمس فى التأثير ، بنظر يملأ العيون ، ويملك النفوس ، زرافين أصداغه معاليق القلوب (٣) كأن صدغه فرط من المسك على عارض البدر — وجهه عرس ، وصدغه مأتم ، ووصله جنة ، وهجره جهنم — قد اتخذت اصداغه شكل العقارب ، وظلمت ظلم الاقارب ، ان كان عقرب صدغه يلسع ، فترياق ريقه ينفع — كأن شاربه زئبر الخز الاخضر (٤)

---

(١) الشكل بالكسر الغنج والدلال (٢) أظهر حجة الذنوب : يريد أن جماله حجة على أن المعو ن به معذور لا إثم عليه ، قال

وجهك المشوق حجتنا يوم يأتى الناس بالحجج

(٣) يريد عقارب الصدغ وهى الشعور الملتوية التى ترسل عليه (٤) الزئبر الزغب

وعذاره طراز المسك والعنبر ، على الورد الاحمر — اذا تكلم تكشف حجاب الزمرد والعقيق ، عن سمط الدر الانيق — قد هم أرقم الشعر على شاربه ، وكاد فم الحسن يقبله — كأن العذار ينقش فص وجهه ، ويخرق فضة خده — طرز الجمال ديباج وجهه ، وأبان عذاره العذر فى حبه

كيف لايخضر شاربهُ * ومياه الحسن تسقيهِ

ذم خروج اللحية

(فقر لهم نقيض ذلك فى ذم خروج اللحية) قد انتقب بالديجور ، بعد النور [١] فدولة حسنه قد أعرضت أيامها ، وانقرضت دولته وأحكامها ، استحال خده دجا ، وزمرد خده سبجا ، وأخمدت نار حسنه بعد الاتقاد ، ولبس عارضه ثوب الحداد — ذبل ورد خده ، وتشوك زعفران خطه — فارقنا خشفا ، ووافانا جلفا ، فارقنا هلالا وغزالا ، وعاودنا وبالا ونكالا — مالى أرى الآباط حاشية [٢] والآناف معشبة [٣] والعيون منورة ، والازرار مرعى ، والاظفار حما [٤] واللحى لبودا ، والاسنان خضرا وسودا

رسالة لبديع الزمان

وكتب إلى بديع الزمان بعض من عزل عن ولاية حسنة يستمد وداده ، ويستميل فؤاده ، فأجابه بما نسخته :وردت رقعتك أطال الله بقاءك ، فأعرتها طرف التعزز ، ومدت اليها يد التفزز ، وجمعت عنها ذيل التحرز ، فلم تند على كبدى ، ولم تحظ بناظرى ويدى ، وخطبت من مودتى مالم أجدك لها كفئا ،

---

(١) الديجور الظلمة (٢) يريد ان الشعر نبت فى ابطنه

(٣) اعشاب الانف كناية عن كثرة الشعر فيه (٤) الحم الفحم

وطلبت من عشرتى مالم أرك لها رضيا ، وقلت هذا الذى رفع عنا أجفان طرفه ، وشال بشعرات أنفه ، وتاه بحسن قده ، وزها بورد خده ، ولم يسقنا من نوئه ، ولم نسر بضوئه ، فالآن إذ نسخ الدهر آية حسنه ، وأقام مائل غصنه ، وفثأ غَرب عُجبه(١) وكفَّ زهر زهوه ، وانتصر لنا منه بشعرات كسفت هلاله ، وأكسفت باله ، ومسخت جماله ، وغيرت حاله ، وكدرت شِرْعته ، ونكّرت طلعته ، جاء يستقى من جرفنا جرفا ، ويغرف من طينتنا غرفا ، فهلا يا أبا الفضل مهلا

أرغبت فينا اذ علا * ك الشعر فى خد قحلْ

وخرجت من حد الظبا * ءوصرت فى حد الابل

الآن تطلب عشرتى * عد للمداوة يلخجل

أنسيت أيامك: اذتكلمنا نزرا ، وتنظرنا شزرا ، وتجالس من حضر ، ونسترق اليك النظر ، ونهتز لكلامك ، ونهش لسلامك

فمن لك بالعين التى كنت مدةً * اليك بها فى سالف الدهر أنظر

أيام كنت تتمايل ، والاعضاء تتزايل ، وتتفانج ، والاجساد تتفالج ، وتتفلت ، والاكباد تتفتت ، وتخطر وترفل ، والوجد بنا يعلو ويسفل ، وتدبر وتقبل ، فتسبى وتخجل ، وتمرض ، وتعرض ، فتضنى وتمرض

وتبسم عن ألمى كأن منورا * تخلل حر الرمل غض له ند

فاقصر الآن ، فانه سوق كسد ، ومتاع فسد ، ودولة أعرضت ، وأيام نقضت

وعهد نَفاق مضى * وسوق كساد نزلْ

ووجد كأن لم يكن * وخط كأن لم يزل

ويوم صار أمس ، وحسرة بقيت فى النفس ، وثغر غاض ماؤه فلا يرشف ، وريق خدع فلا ينشف ، وتمايل لا يعجب ، وتثن لا يطرب ، ومقلة لاتجرح الحافظها ، وشفة لا تفتن ألفاظها ، فختام تدل والام ، ولم نحتمل وعلام ، وآن أن تدعن الآن ، وقد بلغنى ما أنت متعاطيه من تمويه يجوز بعد العشاء فى الغسق

---

(١) فثأ غرب عجبه : كسر حدة كبره

وتشبيه يفتضح عند ذوى البصر والصدق ، وإفنائك لتلك الشعرات حفا وحصا وإنحائك عليها نتفا وقصا. وسيكفينا الدهر مؤونة الانكار عليك ، بما يزف من بنات الشعر وأمهاته اليك ، فأما ما استأذنت فيه رأيي من الاختلاف إلى مجلسي فما أقل فيك نشاطى ، وأضيق عنك بساطى ، وأشبع قلبى فيك من عبورك ، وأشد استغنائى عن حضورك ، فان حضرت لنروض عنك الحلم ، ونتعلم بك الصبر ، ونتكلف فيك الاحتمال ، ونغضى منك الجفن على قذى ، ونطوى منك الصدر على أذى ، ونجعلك للقلوب تأنيبا ، وللعيون تأديبا ، فافعل ، ومالك أن لا تمتاض من الرغبة عنا رغبة فينا ، ومن ذلك التدلل علينا تذللا لنا ، ومن ذلك التعالى تبصبصا ، ومن ذلك التغالى ترخصا ، وما بال الدهر أبدلك من التزايد تنقصا ، ومن التسحب على الاخوان تقمصا ، ولئن اعتضت من الذهاب رجوعا ، لقد اعتضنا من النزاع نزوعا ، فانا برحلك وجانبك ، ملقٍ حبلك على غاربك ، لا أوثر قربك ، ولا أنده سِربك ، والسلام

المقامة الاسدية

(ومن انشاء بديع الزمان) فى مقامات الاسكندرى ولعل مافيها من الطول غير مملول (قال) حدثنا عيسى بن هشام قال: كان يبلغنى من مقامات الاسكندرى مايصغى له النفور ، وينتفض له العصفور ، ويروى لى من شعره ما يمتزج باجزاء الهواء رقة ، ويغمض عن أوهام الكهنة دقة . وأنا أسأل الله بقاءه ، حتى أرزق لقاءه ، وأتعجب من قعود همته بحالته ، مع حسن آلته ، وقد ضرب الدهر شؤنه ، امتدادا دونه[1] وهلم جرا . الى أن اتفقت لى حاجة بحمص[2] فشحذت اليها الحرص

(١) يريد أن الدهر مد شئونه وصروفه بين الاسكندرى و بين غاياته

(٢) حمص بلد قديم بين دمشق وحلب ، وفيه يقول بعض الشعراء

خليلى ان حانت بحمص منيتى	فلا تدفنانى وارفعانى الى نجد
ومرا على اهل الجناب بأعظمى	وان لم يكن اهل الجناب على القصد
وان انتما لم ترفعانى فسلما	على صارة فالقور فالأبلق الفرد
لكيما ارى البرق الذى اومضت له	ذرى المزن علويا وماذا لنا يبدى

فى صحبة أفراد كنجوم الليل، أحلاس لظهور الخيل (١) فأخذنا الطريق ننهب مسافته ، ونستأصل شأفته ، ولم نزل نفرى أسنمة النجاد (٢) بتلك الجياد ، حتى صِرْن كالعصىّ ، ورجعن كالقسىّ ، وتاح لنا واد فى سفح جبل ذى ألاء وأثل (٣) كالعذارى يسرّحن الضفائر ، وينشرن الغدائر ، فمالت الهاجرة بنا اليها فنزلنا نُغوِّر ونُغَوِّر (٤) وربطنا الافراس بالأمراس (٥) وملنا مع النعاس ، فما راعنا الاصهيل الخيول ، ونظرت الى فرسى وقد أرهف أذنيه (٦) وطمح بعينيه ، يجذ قوى الحبل بمشافره (٧) ويخد خد الارض بحوافره (٨) ثم اضطربت الخيل فأرسلت الأبوال ، وقطعت الحبال ، وثار كل منا الى سلاحه ، فاذا الأسد فى فروة الموت قد طلع من غابه (٩) منتفخا فى اهابه ، كاشرا عن أنيابه ، بطرف قد ملئ صلفا (١٠) وانف قد حشى أنفا ، وصدر لا يبرحه القلب (١١) ولا يسكنه الرعب ، فقلنا خطب والله ملم ، وحادث مهم ، وتبادر اليه من سُرْعان الرفقة فتى (١٢)

اخضر الجلدة من بيت العرب ＊ يملأ الدلو الى عقد الكَرَب

بقلب ساقه قَدَر ، وسيف كله أثر (١٣) فملكته سورة الأسد ، فخانته أرض قدمه ، حتى سقط ليده وفمه ، وتجاوز الاسد مصرعه ، الى من كان معه ، ودعا

---

(١) الاحلاس جمع حلس بالكسر وهو كساء يجلل به الدابة تحت البرذعة ، وهم أحلاس الخيل اى ملازمو ركوبها حتى كأنهم لها احلاس (٢) نفرى نقطع ، والنجاد جمع نجد وهو ماارتفع من الارض (٣) تاح ظهر ، والألاء شجر مر الطعم فى ورقه وثمره . لكنه حسن المنظر دائم الخضرة . والأثل شجر يشبه الطرفاء (٤) نغور بتشديد الواو تأتى الى الغور وهو المطمئن من الارض ، ونغور نقيل (٥) الامراس الحبال (٦) ارهف اذنيه رفعهما وحددهما كأنهما شفرتان (٧) يجذ يقطع (٧) يخد يشق (٩) الفروة اللباس . يذكر ان الاسد لبس ثوب الموت (١٠) الصلف العجب والكبرياء (١١) برز الاسد بصدر لايبرحه القلب ، أى بثبات ورباطة جأش ، فهو ليس كالجبان الذى يطير لبه عند البأس (١٢) سرعان جمع سريع (١٣) الأثر بفتح فسكون جوهر السيف

الحين أخاه ، الى مثل مادعاه [١] فسار اليه، وعقل الرعب يديه ، فاخذ أرضه [٢] وافترس الليث صدره ، ولكن شغلت بعامتي فمه ،حتى حقنت دمه ، وقام الفتى فوجأ بطنه [٣] حتى هلك من خوفه ،والاسد بالوجأة فى جوفه [٤] ونهضنا على أثر الخيل فتألفنا منها ما ثبت ، وتركنا ما أفلت ، وعدنا الى الرفيق نجهزه

ولما حثونا الترب فوق رفيقنا * جزعنا ولكن أى ساعة مجزع

وعدنا الى الفلاة فهبطنا أرضها وسرنا حتى اذا ضمرت المزاد [٥] ونفد الزاد أو كاد يدركه النفاد ، ولم نملك الدرب ولا الرجوع ، وخفنا القاتلين الظمأ والجوع عنَّ لنا فارس فصمدنا صمده ، وقصدنا قصده ، ولما بلغنا نزل عن حاذ فرسه [٦] يقتش الارض بشفتيه ، ويلقى التراب بيديه ، وعمدنى من بين الجماعة فقبل ركابى، وتحرّم بجنابي ، ونظرت فاذا وجه يبرق برق العارض المتهلل ، وفرس متى ترق العين فيه تسهّل [٧] وعارض قد اخضر ، وشارب قد طر [٨] وساعد ملآن وقضيب ريان ، ونجار تركى ، وزرى ملكى ، فقلت ما بالك ، لا أبا لك ! فقال أنا عبد بعض الملوك همّ من قتلى بهم [٩] فهمت على وجهى الى حيث ترانى ، وشهدت شواهد حاله ، على صدق مقاله ، ثم قال : أنا اليوم عبدك . ومالى مالك فقلت بشرى لك، وبك أداك سيرك الى فناء رحب، وعيش رطب ، وهنأتنى الجماعة ، بحسب الاستطاعة ، وجعل ينظر فتقتلنا الحاظه ، وينطق فتفتننا ألفاظه ، والنفس تناجينى فيه بالمحظور ، والشيطان من وراء الغرور ، فقال : ياسادتى ان فى سفح هذا الجبل عيناً ، وقد ركبتم فلاة عوراء [١٠] فخذوا من هنالك

---

(١) الحين الهلاك (٢) أخذ أرضه : كناية عن السقوط (٣) وجأ بطنه : شقه (٤) يريد أن الاسد هلك من شق جوفه كما هلك الفتى من خوفه

(٥) المزاد جمع مزداة وهى القربة وضمورها كناية عن نفاد مافيها من الماء

(٦) حاذ الفرس ظهره (٧) متى ماترق العين فيه تسهل : يريد ان العين تفتتن بأعلاه وبأسفله معا (٨) طر الشارب نبت (٩) الهم العزم

(١٠) يقال للبادية اذا فقدت ماءها عوراء

الماء ، فلوينا الاعنة الى حيث أشار ، وبلغناه وقد صهرت الهاجرة الابدان [١] وركبت الجنادب العيدان [٢] فقال ألا تقيلون فى هذا الظل الرحب ، على هذا الماء العذب ؟ فقلنا أنت وذاك ، فنزل عن فرسه ، ونحى منطقته ، وحل قُرطقته [٣] فما استتر عنا إلا بغلالة على بدنه ، فما شككنا انه خاصم الولدان ، ففارق الجنان ، وهرب من رضوان [٤] وعمد الى السروج فحطها ، والى الافراس فحلها ، والى الامكنة ففرشها ، وقد حارت البصائر فيه ، ووقعت الابصار عليه ، وود كل منا شبقاً وخنثاً للفظه ، وقلت يا فتى ما ألطفك فى الخدمة ، واحسنك فى الجملة ، فالويل لمن فارقته ، وطوبى لمن رافقته ، فكيف نشكر الله على النعمة بك ! فقال ما سترونه أكثر ، أتعجبكم خفتى فى الخدمة ، فكيف لو رأيتمونى فى الوقعة ، أريكم من حربى طرفا ، لتزدادوا بى شغفاً ، فقلنا هات فعمد الى قوس فأوتره ، وفوّق سهما فرماه فى السماء ، وأتبعه بآخر فشقه فى الهواء ، وقال سأريكم نوعاً آخر : ثم عمد الى كنانتى فأخذها ، والى فرسى فعلاه ، ورمى أحدنا بسهم أثبته فى صدره ، وآخر طيّره من ظهره ، فقلت ويحك ما تصنع ، قال اسكت يا لُكَع ، والله ليشدنَّ كل منكم يد رفيقه ، أو لأغصنّه بريقه ، فلم ندر ما نصنع ، وأفراسنا مربوطة ، وسروجنا محطوطة ، وأسلحتنا بعيدة ، وهو راكب ونحن رجّالة ، والقوس فى يده يرشق بها الظهور ، ويشق بها البطون والصدور ، وحين رأينا منه الجد ، أخذنا القِد [٥] فشد بعضنا بعضا ، ووقفت وحدى لا أجد من يشدنى ، فقال اخرج باهابك ، عن ثيابك ، ثم نزل عن فرسه ، وجعل يصفع الواحد منا بعد الواحد ، ويقول : أقمت قضيبك ، فخذ نصيبك ، وسار الىَّ وعلىَّ خفان جديدان ، فقال اخلعها لا أم لك ، فقلت هذا خف لبسته رطباً فليس يمكننى خلعه ، فقال علىَّ نزعه ، ثم دنا لينزع الخف ، ومددت يدى الى سكين فيه وهو

---

(١) الهاجرة والهجيرة حر الشمس ، وصهرت الهجيرة الجسم أذابته (٢) انما تركب الجنادب العيدان إذا اشتد الحر (٣) القرطق نوع من الكساء (٤) يريد انه وسيم جميل (٥) القد السير من جلد غير مدبوغ يوثق به الاسرى

مشغول ، فأثبته فى بطنه ، وأبنته من متنه [١] ، فما زاد على فم فغره [٢] وألقمه حجره ، وقمت الى أصحابى فحللت أيديهم ، وتوزعنا سلَب المقتولين ، وأدركنا الرفيق وقد جاد بنفسه ، وصار الى رمسه ، وصرنا الى الطريق فوردنا حمص بعد ليال ، فلما انتهينا الى فرضة من سوقها رأينا رجلا قد قام على رأس ابن وبُنَيَّة ، بجراب وعُصَيَّة ، وهو يقول

رحم الله من حشا * فى جرابى مكارمَه
رحم الله من رنى * لسعيدٍ وفاطمه
انه خادمٌ لكم * وهى لا شك خادمه

قال عيسى فقلت ان الرجل هو الاسكندرى الذى سمعت به وسألت عنه ، فاذا هو هو ، فدلفت اليه ، فقلت له :حكمك حكمك ، فقال درهم ، فقلت

لك درهم فى مثلهِ * مادام يسعدنى النفَسْ
فاحسب حسابك والتمس * كيما تنال الملتمَس

لك درهم فى اثنين فى ثلاثة فى أربعة فى خمسة حتى بلغت العشرين ،ثم قلت: كم معك ؟ قال عشرون رغيفاً ، فأمرت له بهـا ، وقلت لا نصرة مع الخذلان ، ولا حيلة مع الحرمان

فتنة الحسن

وقال أبو فراس الحمدانى

سكرت من لحظه لا من مدامتهِ * ومال بالنوم عن عينى تمـايلهُ
وما السُّلاف دهتنى بل سوالفهُ * ولا الشَّمول دهتنى بل شمائلِهِ
ألوى بصبرىَ أصداغٌ لُوين لهُ * وغال عقلى بمـا تحوى غلائله

(١) المتن الظهر (٢) فغره فتحه

وقال ابن المعتز وقد تقدم عنه فى هذه الألفاظ :

ويوم فاحمىّ الدّجن مُرخٍ * عزاليَـه بهطل وانهمال (١)

أبحت سروره وظللت فيـهِ * برغم العاذلات رخىّ بال

وساق يجعل المنديل منـهُ * مكان حمائل السيف الطوالِ

غلالة خده صبغت بوردٍ * ونون الصدغ معجون بخالِ

بدا والصبح تحت الليل باد * كطِرف أبلق مرخى الجِلال (٢)

بكأس من زجاج فيه أسْدٌ * فرائسهن ألباب الرجال (٣)

أقول وقد أخذت الكاس منهُ * وقتك السوءَ ربّات الحجال (٤)

وقد أحسن ما شاء فى قوله :

فرائسهن ألباب الرجال

وان كان أصل المعنى لأبى نواس فى ذكر تصاوير الكاس

ملاعب أبى نواس

قال الصولى: مر أبونواس بالمدائن فعـدل الى ساباط (٥) فقال بعض أصحابه تدخل ايوان كسرى ، فرأينا آثاراً فى مكان حسن تدل على اجتماع كان لقوم قبلنا ، فأقمنا خمسة أيام نشرب هناك ، وسألنا أبا نواس صفة الحال فقال :

ودار ندامى عطّلوها وأدلجوا * بها أثر منهـم جديدٌ ودارسُ

مساحب من جر الزقاق على الثرى * وأضغاثُ ريحان جنىٌّ ويابسُ

ولم أر منهم غير ما شهدت بهِ * بشرقى ساباطَ الديار البسابس (٦)

---

(١) فاحمى الدجن أسود السحاب ، والعزالى جمع عزلاء وهى مصب المـاء والمراد بها السحابة الماطرة (٢) الطرف الكريم من الخيل ، والجلال جمع جل وهو ما يلبسه الفرس (٣) فيه أسد : يريد أن فيه صور أسود

(٤) ربات الحجال هى النساء (٥) ساباط : مكان بالمدائن (٦) البسابس القفار

حبست بها صحبي فجمّعت شملهم * وانى على أمثال تلك لحابسُ
أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً * ويومٌ له يوم الترحـل خامسُ
تُدار علينا الراح فى عسجديةٍ * حَبَتْهـا بأنواع التصاوير فارسُ
قرارتهـا كسرى وفى جنباتها * مهًى تدّريها بالقِسِيّ الفوارسُ
فللراح ما زُرت عليها جيوبهـا * وللماء مادارت عليه القوانس[1]

وقال على بن العبـاس النوبختى قال لى البحترى أتدرى من أين أخـذ الحسن قوله :

ولم أر منهم غير ما شهدت به

البيت فقلت لا. قال من قول أبى خراش

ولم أدر من ألقى عليـه رداءهُ * سوى أنه قد سُلّ عن ماجدٍ محض

فقلت المعنى يختلف، فقال انا نرى حذو الكلام واحداً ، وان اختلف المعنى

المعانى النادرة

قال الجاحظ نظرنا فى الشعر القديم والمحدث فوجدنا المعنى يقلب ويؤخـذ بعضه من بعض غير قول عنترة فى الأوائل :

وحكى الذباب بها فليس ببارحٍ * غَرِدًا كفعل الشارب المترنم
هَزِجا يحـك ذراعه بذراعهِ * قدح المكبّ على الزناد الاجذم

وقول أبى نواس فى المحدثين :

قرارتها كسرى وفى جنباتها * مهًى تدّريها بالقسى الفوارسُ
فللراح مازرت عليه جيوبها * وللماء مادارت عليه القوانس

أخذه أبو العباس الناشئ فقال وولّد معنى زائداً

ومـدامة لا يبتغي من ربه * أحد حباه بها لديه مزيدا

(١) القوانس أعالى الرءوس

في كأسها صور تظن لحسنها * عُرُبا برزن من الخيام وغيدا
واذا المزاج أثارها فتقسمت * ذهباً ودُرا توأماً وفريدا
فكأنهن لبسن ذاك مجاسدا * وجعلن ذا لنحورهن عقودا

عروة وخراش

وأبيات أبي خراش، وكان خراش وعروة غزوا ثمالة فأسروهما، وأخذوهما، وهموا بقتلهما، فنهاهم زرام وأبى بنو هلال الا قتلهما، وأقبل رجل من بني زرام فالقى على خراش رداءه، وشغل القوم بقتل عروة، وقال الرجل لأبي خراش انجه فنجا الى ابنه فأخبره الخبر، ولا تعرف العرب رجلا مدح من لا يعرفه غيره

حمدت الٰهي بعد عروة اذ نجا * خراش وبعض الشر أهون من بعض
فوالله لا أنسى قتيلا رُزئته * بجانب قُوسى ما مشيت على الارض (١)
بلى انها تعفو الكلوم وانما * نوكَّل بالادنى وان جل ما يمضى
ولم أدر من ألقى عليه رداءهُ * سوى أنه قد سل من ماجد محض
ولم يك مثلوج الفواد مهبَّجاً * أضاع الشباب في الربيلة والخفض (٢)
ولكنه قد لوحته مخائض * على انه ذو مِرة صادق النهض (٣)
كأنهمُ يستثبتون بطائر * خفيف المساعي عظمه غير ذي مخض
يبادر فوت الليل فهو مهايد * يحث الجناح بالبسيط وبالقبض

الربيلة الخفض والدعة، والمهايد المجتهد في العَدْو والطيران

وقال أبو خراش يرثي أخاه عروة

تقول أراه بعد عروة لاهياً * وذلك رُزء لو علمت جليلُ
فلا تحسبي أني تناسيت عهدهُ * ولكنَّ صبرى يا أميمَ جميل

(١) قوسى اسم مكان (٢) المهبج : الثقيل النفس (٣) المرة بالكسر القوة

ألم تعلمى أن قد تفرق قبلنا * خليلا صفاء مالك وعقيل

وانى اذا ما الصبح أقبس ضوءه * يعاودنى قطع علىّ ثقيـل

أبى الصبر أنى لا أزال يهجنى * قليب لنا فيما مضى ومقيل

نديما جذيمة

مالك وعقيل اللذان ذكرهما نديما جذيمة الأبرش وكانا أتياه بابن أخته عمرو وكان قد استهوته الجن ، فناهما فتمنيا منادمته ، وهما اللذان عنى متمم بن نويرة في مرثية أخيه مالك

وكنا كندمانى جذيمة حقبةً * من الدهر حتى قيل لن يتصدَّعا

فلما تفرقنا كأنى ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

رنين الذباب

وقول عنترة فى وصف الذباب أوحد فرد ، ويتيم فذ ، وقد تعلق ابن الرومى بذيله وزاد معنى آخر فى قوله

اذا ارتفعت شمس الاصيل ونفّضت * على الافق الغربىّ ورساً مرعزعا(١)

ولاحظت النُّوار وهى مريضةٌ * وقد وضعت خداً على الارض أضرعا

كما لاحظت عوّادها عين مدنف * توجّع من أوصابه ما توجعا

وبين أغضاء الفراق عليهما * كأنهما خلا صفاء تودعا

وقد ضربت فى خضرة الروض صفرةٌ * من الشمس فاخضر اخضراراً مشعشعا

وظلت عيون النُّور تخضل بالندى * كما اغرورقت عين الشجى لتدمعا

وأزكى نسيم الروض ريحان ظله * وغنى مغنى الطير فيـه مرجعا

---

(١) الورس نبت أصفر يصبغ به

وغرد ربعي الذباب خلالهُ * كما حثت النشوان صهباء مترعا
فكانت أرانين الذباب هنا كمُ * على شدوات الطير ضربا موقعا

تصاوير الكؤوس

وذكر أبو نواس معني قوله في تصاوير الكؤوس في مواضع من شعره فمن ذلك
بنينا على كسرى سماء مدامةٍ * مكللة حافاتها بنجوم
فلو رُدّ في كسرى بن ساسانَ روحهُ * اذاً لاصطفاني دون كل نديم

وصف الاطلال

وأول هذا الشعر
لمن دمنٌ تزداد طِيب نسيم * على طول ما أقوَت وحسن رسوم (١)
تجافى البلى عنهنّ حتى كأنما * لبسن على الإقواء ثوب نعيم
وهذا معنى مليح وان أخذه من قول اعرابي
شطت بهم عنك دمنة قدمتْ * غادرت الشعب غير ملتئمِ
واستودعت سرها الديار فما * تزداد طيباً الا على القدم
وهذا ضد قول محمد بن وهب
طللان طال عليهما الأمد * درسا فلا عَلَمٌ ولا قَصَدُ (٢)
لبسا البلى فكأنما وجدا * بعد الأحبة مثل ما أجد
وقال الأخطل
لأسماءَ مُحتَلٌّ بناظرة البشر * قديمٌ ولمّا يعفه سالف الدهرِ
يكاد بين العرقان يضحك رسمهُ * وكم من ليال للديار ومن شهر

---

(١) اقوت من الاقواء وهو الاقفار (٢) القصد الرسم

هذا أيضا كقول أبى صخر الهذلى

للبلى بذات الجيش دار عرفتها * وأخرى بذات البين آياتها سطر [1]

كأنهما للآن لم يتغيرا * وقد مر للدارين من بعدنا عصرُ

وقال ابن أحمر العقيلى

تراها على طول القواء جديدةً * وعهد المغانى بالحلول قديمُ

وقرأ الزبير بن بكار اخبار أبى السائب فلما بلغ الى قول مالك بن أسماء الفزارى

بكت الديار لفقد سا كنها * أفعند قلبى أبتغى الصبرا

هذا البيت نظير قول ابن وهب

بيناهُمُ سكنٌ لجارهمُ * ذكروا الفراق فأصبحوا سَفْرا

فظللت ذا ولهٍ يعاتبنى * من لا يرى مثلى له أمرا

وان أبا السائب قال عند سماع البيت الأوسط ما أسرع ما اهتدوا! أما قدّموا ركابا ، أماودعوا صديقا! فقال الزبير رحم الله أبا السائب فكيف لو سمع قول العباس ابن الأحنف :

سألونا عن حالنا كيف أنتم * فَقَرَنَّا وَداعنا بالسؤال

ما أنخنا حتى ارتحالنا فما فرّ * قت بين النزول والارتحال

هكذا رواها الزبير بن بكار لمالك بن أسماء ورواها غيره لأيوب بن شعيب الباهلى

صفة الديار الخالية

ألفاظ لأهل العصر فى صفة الديار الخالية

دار لبست البلى وتعطلت من الحلى — دار قد صارت من أهلها خالية ، بعد ما كانت بهم حالية — دار قد أنفد البين سكانها ، وأقعد حيطانها ، شاهد اليأس منها ينطق وحبل الرجاء فيها يقصر ، كأن عمرانها يطوى وخرابها ينشر ، أركانها

(١) آياتها سطر : علاماتها ممحوة

قيام وقعود ، وحيطانها ركّع وسجود — ويشبه الاول من قول مالك بن اسماء قول مزاحم العقيلى

بكت دارهم من فقدهم فتهللت * دموعى فأى الجازعَيْن ألومُ
أمستعبر يبكى على اللهو والبلى * أم آخر يبكى شجوه فيهم

أبو الطيب المتنبى

لك يامنازل فى القلوب منازل * أقفرتِ أنتِ وهن منك أواهلُ
يعلمن ذاك وما علمت وانما * أولا كما يبكى عليه العاقل

ما سلم حتى ودع

وقال على بن جبلة فى معنى قول العباس بن الاحنف

زائرٌ نمّ عليه حسنهُ * كيف يخفى الليل بدراطلعا
بأبى من زارنى مكتتما * خائفاً من كل أمر جزعا
رصد الغفلة حتى أمكنت * ورعى الساهر حتى هجعا
ركب الاهوال فى زورته * ثم ما سلم حتى ودعا

وقال الحسين بن الضحاك

بأبى من وددته فافترقنا * وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
فافترقنا حولا فلما اجتمعنا * كان تسليمه علىّ وداعا

خالد الكاتب

وقال أبو الحسن جحظة قال لى خالد الكاتب : دخلت يوماً بعض الديارات فاذا أنا بشاب موثق فى أصفاد ، حسن الوجه ، فسلمت عليه فرد على السلام ، وقال من أنت ؟ قلت خالد بن زيد . فقال صاحب المقطعات الرقيقة ؟ قلت نعم ! فقال إن رأيت أن تفرج عنى ببعضها تنشدنى من شعرك فافعل ، فأنشدته

ترشفت من شفتيها عقاراً * وقبلت من خدها جُلّنارا
وعانقت منها كثيباً مهيلا * وغصنا رطيباً وبدراً أنارا
وأبصرت من نورها فى الظلام * بكل مكان بليل نهارا

فقال أحسنت لا يفضض الله فاك ، ثم قال اجزلى هذين البيتين

رب ليل أمدّ من نفس العا * شق طولاً قطعته بانتحاب
وحديث ألذّ من نظر الوا * مق بدلته بسوء العتاب

فوالله لقد أعملت فكرى فما قدرت أن أجيزهما
ويمكن أن يجاز بهذا البيت

ووصال أقل من لحة البا * رق عوضتُ عنه طول اجتناب

طول الليل

وقال ابن الرومى فى طول الليل

رب ليل كأنه الدهر طولاً * قد تناهى فليس فيه مزيد
ذى نجوم كأنهن نجوم الـ * ـسبت ليست تغيب لكن تزيد

وهذا من أجود ماجاء فى هذا المعنى وقال بشار

لخديك من كفيك فى كل ليلةٍ * الى أن ترى وجه الصباح وسادُ
تبيت تراعى الليل ترجو نفادهُ * وليس لليل العاشقين نفاد

وقال

خليلىّ مابال الدجى لا يزحزحُ * وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
أضل النهار المستنير سبيلهُ * أم الدهر ليل كله ليس يبرح
كأن الدجى زادت ومازادت الدجى * ولكن أطال الليلَ همٌّ مبرح

وقال

طال هذا الليل بل طال السهر * ولقد أعرف ليلى بالقِصَر

لم يطل حتى جفانى شادنٌ * ناعم الاطراف فتّان النظر
لىَ فى قلبىَ منه لوعةٌ * ملكت قلبى وسمعى والبصر
وكأن الهم شخص ماثلٌ * كلما أبصره النوم نفر

وقال أيضاً

كأن فؤاده كرة ترامى * حذار البين لو نفع الحذارُ
يروّعه السرار بكل شئٍ * مخافة أن يكون به السّرار
أقول وليلتى تزداد طولاً * أما لليل بعدهمُ نهارُ
جفت عينى من التغميض حتى * كأن جفونها عنها قصار

قيل لبشار من أين سرقت قولك

يروعه السرار بكل شئٍ

فقال من قول أشعب الطماع وقد قيل له ما بلغ من طمعك قال ما رأيت اثنين يتسارّان الا ظننتهما يريدان أن يأمرا لى بشئٍ. وأخذه أبو نواس فقال

لا تبيحنّ حرمة الكتمانِ * راحة المستهام فى الاعلان
قد تسترت بالسكوت وبالإخـــلاد جهدى فنمّت العينان
تركتنى الوشاة نُصب المريبيـــن وأُحدوثةً بكل مكان
ما أرى خاليين فى الناس الا * قلت مايخلوان الا بشانى

ومثل قول بشار

جفت عينى عن التغميض

البيت قول الآخر

كأن المحب بطول السهاد * قصير الجفون ولم تقصرِ

وقد تناول هذا المعنى العتابى فقال

وفى المآقى انقباض عن جفونهما * وفى الجفون عن الآماق تقصيرُ

ومثله

أعيدوا اصباحى فهو عيد الكواكبِ * وردّوا رقادى فهو لحظ الحبائبِ

كأن نهارى ليـلة مدلهمة * على مقلة من فقدكم فى غياهب
بعيدة ما بين الجفون كأنما * عقدتم أعالى كل هدب بحاجب

موازنة قصيرة

وقال العتبي تشاجر الوليد بن عبد الملك ومسلمة أخوه فى شعر امرئ القيس والنابغة فى طول الليل أيهما أشعر ، فقال الوليد النابغة أشعر ، وقال مسلمة بل امرؤ القيس ، فرضيا بالشعبي فأحضراه فأنشده الوليد

كليني لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطئ الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقضٍ * وليس الذى يرعى النجوم بآيب
وصدرٍ أراح الليل عازب همه * تضاعف فيه الحزن من كل جانب

وأنشده مسلمة قول امرئ القيس

وليل كموج البحر أرخى سدوله * عليَّ بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بردفه * وأردف اعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل الا انجلِ * بصبح وما الاصباح منك بأمثل
فيالك من ليل كأن نجومه * بكل مُغار الفتل شدت بيذبلِ

فطرب الوليد طربا فقال الشعبي بانت القضية معنى قول النابغة * وصدر أراح الليل عازب همه * انه جعل صدره مراحاً للهموم ، وجعل الهموم كالنعم السارحة الغادية ، تسرح نهاراً ثم تأتى الى مكانها ليلا ، وهو أول من استثار هذا المعنى ووصف أن الهموم مترادفة بالليل لتقيد الالحاظ عما هى مطلقة فيه بالنهار واشتغالها بتصرف اللحظ عن استعمال الفكر ، وامرؤ القيس كره أن يقول إن الهم يخف عليه فى وقت من الاوقات فقال وما الصباح منك بأمثل

وقال الطرماح بن حكيم الطائى

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبح * بيوم وما الاصباح فيك بأروحِ

ولكنّ للعينين فى الصبح راحة * لطرحتها طرفيهما كل مطرح

فنقل لفظ امرئ القيس ومعناه وزاد فيه زيادة اغتفر له معها فحش السرقة وانما تنبه عليه من قول النابغة الا أن النابغة لوّح وهذا صرّح

السر فى طول الليل

وقال ابن بسام

لا أظلم الليل ولا أدعى * أن نجوم الليل ليست تغورْ

ليلى كما شاءت فان لم تزر * طال وان زارت فليلى قصير

وانما أغار ابن بسام على قول على بن الخليل فلم يغير إلا القافية

لا أظلم الليل ولا أدعى * أن نجوم الليل ليست تزول

ليلى اذا شاءت قصير اذا * جادت وان ضنت فليلى يطول

وهذه السرقة كما قال البديع فى التنبيه على أبى بكر الخوارزمى فى بيت أخذ رويه وبعض لفظه «وان كانت قضية القطع، تجب فى الربع، فما أشد شفقتى على جوارحه، ولعمرى ان هذه ليست سرقة، وانما هى مكابرة محضة، وأحسب أن قائله لو سمع هذا لقال: هذه بضاعتنا ردت الينا. فحسبت أن ربيعة بن مكدم وعيينة بن الحرث بن شهاب كانا لا يستحلان من البيت ما استحله. فانهما كانا يأخذان جله، وهذا الفاضل قد أخذه كله» وقد أخذه على بن خليل من قول الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

لا أسأل الله تغييراً لما صنعت * نامت وإن أسهرت عينىّ عيناها

فالليل أطول شىء حين أفقدها * والليل أقصر شىء حين ألقاها

وابن بسام فى هذا كما قال الشاعر

وقى يقول الشعر الا انهُ * فى كل حال يسرق المسروقا

هموم الساهرين

ألفاظ لاهل العصر فى طول الليل والسهر وما يعرض فيه من الهموم والفكر

ليلة من غصص الصدر ، ونقم الدهر ، ليلة هموم وغموم ، كما شاء الحسود وساء الودود ، ليلة قص جناحها ، وضل صباحها ، ليل ثابت الاطناب ، بطىء الغوارب ، طاغى الامواج ، وافى الذوائب — ليال ليست لها أسحار ، وظلمات لا يتخللها أنوار — بات بليلة النابغة أراد قوله

فبت كأنى ساورتنى ضئيلةٌ * من الرقش فى أنيابها السم ناقعُ

بات فى الصيف بليلة شتوية ، سامرته الهموم ، وعانقته النجوم ، واكتحل السهاد ، وافترش القتاد ، فاكتحل بماء السهر ، وتململ على فراش الفِكَر ، قد أقضَّ مهاده ، وقلق وساده — هموم تفرق بين الجنب والمهاد ، وتجمع بين العين والسهاد ، طرف برعى النجوم مطروف ، وفراش بشعار الهم محفوف ، كأنه على النجوم رقيب ، وللظلام نقيب

انتشار الظلمة وطلوع الكواكب

ولهم فيما يتصل بضدذلك من ذكر الليل وانتشار الظلمة وطلوع الكواكب

أقبلت عساكر الليل ، وخفقت رايات الظلام ، وقد أرخى الليل علينا سدوله ، وسحب الظلام فينا ذيوله — توقد الشفق فى ثوب الغسق — أقبلت وفود النجوم ، وتوردت حدائق الجو ، واذكى الفلك مصابيحه ، قدطفت النجوم فى بحر الدجى ، ولبس الظلام جلبابا من القار ، ليلة كعزاب الشبان ، وحدق الحسان وذوائب العذارى — ليلة كأنها فى لباس بني العباس [1] ليلة كأنها فى لباس الثكالى وكأنها من الغبش فى مواكب الحبش — ليلة قد أحلك أهلها فكأن البحر بابها

---

(١) كان السواد شعار بنى العباس

النوم والنعاس

ولهم فى ذكر النوم والنعاس: شرب كأس النعاس ، وانتشى من خمر الكرى ، قد عسكر النعاس بطرفه ، وخيّم بين عينيه وجفنه ، غرق فى لجة الكرى ، وتمايل فى سكرة النوم ، قد كحل الليل الورى بالرقاد ، وشامت الأعين اجفانها فى الاغماد

انتصاف الليل وتناهيه

ولهم فى انتصافه وتناهيه وانتشار النور وأفول النجوم : قد اكتمل الظلام ، قد انتصفنا عمر الليل واستغرقنا شبابه ، قد شاب رأس الليل ، كاد ينم النسيم بالسحر ، قد انكشف غطاء الليل ، ستر الدجى هرم الليل ، وشمطت ذوائبه ، وتقوس ظهره ، وتهدم عمره ، قوضت خيام الليل وخلع الافق ثوب الدجى ، أعرض الظلام ، وتولى عنقود الثريا — طرز قميص الليل بغرة الصبح ، وباح الصبح بسره ، خلع الليل ثيابه ، وحدر الصبح نقابه ، لاحت تباشير الصبح ، وافتر الفجر عن نواجذه ، وضرب النور فى الدجى بعموده — بث الصبح طلائعه ، تبرقع الليل بغرة الصبح ، أطار منادى الصبح غراب الليل ، وعزلت نوافج الليل بجامات الكافور ، وانهزم جيش الظلام عن عسكر النور ، خلعنا خلعة الظلام ، ولبسنا رداء الصباح ، وملأ الآذان برق الصباح ، وسطع الضوء ، وطلع النور ، وأشرقت الدنيا ، وضاءت الآفاق ، مالت الجوزاء للغروب وولّت مواكب الكواكب ، وتناثرت عقود النجوم ، وفرت أسراب النجوم من حدق الأنام ، وهَى نطاق الجوزاء ، وانطفأ قنديل الثريا — قال بعض الاعراب خرجنا فى ليلة حندس قد ألقت على الارض أكارعها فمحت صورة الابدان فما كنا نتعارف الا بالأذان

قال ابن محكان السعدى

وليل يقود الناس فى ظلماتهِ * سواء صحيحات العيون وعُورها

كأن لنا منه بيوتاً حصينة * مُسوحا أعاليها وساجا كسورها

الكسر جانب البيت ، وهو بارع جدا. أراد أن اعلاه أشد ظلاما من جوانبه
وقال اعرابي فى صفته : خرجت حين انحدرت النجوم وشالت أرجلها ، فما زلت
أصدع الليل حتى أصدع الفجر . ومن بديع الشعر فى صفة الليل قول الاعرابى

والليل يطّرد النهار ولا ترى * كالليل يطرد النهار طريدا
فتراه مثل البيت مال رواقهُ * هتك المقوّض ستره الممدودا

ومن البديع

على حين أثنى القوم ضرٌّ من السُّرى * وطارت بأخرى الليل أجنحة الفجرِ

آخر

وليل ذى غياطلَ مدلهمٍّ * رميت بنجمه غرض الأفولِ
يرد الطرف منقبضاً كايلا * ويملأ هوله صدر الدليل

ابن المعتز

هامت ركائبنا اليك بنا * بظليل أهل النار والمنح
فكأن أيديهن واريةٌ * يفضحن ليلتهن عن صبح

وقال كشاجم

سقياً لليل قصرت مدتهُ * بدير مرّان مرّ مشكورا
وبات بدر الدجى يشمشمها * نورية تملأ الدجى نورا
غارت على نفسها وقد سفرت * فعاد جيب الحباب مزرورا
حتى رأيت الظلام يدرجه الـ * غرب ودرج الصباح منشورا
فاختلط الليل والنهار كما * تخالط كف مسكا وكافوراً

اخوان الصفاء أقارب

وقال على بن محمد الكوفى

متى أرتجى يوماً شفاء من الضنا * اذا كان جانيه علىّ طبيبى
ولى عائدات ضفنهن فجئن فى * لباس سواد فى الظلام قشيب

نجوم أراعي طول ليلى بروجَها * وهن لبعد السير ذات لغوب
حدائق فى جنح الظلام كأنها * قلوبٌ معنّاة بطول وجيب
ترى حوتها فى الشرق ذات سباحةٍ * وعقربها فى الغرب ذات دبيب
اذا ما هوى الا كليل منها حسبته * تهدُّل غصن فى الرياض رطيب
كأن التى حول المجرة أوردت * لتكرع فى ماءٍ هناك صبيب
كأن رسول الصبح يخلط فى الدجى * شجاعة مقدام بجبن هيوب
كأن اخضرار البحر صرح ممردٌ * وفيه لآل لم تشن بثقوب
كأن سواد الليل فى ضوء صبحهِ * سواد شباب فى بياض مشيب
كأن نذير الشمس يحكى ببشرهِ * علىّ بن داود أخى ونسيبى
ولولا اتقائى عتبه قلت سيدى * ولكن يرها من أجل ذنوبى
جواد بما تحوى يداه مهذب * أديب غدا خلا لكل أديب
نسيب إخاء وهو غير مناسب * قريب صفاء وهو غير قريب
ونسبة ما بين الاقارب وحشة * اذا لم يؤنّسها انتساب قلوب

وهذا البيت كقول الطائى :

وقلت أخى قالوا أخ من قرابةٍ * فقلت لهم ان الشكول أقارب

وقال عبد السلام بن رغبان وسلك طريق الطائى فما ضل عنها

أخ كنت أبكيه دماً وهو حاضرٌ * حذاراً وتعمى مقلتى وهو غائب
فمات فلا شوقى الى الاجر واقف * ولا أنا فى عمرى الى الله راغب
فهاك أخاً لم تحوه بقرابة * بلى ان اخوان الصفاء أقارب
وأظلمت الدنيا التى أنت نورها * كأنك للدنيا أخ ومناسب
يبرّد نيران المصائب أننى * أرى زمناً لم تبق فيه مصائب

وفى هذه القصيدة

ترشفت أيامى وهن كوالحٌ * اليك وغالبت الردى وهو غالب

ودافعت فى كبد الزمان ونحره * وأى يد يلوى الزمان المحارب
وقلت له خلّ ابن أمى لعصبة * وها أنا أو فاردد فانا عصائب
أواليه اخلاصاً من القول صادقاً * والا فجى آل أحمد كاذب
لوأن يدى كانت شفاءك أو دمى * دم القلب حتى يقضب الحبل قاضب
لسلمت تسليم الرضا واتخذتها * يداً للردى ما حج لله راكب
فتىً كان مثل السيف من حيث جئته * لنائبة نابتك فهو مضارب
فتى همه حمدٌ على الدهر رائح * وان ناب عنه ماله وهو عازب
شمائل إن تشهد فهن مشاهد * عظام وان ترحل فهن ركائب

وقال الطائى لعلى بن الجهم

ان يكف مطّرف الاخاء فاننا * نغدو ونسرى فى إخاء تالد
أو يفترق نسب يؤلف بيننا * أدب أقمناه مقام الوالد
أو يختلف ماء الوصال فماؤنا * عذب تحدر من غمام واحد

وقال محمد بن موسى بن حماد سمعت على بن الجهم وذكر دعبلا فلعنه وكفره وقال كان يطعن على أبى تمام وهو خير منه ديناً وشعراً ، فقال رجل لو كان أبو تمام أخاك مازدت على مدحك له . فقال ان لا يكن أخا نسب فهو أخو أدب ، أما سمعت ما خاطبنى به؟ وانشد الابيات . وقال رجل لابن المقفع اذا لم يكن أخى صديقى لم أواخه . قال نعم صدقت الاخ نسيب الجسم والصديق نسيب الروح

وقال ابو تمام يخاطب محمد بن عبد الملك الزيات :

أبا جعفر ان الجهالة أمها * ولودٌ وأم العلم حيداء حائل
أرى الحشو والدهماء أضحت كأنها * شعوب تلاقت دوننا وقبائل
غدوا وكأن الجهل يجمعهم أباً * وحظ ذوى الآداب فيهم نوافل
فكن هضبة تأوى اليها خريدة * تفرّد عنها الاعوجىّ المناقل
فان الفتى فى كل حال مناسب * تناسب روحانية من يشاكل

وقال البحترى لابي القاسم بن خرداذبة

إن كنت من فارس فى بيت سؤددها * وكنت من محتدى بالبيت والنسب
فلم يضرّ تنائى المنصبين وقد * رحنا نسيبين فى علم وفى أدب
اذا تقاربت الآداب والتأمت * دنت مسافة بين العُرب والعجم

وصف النجوم

وقد احتذى طريقه محمد أبو القاسم بن هانىء فقال يمدح جعفر بن على وذكر النجوم فقال

جعلنا حشايانا ثياب مدامنا * وقدّت لنا الظلماء من جلدها لُحفا
فمن كبد تبدى الى كبد هوى * ومن شفة توحى الى شفة رشفا
بعينك نبّه كاسه وجفونهُ * فقد نبه الابريق من بعد ما أغفى
وقد فكت الظلماء بعض قيودها * وقد قام جيش الليل للفجر واصطفا
وولت نجومٌ للثريا كأنها * خواتم تبدو فى بنان يد تخفى
ومرّ على آثارها دَبَرانها * كصاحب ردءٍ أكمنت خيله خلفا
وأقبلت الشعرى العبور ملبة * بمرزمها اليعبوب تجنبه طرفا
وقد بادرتها أختها من ورائها * لتخرق من ثِنْيَىْ مجرتها سَجْفا
تخاف زئير الليث يقدم نثرة * ويبربر فى الظلماء ينسفها نسفا
كأن السماكين اللذين تظاهرا * على لبدتيه ضامنان له الحتفا
فذا رامح يهوى الىّ سنانه * وذا أعزل قد عض أنمله لهفا
كأن رقيب النجم أجدل مرقبٍ * يقلب تحت الليل فى ريشه طرفا
كأن سهيلا فى مطالع أفقهِ * مفارق إلف لم يجد بعده إلفا
كأن بنى نعش ونعشا مطافل * بوجرة قد أضللن فى مهمهٍ خشفا
كأن سُهاها عاشق بين عُوَّدٍ * فآونة يبدو وآونةً يخفى
كأن معلّى قطبها فارس لهُ * لوا آن مركوزان قد كره الزحفا

كأن قُدامى النسر والنسر واقعٌ * ضعفن فلم تسمُ الخوافى به ضعفا
كأن أخاه حين دوّم طائراً * اتى دون نصف البدر فاختطف النصفا
كان الهزيع الآبنوسىّ موهنا * سرى بالنسيج الخسروانىّ ملتفا
كأن ظلام الليل إذ مال ميلةً * صريع مدام بات يشربها صرفا
كأن عمود الصبح خاقان عسكر * من الترك نادى بالنجاشىّ فاستخفى
كأن لواء الشمس غرة جعفر * رأى القِرن فازدادت طلاقته ضعفا

وقال ابن طباطبا

كأن اكتتام المشترى فى سحابهِ * وديعة سر فى ضمير مذيعِ
كأن سهيلا والنجوم أمامهُ * يعارضها راع وراءَ قطيع
وقد لاحت الشّعرى العبور كأنها * تقلّب طرف بالدموع هموع
وأضجعت الجوزاء فى أفق غربها * فبات كنشوانٍ هناك صريع
الى أن أجاب الليل داعى َصبحهِ * وكان ينادى منــه غير سميع

وقال

وكأن الهلال لمـا تبدّى * شطر طوق المرآة ذى التذهيبِ
أو كقوس قد انحنت بانجذاب * أو كنون فى مُهْرَق مكتوب

وقال على بن محمد العلوى يصف القمر وقد طرح جرمه على دجلة

لم أنس دجلة والدجى متصرمٌ * والبدر فى أفق السماء مغرّبُ
فكأنه فيــه رداء أزرق * وكأنه فيها طراز مُذْهب

وقال تميم بن المعز وكان يحتذى مثال ابن المعتز ويقف فى التشبيهات بجانبه ، ويفرغ فيها على قالبه ، ويتبعه سلوك ألفاظ الملوك

اسقيانى فلست أصغى لعذل * ليس الا تعلة النفس شغلى
أأطيع العذول فى ترك ما أهــــوى كأنى اتهمت رأيى وعقلى
عللانى بهـا فقد أقبل الليــــل كلون الصدود من بعد وصل
وانجلى الغيم بعد ما ضحك الرو ض بكاء السحاب جاد بوبل

عن هلال كصولجان نضار * فى سماء كأنها جام ذيل

وقال

رب صفراء علتنى بصفرا ء وجنح الظلام مرخى الازار

بين ماء وروضة وكروم * ورواب منيفة وصحار

تتثنى به الغصون عليها * ونجيب القيان فيها القمارى

وكأن الدجى غدائر شعرٍ * وكأن النجوم فيها مدارى

وانجلى الغيم عن هلال تبدى * فى يد الافق مثل نصف سوار

وقال

عتبت فانثنى عليها العتاب * ودعا مع مقلتيها انسكاب

وسعت نحو خدها بيديها * فالتقى الياسمين والعناب

رب مبدى تعنت جعل العتـ ـب رياء وهمه الإعتاب

فاسقنيها مدامة تصبغ الكا س كما يصبغ الخدود الشباب

ماترى الليل كيف رق دجاهُ * وبدا طيلسانه ينجاب

وكأن الصباح فى الأفق بازٍ * والدجى بين مخلبيه غراب

وكأن السماء لجة بحر * وكأن النجوم فيها حُباب

وكأن الجوزاء سيف صقيل * وكان الدجى عليها قراب

الكؤوس والسقاة

وقال

وزنجية الآباء كرخية الجلب * عبيرية الانفاس كرمية النسب

كميت بزلنا دنها فتفجرت * بأحمر قان مثل قطر من الذهب

فلما شربناها صبونا كاننا * شربناالسرورالمحض واللهو والطرب

ولم نأت شيئاً يسخط المجد فعلهُ * سوى اننا بعنا الوقار من اللعب

كأن كؤوس الشرب وهى دوائر * قطائع ماء جامد تحمل اللهب

يمد بها كفاً خصيباً يديرها * وليس بشىء غيرها هو مختضب

فبتنا نُسقَّى الشمس والليل راكدٌ * ونقرب من بدر السماء وماقرب
وقد حجب الغيم الهلال كأنهُ * ستارة شرب خلفها وجه من أحب
كأن الثريا تحت حُلكة لونها * مدافن بلور على الارض تضطرب

وقال

كأن السحاب الغر أصبحن أكؤسا * لنا وكأن الراح فيها سنا البرقِ
الى أن رأيت النجم وهو مغرّب * وأقبل رايات الصباح من الشرق
كأن سواد الليل والصبح طالع * بقايا مجال الكحل فى الاعين الزرق

وقال

وكاس يعيد العسر يسراً ويجتنى * ثمار الغنى للشرب من شجر الفقر
يولد فيها المزج دراً منضداً * كما فتتت فوق الثرى نقطة القطر
صغار وكبرى فى الكؤوس كأنها * على الراح واوات تجمّعن فى سطر
اذا حثها الساقى الاغر حسبتها * نجوم الثريا لحن فى راحة البدر
صبحت بها صحبى وقد رندج الدجى * بفضة لألاء الصباح من الفجر
وقد أزهرت بيض النجوم كأنها * على الافق الاعلى قلائد من در

وقال

ألا فاسقيانى قهوة ذهبيةً * فقد ألبس الآفاق صبح الدجى دعج
كأن الثريا والظلام يحفها * فصوص لجين قد أحاط بها سبج
كأن نجوم الليل تحت سوادهِ * اذا جن زنجىٌّ تبسم عن فلج

وقال

أيا دير مرحنا سقتك رعود * من الليل حلك مزنها وسجود
فكم واصلتنا فى رضاك أوانس * يطفن علينا بالمدامة غيد
وماست على الكثبان قضبان فضة * فأثقلها من حملهن نهود
وإذ لمتى لم يوقظ الشيب ليلها * واذ أثرى فى الغانيات حميد
ليالىَ أغدو بين ثوبىٌ صبابة * ولهو وأيام الزمان هجود

وقال

سألته قبلة منه على عجل * فاحمر من خجل واصفر من وجلِ
واعتل ما بين اسعاف يرقرقهُ * وبين منع تمادى فيه بالعلل
وقال وجهيَ بدر لا خفاء بهِ * ومبصر البدر لا يدعوه للقبل

وهذا ينظر الى قوله

أباح لمقلتي السهرا * وجار عليَّ واقتدرا
غزالٌ لوجرى نَفَسى * عليه لذاب وانفطرا
ولكن عينه حشدت * عليَّ الغنج والحوَرا
ومن أودى به قمرٌ * فكيف يعاتب القمرا

كأنه ذهب الى قول ابى نواس

كأن ثيابه أطلعـ * ـن من أزراره قمرا
يزيدك وجهه حسنا * اذا مازدته نظرا
بعين خالط التفتيـ * ـر من أجفانها الحورا
ووجه سابريّ لو * تصوّب ماؤه قطرا [1]

قيل للجاحظ من أنشد الناس وأشعرهم قال الذى يقول وانشد هذه الابيات

ونظير قوله

كأن ثيابه أطلعـ * ـن من أزراره قمرا

قول الحكيم بن قنبر المازنى

ويلاه مما أطار النوم فامتنعا * وزاد قلبي الى أوجاعه وجعا

وقال تميم

نقبت وجهها بخز وجاءت * بمدام منقب بزجاجِ
فتأملت فى النقابين منها * قمراً طالعاً وضوء سراج

(١) سابرى جميل

فاسقیانی بلا مزاج فانی * فی المعالی صرف بغیر مزاج
وانظر الافق کیف بدله الاصـ * ـباح من بعد آبنوس بعاج

وقال

اذا حذرتَ زماناً لا تسر بهِ * وکم أتی سهل دهر بعد أصعبه
فاقبل من الدهر ما أعطاك مختلطاً * لعل مرَّك یحلو فی تقلبهِ
خذها الیك ودع لومی مشعشعة * من کف ظبی أسیل الخد مُذهبه
فی کل معقد حسن فیه معترض * علیه یحمیه من أن یستبد به
فکحل عینیه ممنوع بخنجرهِ * وورد خدیه محمیٌّ بعقربه
لا یترك القدح الملآن فی یدهِ * انی أخاف علیه من تلهبه
فصنه عن سقینا إنی أغاربه * وأسقه واسقنی من فضل مشربه
وانظر الی اللیل کالزنجی منهزما * والصبح فی إثره یعدو باشهبه
والبدر منتصب ما بین انجمه * کانه ملك ما بین کوکبه

شعر تمیم بن المعز

واذ أفضیت الی ذکره ، فهاك من مختار شعره

مستقبل بالذی یهوی وان کثرت * منه الذنوب ومقبول بما صنعا
فی وجهه شافع یمحو اساءتهُ * من القلوب وجیه أینما شفعا
کأنما الشمس من أثوابه برزت * حسناً أو البدر من أزراره طلعا

استعاره من قول الآخر وهو ابن زریق .

أستودع اللهَ فی بغداد لی قمراً * بالکرخ من فلك الأزرار مطلعهُ[1]

ومن قول احمد بن یحیی الفران

بدا فکأنما قمرٌ * علی أزراره طلعا
بحثّ المسك من عرق الـ * جبین بنانه ولعا

---

(١) الکرخ محلة ببغداد

خلود الصبابة

وقال أبو دارسان سيف الدولة

نفسي الفداء لمن عصيت عواذلي * في حبه لم أخش من رقبائه
الشمس تظهر من أسِرّة وجههِ * والبدر يطلع من خلال قبائه

وقال سهل :

أأعذل قلبي وهو لي غير عاذل * وأعصي غرامي وهو ما بين أضلعي
ومن لي بصبر أستزيل به الجوى * ولا جلدي يطوي ولا كبدي معي
فأول شوقي كان آخر سلوتي * وآخر صبري كان أول أدمعي

ورد الخدود وورد الرياض

وقال

ورد الخدود أرق من * ورد الرياض وأنعم
هذا تنشّقه الانو * ف وذا يقبله الفمُ
واذا عدلت فافضل الـ * وردين ورد يُلثمُ
لاورد الا ماتولّى * صبغ حمرته الدم
هذا يشم ولا يضمُّ * وذا يضم ويُشمَمُ
سبحان من خلق الخدو * دَ شقائقاً تُتنسم
وأعارها الاصداغ فهـ * ـي بها شقيق يُعلِم
واستنطق الاجفان فهـ * ـي بلحظها تتكلم
وتُبين للمحبوب عن * سر الحبيب فيفهم
وتشير ان رأت الرقيـ * ـب بلحظها فتسلّم
وأعارها مرضاً تصحّ * به القلوب وتسقم
فتن العيون أجل من * فتن الخدود وأعظم

رسل القلوب

وقال

ان كانت الألحاظ رُسل القلوب * فينا فما أهون كيد الرقيب
قبلت من أهوى بعينى ولم * يعلم بتقبيلىَ خد الحبيب
لكنه قد فطنت عينهُ * بلحظ عينى فطنة المستريب
ان كان علم الغيب مستخفياً * عنا فعند اللحظ علم الغيوب

زاد المحبين بعد الفراق

وقال

قالوا الرحيل لخمسةٍ * تأتى سريعاً من جمادى
فأجبتهم انى اتخذ * ت له الأسى والحزن زادا
سبحان من قسم الأسى * بين الأحبة والبعادا
وأعار للأجفان حسـ * ـناً تسترق به العبادا

أسباب الشقاء

وقال

عقرب الصدغ فوق تفاحة الخد * نعيم مطرّز بعذابِ
وسيوف اللحاظ فى كل حين * مانعاتٌ جَنى الثنايا العذابِ
وعيون الوشاة يفسدن بالرقـ * ـبة والمنع رؤية الأحباب
فمتى يشتفى المحب وتطفى * بالتدانى حرارة الاكتئاب

وقال

ترى عذارَيه قد قاما بمعذرتى * عند العذول فيغدو وهو يعذرنى
ريم كأن له فى كل جارحةٍ * عقدا من الحسن أو نوعا من الفتنِ

كأن جوهره من لفظه عرض * فليس تحويه الا أعين الفطن
أخفى من السر لكن حسن صورته * اذا تأملته أبدى من العلن
والله مافتنت عيني محاسنه * الا وقد سحرت ألفاظه أذني
ما تصدر العين عنه لحظها مللا * لأنه كل شخص مرتضى حسن
يامنتهى أملي لا تدن لي أجلي * ولا تعذب ظنوني فيك بالظنن
ان كان وجهك وجها صيغ من قمر * فان قدك قد قد من غصن

وقال

ألا يانسيم الريح عرج مسلما * على ذلك الشخص البعيد المودع
وهب على من شف جسمي بعاده * سموما بما استمليت من نار أضلعي
فان قال ماهذا الحرور فقل له * تنفس مشتاق بحبك موجع

ومختار شعره كثير وقد تفرق منه قطعة كافية في اعراض الكتاب (١)

عود الى وصف النجوم

رجع ما انقطع

قال الصاحب أبو القاسم اسمعيل بن عباد

لقد رحلت سعدى فهل لك مسعد * وقد أنجدت داراً فهل أنت منجد
رعيت بطرف النجم لما رأيتها * تباعد بعد النجم بل هي أبعد
تنير الثريا وهي قرط مسلسل * ويطرد منها الطرف در منضد
وتعترض الجوزاء وهي كواكب * تميل من سكر بها وتميد
وتحسبها طوراً أسير جناية * ترشح بعد المشي وهو مقيد
ولاح سهيل وهو للصبح راقب * كما سل من غمد جراز مهند (٢)

(١) يريد تميم بن المعز (٢) الجراز السيف القاطع

أردد طرفى فى النجوم كأنها * دنانير لكنّ السماء زبرجد
رأيت بها والصبح ماحان ورده * قناديل والخضراء صرح ممرّد (١)
وفيه لنا من مربط الشمس أشقرٌ * اذا ماجرى فالريح تكبو وتركد

وقال أبو على الحاتمى

وليلٍ أقمنا فيه نُعمل كأسنا * الى أن بدا للصبح فى الليل عسكرُ
ونجم الثريا فى السماء كأنهُ * على حلة زرقاء جيبٌ مدثّر

البحترى

ولقد سريت مع الكواكب راكباً * أعجازها بعزيمة كالكوكب
والليل فى لون الغراب كأنهُ * هو فى حُلُوكته وان لم ينعب
والعيس تنصل من دجاه كما انجلى * صبغ الخضاب عن القذال الاشيب
حتى تبدّى الفجر من جنباته * كالماء يلمع من خلال الطُّحلب

قال الأمير أبو الفضل الميكالى

أهلاً بفجر قد نضى ثوب الدجى * كالسيف جُرّد من سواد قُرابِ (٢)
أو غادة شقت صِدارا أورقاً * ما بين ثُغرتها الى الاتراب (٣)

وصف الشمس

وقال رجل من بنى الحرث بن كعب يصف الشمس

مخبأة أما اذا الليل جنها * فتخفى وأما بالنهار فتظهر
اذا انشق عنها ساطع الفجر وانجلى * دجى الليل وانجاب الحجاب المستّر
وألبس عرض الارض لونا كأنهُ * على الافق الشرقىّ ثوب معصفر
تجلت وفيها حين يبدو شعاعها * ولم يحل للعين البصيرة منظَر

(١) الخضراء السماء، والصرح الممرد هو القصر الرفيع
(٢) قراب السيف غمده (٣) ألاورق مافى لونه بياض إلى سواد

عليها كدرع الزعفران يشبهُ * شعاع تلالا فهو ابيض أصفر
فلما علت وابيضّ منها اصفرارها * وجالت كما جال المهيج المسيَّرُ
وجلت الآفاق ضوءاً بنورها * تخرّ لها وجه الضحى يتسعر
ترى الظل يطوى حين تبدو وتارةً * تراه اذا زالت عن الارض ينشر
كما بدأت اذ أشرقت فى مغيبها * يعود كما عاد الكبير المعمَّر
وقد شف حتى ما يكاد شعاعها * يبين اذا ولت لمن يتبصر
فأفنت قرونا وهى ذاك ولم تزل * تموت وتحيا كل يوم وتنشر

اجمل ما قال العرب

وقال عبد الملك بن مروان لبعض جلسائه يوما: ما أحكم أربعة أبيات قالتها العرب فى الجاهلية؟ فأنشده

منع البقاء تقلُّب الشمسِ * وطلوعها من حيث لا تمسى
وطلوعها بيضاء صافيةً * وغروبها صفراء كالورسِ
تجرى على كبد السماء كما * يجرى حِمام الموت فى النفس
اليوم يُعلم ما يجىء به * ومضى بفصل قضائه أمسِ

قال أحسنت فأخبر بأمدح بيت قالته العرب فى الشجاعة. قال قول كعب ابن مالك الانصارى

نصل السيوف اذا قصُرن بخطونا * قدما ونلحقها اذا لم تلحقِ

قال فأخبرنى بافضل بيت قيل فى الجود. فأنشده لحاتم طيّى

أماويّ ما يغنى الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ
ترىْ أن ما ابقيت لم أك ربهُ * وان يدى مما بخلت به صِفر
ألم تر أن المال غادٍ ورائحٌ * ويبقى من المال الاحاديث والذكر
غنينا زمانا بالتصعلك والغنى * فكلاً سقاناه بكأسيهما الدهر

فما زادنا بغياً على ذى قرابةٍ * غنانا ولا أزرى باحسابنا الفقر

قال فاخبرنى عن أحسن الناس وصفا . قال الذى يقول

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً * لدى وكرها العناب والحشف البالى

والذى يقول

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذى لم يثقَّبِ

والذى يقول

ونعرف فيـه من أبيه شمائلاً * ومن خاله ومن يزيد ومن حجر

سماحة ذا مع برّ ذا ووفاء ذا * ونائل ذا اذا صحا واذا سكر

يريد امرأ القيس

وصف الشروق والغروب

ألفاظ لاهل العصر فى طلوع الشمس وغروبها ومتوع النهار وانتصافه وابتدائه وانتهائه — بدا حاجب الشمس، ولمعت فى أجنحة الطير ، وكشفت قناعها ، ونشرت شعاعها ، وارتفع سرادقها ، وأضاءت مشارقها ، وانتشر جناح الضوء فى أفق الجو — طنّب شعاع الشمس فى الآفاق، وذهّب اطراف الجدران — أينع النهار وارتفع ، استوى شباب النهار وعلا رونق الضحى ، وبلغت الشمس كبد السماء — انتعل كل شئ ظله ، وقام قائم الهاجرة ، ورمت الشمس بجمرات الظهر ، واصفرت غلالة الشمس وصارت كأنها الدينار يلمع فى قرار الماء ، ونفضت تبرا على الاصيل، وشدت رحلها للرحيل ، وتصوبت الشمس للمغيب ، وتضيفت للغروب ، فأذن جنبها للوجوب — شاب النهار ، وأقبل شباب الليل ، ووقفت الشمس للعيان ، وشافه الليل لسان النهار — الشمس قد اشرفت بروجها ، وجنحت للغروب ، وشافهت درج الوجوب — الجو فى أطيار بهجة من أصائله ، وشفوف مورّسة من غلائله — استتر وجه الشمس بالنقاب، وتوارت بالحجاب — كان هذا

الامر من مطلع الفلق ، الى مجمع الغسق — فلان يركب في مقدمة الصبح ، ويرجع في ساقة الغسق ، ومن حين تفتح الشمس جفنها ، الى أن تغمض طرفها ، ومن حين تسكن الطير أوكارها ، الى حين تنزل المرأة من أكوارها[١]

المقامة الكوفية

مقامة لأبي الفتح الاسكندري من انشاء البديع اتصلت بذكر الليل والنهار

قال عيسى بن هشام : كنت وأناقيّ السن أشد رحلي لكل عماية ، وأركض طرفي لكل غواية ، حتى شربت من العمر سائغه ، ولبست من الدهر سابغه ، فلما صاح النهار بجانب ليلي ، وجمعت للمعاد ذيلي ، وطئت ظهر المروضة[٢] ، لاداء المفروضة ، وصحبني في الطريق رجل لم أنكره من سوء ، فلما تجالينا[٣] ، وحين تخالينا ، سفرت القصة عن أصل كوفي ، ومذهب صوفي ، وسرنا فلما حللنا الكوفة ملنا الى داره ، وقد بقل وجه النهار واخضر جانبه ، ولما اغتمض جفن الليل وطر شاربه ، قُرع علينا الباب ، فقلنا من القارع المنتاب[٤] ، فقال وفد الليل وبريده ، وفلّ الجوع وطريده ، وحرٌّ قاده الضر ، والزمن المر ، وضيف وطؤه خفيف ، وضالته رغيف ، وجار يستعدى على الجوع ، والجيب المرقوع ، وغريب اوقدت النار على سفره[٥] ، ونبح العوّاء في أثره[٦] ، ونُبذت خلفه الحُصيّات[٧] ، وكنست بعده العرصات[٨] ، فنضوه طليح ، وعيشه تبريح ، ومن دون أفراخه مهامه فيح[٩] ، قال عيسى بن هشام فقبضت من كيسي قبضة الليث وبعثتها اليه ، وقلت زدنا سؤالا نزدك نوالا ، فقال ما عُرض عَرف العود ، على أحرّ من نار الجود ، ولا لُقي

---

(١) الاكوار جمع كور بالضم وهو الرحل (٢) وطئ ظهر المروضة : ركب المركب الذلول (٣) تجالى الرجلان كشف كل منهما عن حاله (٤) المنتاب هو الطارق بليل (٥) كناية عن اليأس من الرجوع (٦) لاينبح الكلب غير الرجل المجهول (٧) يريد أنه رجل منبوذ

(٨) العرصات جمع عرصة وهي أرض الدار (٩) المهامه الفيح: القفار الواسعة الأرجاء ، والمفرد أفيح وفيحاء

وفد البر ، بأحسن من بريد الشكر ، من ملك الفضـل فليواس ، فلن يذهب العرف بين الله والناس ، وأما أنت فحقق الله أملك ، وجعل اليـد العليا لك .
قال عيسى بن هشام ففتحنا الباب فاذا شيخنا أبو الفتح الاسكندرى ، فقلت يا أبا الفتح! شدّ ما بلغت بك الخصاصة ، وهذا الزى خاصة ! فتبسم وقال :

لا يغرنّك الذى * أنا فيه من الطلب
أنا فى ثروة تُشق * لها بردة الطرب
أنا لو شئت لاتخذ * ت سقوفا من الذهب

رسالة للبديع

وكتب البديع الى بعض اخوانه : غضب العاشق أقصر عمراً من ان ينتظر عذراً ، وان كان فى الظاهر مهابة سيف ، فانه فى الباطن سحابة صيف ، وقد رابنى إعراضه صفحا ، أجداً قصد أم مزحا ، ولو التبس القلبان جد التباسهما ماوجد الشيطان بينهما مساغا ، ولا والله لا أزيدك ودا ، تجد منه بداً ، ان كنت الجد قصدت ، وان محبة تحتمل شكا لأ جدر محبة، أن لا تشترى بحبة ، وان كان قصد مزحا فما أغنانا عن مزح حل عُقد الفؤاد ، والسلام

وله اليـه : المودة أعزك الله غيب ، وهو فى مكان من الصـدر ، لا ينفذه بصر ، ولا يدركه نظر ، ولـكنها تعرف ضرورة ، وان لم تظهر صورة ، ويدركها الناس ، وان لم تدركها الحواس ، ويستملى المرء صحيفتها من صدره ويعلم حال غيره من نفسه ، ويعلم انها وراء القلب قلب ، ووراء الخِلب خلب [1] ، ووراء العظم عظم ، ووراء اللحم لحم ، ووراء الجلد جلد ، ووراء البرد برد ، ولو كانت هذه المحبة قوارير لم ينفذه نظر المعير ، فيستدل عليها بغير هذه الحاسة بدليل الإزورة ، ووالله لو التبست التباساً ، فجعـل رأسنا رأساً ، مازدته ودا ، ولو حال بينى وبينه سورة الاعراف ، ورمل الاحقاف ، ما نقصته حقا

---

(١) الخلب بالـكسر لحيمة رقيقة تصل بين الاضلاع

ابيات للميكالى

وقال الامير أبو الفضل الميكالى

وغزال منحته ظاهر الودّ * فجازى بالصد والإجتنابِ
لم ألمهُ إذ انزوى فى حجاب * ردّنى والهَ الحشا ذا التهاب
هو روح وليس ينكر للرو * ح توارٍ عن الورى بحجاب

من البديع الى أخيه

وللبديع الى أخيه :

كتابى أطال الله بقاءك ، ونحن وان بعدت الدار فرعا نبعة ، فلا تُحين ّ بعدى على قربك ، ولا تمحونّ ذكرى من قلبك ، فالاخوان وان كان أحدهما بخراسان والآخر بالحجاز ، مجتمعان على الحقيقه مفترقان على المجاز ، والاثنان فى المعنى واحد وفى اللفظ اثنان ، ومابينى وبينك إلا ستر ، طوله فتر ، وان صاحبى رفيق ، اسمه توفيق ، لنصلن سريعا ، ولنسعدن جميعا ، والله ولى المأمول

رسالة لابن العميد

وكتب أبو الفضل بن العميد الى بعض اخوانه

قد قرب أيدك الله محلك على تراخيه ، وتصاقب مستقرك على تنائيه ، لان الشوق يمثلك ، والذكر يخيلك ، فنحن فى الظاهر على افتراق ، وفى الباطن على تلاق ، وفى التسمية متباينون ، وفى المعنى متواصلون ، ولئن تفارقت الاشباح ، لقد تعانقت الارواح

كلام ابن المعتز

جملة من كلام ابن المعتز فى الفصول القصار — الدهر سريع الوثبة ، شنيع

العثرة — أهل الدنيا كركب يُسار بهم وهم نيام — الناس وفد البلى ، وسكان الثرى ، وأقران الردى — المرء نصب الحوادث وأسير الاغترار — الآمال حصائد الرجال — الحرص ينقص المرء من قدره ، ولا يزيد فى رزقه — الكذب والحسد والنفاق أثافى الذل — النمام جسر الشر — الحاسد اسمه صديق ومعناه عدو — الحاسد ساخط على القدر ، مغتاظ على من لا ذنب له ، بخيل بما لا يملكه يشفيك انه يغتم فى وقت سرورك — الفرصة سريعة الفوت بطيئة العَوْد — الصبر من ذى المصيبة مصيبة على ذوى الشبهات — التواضع سُلَّم الشرف ، والجود صوان العرض من الذم — الغدر قاطع — لبد النصر اذا كثر خُزّانها ازدادت ضياعا — السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضا — عبد الشهوات أذل من عبد الرق — وعاء الخطأ بالصمت يختم ، والخرق بالرفق يلحم — الوعد مرض المعروف ، والانجاز برؤه ، والمطل تلفه — اذا حضر الاجل ، خرق الامل — لا تشن وجه العفو بالتقريع — لا تنكح خاطب سرك ، ومن زاد أدبه على عقله كان كالراعى الضعيف مع مواشى كثيرة — قال أبو العباس الناشىء لابى سهل بن نوبخت :

زعمت أبا سهل بأنك جامعٌ * ضروبا من الآداب يجمعها الكهلُ

وهبك تقول الحق أىّ فضيلةٍ * تكون لذى علم وليس له عقل

الهم حبس الروح — قلوب العقلاء حصون الاسرار — من كرمت عليه نفسه ، هان عليه ماله — من جرى فى عنان أمله ، عثر بأجله — ما كل من وعد وعدا يحسن انجازه — ربما أورد الطمع ولم يصدر ، وضمن ولم يوف — ربما شرق شارب الماء قبل ريه — من تجاوز الكفاف لم يقنعه اكثار — كلما عظم قدر المنافَس فيه عظمت الفجيعة بفقده ، ومن أرحله الحرص أنضاه الطلب — الأمانى تعمى أعين البصائر ، والحظ يأتى من لم يؤاته ، وربما كان الطمع وعاء حشوه المتالف ، وسائقاً يدعو الى الندامة — ما أحلى تلقى البغية ، وأمرّ عاقبة الفراق — من لم يتأمل الامر بعين عقله ، لم تقع حيلته الا على مقاتله

رثاء المعتضد

قال أبو العباس يرثى المعتضد

قضَوْا ما قضَوْا من أمرهم ثم قدّموا * إماما إمام الحق بين يديه
فصلّوا عليه خاشعين كأنهم * صفوف قيامٌ للسلام عليهِ

وقال يرثيه

قالت سريرة مالجفنك ساهراً * قلقا وقد هدأت عيون النُّوَّم
ماقد رأيت من الزمان أحلّ بى * هذا وتحت الصدر مالم تعلمى
يانفس صبراً للزمان وريبهِ * فهو الملىء بمـا كرهت فسلّمى
ان الذى حاز الفضائل كلها * هو ذاك فى قعر الضريح المظلم
أما السيوف فمن صنائع بأسهِ * لولاه لم يروَيْن من سفك الدم
وكأن أحداث الزمان عبيدهُ * فمتى يؤخرهنَّ لا تتقدم
يقظان من سِنة المضيّع قلبهُ * ومعوّل للمعْوِلِ المتظلم
يرعى الضغائن قبل ساعة فرصةٍ * فاذا رآها امكنت لم يحجم
كم فرصة تركت فصارت غصةً * تشجى بطول تلهف وتندم
ولرب كيد ظل يسجد بعدها * فى بشر وجه مطلق متجهم
وهى المنايا ان رمين بنبلها * يرمين فى نفس الاجل الأعظم
لله درك أى ليث كتيبةٍ * والخيل تعثر بالقنا المتحطّم
ولقد عمرت ولا حريم معاند * حرم ولا الاسلام بالمستسلم

تعزية المعتضد بابنه هرون

وقال للمعتضد يعزيه بابنه هرون

يا ناصر الدين إذ هُدّت قواعدهُ * وأصدق الناس فى بؤسٍ وإنعام
وقائد الخيل مذ شدت مآزرهُ * مذللات بإسراج وإلجام
كأنهن قناً ليست لها عقدٌ * يهزها الزجر فى كرّ واقدام
قُبٌّ كطى ثياب القصر مضمرةٌ * تقرب النار بين البيض والهام
وسائس الملك يرعاه ويكلؤهُ * اذا علا الغمض فى أجفان نوّام
تمرى أنامله الدنيا لصاحبها * ونصله من عداهُ قاطرٌ دامى
كالسهم يبعثه الرامى بصفحتهِ * يلقى الردى دونه والفوق للرامى
لا يشتكى الدهر ان خطب ألم بهِ * إلا الى صعدة أو حد صمصام
صبراً فديناك ان الصبر عادتنا * وان طوينا على حزن وتهيام
فبادر الأجر نحو الصبر محتسبا * ان الجزوع صبور بعد أيام

تعزيته بجاريته دويرة

ولما ماتت دويرة، وهى جارية كانت مكينة عنده، جزع عليها جزعا شديدا فقال له عبيد الله بن سليمان : مثلك يا أمير المؤمنين تهون عليه المصائب ، لأنك تجد من كل فقيد خلفا ، وتنال جميع ماتريد من العوض ، والعوض لا يوجد منك ، فلا ابتلى الله الاسلام بفقدك ، وطوّل عمره بطول عمرك ، وكأن الشاعر عنى أمير المؤمنين بقوله

يُبكى علينا ولا نبكى على أحدٍ * لنحن أغلظ أكباداً من الابلِ

فضحك المعتضد وتسلى وعاد الى عادته ، قال محمد بن داود الجراح فلقينى عبيد الله فاخبرنى بذلك وقال أوردت هنا معنى البيت الذى أنشدته فما وجدته فقلت له قد قال البطين البجلى

طوى الموت ما بينى وبين أحبةٍ * بهم كنت أعطى من أشاء وأمنعُ
فلا يحسب الواشون ان قناتنا * تلين ولا أنا من الموت نجزع
ولكن للألاّف لابد لوعةً * اذا جعلت اقرانها تتقطع

فكتبه ، وقال : لو حفظته لما عدلت عنه

الموتى

وقال ابن المعتز وذكر الموتى

وسكانِ دارٍ لا تزاور بينهم * على قرب بعض فى المحلة من بعض
كأن خواتيا من الطين فوقهم * فليس لها حتى القيامة من فض

عبيد الله بن سليمان

وقال يمدح عبيد الله بن سليمان

أيا مُوصل النعمى على كل حالةٍ * الىَّ قريباً كنت أو نازح الدارِ
كما يلحق الغيث البلاد بسيلهِ * وان جاد فى أرض سواها بامطار
ويامقبلا والدهر عنىَ معرضٌ * يقسّم لحمى بين نابٍ واظفار
ويامن يرانى حيث كنت بقلبهِ * وكم من أناس لا يرون بأبصار
لقد رمت بى آمال نفسىَ كلها * فيالهف نفسى لو أعنت بمقدار
ذكرت مُنى سمع الامام وعينهِ * ورفّعت نارى كى يرى ضوءها السارى
وكم نعمة لله فى صرف نقمةٍ * ترجّى ومكروه حلا بعد إمْرار
وما كل ما تهوى النفوس بنافع * ولا كل ما تخشى النفوس بضرّار

قوله كما يلحق الغيث البلاد بسيله مأخوذ من قول نهشل بن جرى وقد بعث اليه كثير بن الصلت كسوة ومالا من المدينة

جزى الله خيرا والجزء بكفهِ * بنى الصلت اخوان السماحة والمجد
أتانى وأهلى بالعراق نداهمُ * كما انقضّ سيل من تهامة أو نجدِ

وقال ابن المولى

سررت بجعفر إذحل أرضى * كما سُرَّ المسافر بالايابِ
كممطورٍ ببلدته فأضحى * غنياً من مطالعة السحاب

عبد الله بن طاهر

وبعث عبد الله بن طاهر الى أبى الجنوب بن أبى حفصة وهو ببغداد عشرين ألف درهم فقال

لعمرى لنعم الغيث غيثٌ أصابنا * ببغداد من أرض الجزيرة وابلُه
ونعم الفتى والبيد بينى وبينهُ * بعشرين ألفاً صبَّحتنى رسائله
فكنا كحيٍّ صبَّح الغيث أهلهُ * ولم ينتجع أظعانه وحمائله
أتى جود عبد الله حتى كفت بهِ * رواحلَنا سير الفلاة رواحلُه

أبو شجاع

وكانت بنو كلاب ومن والاها من العرب بنواحى الكوفة تجمعوا وعزموا على أخذ الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة فبعث أبو شجاع عضد الدولة دلبين ابن يشكر فأصلحهما وكان أبو الطيب المتنبى بها فوصله وبعث اليه خلعاً وقاد اليه فرساً بسرج ثقيل فقال فى قصيدة

فلو لم يسر سرنا اليه بأنفسٍ * غرائب يؤثرن الجياد على الاهلِ
وما أنا ممن يدعى التّوق قلبه * ويعتل فى ترك الزيارة بالشغل(١)
ولكن رأيت الفضل فى القصد شركةً * فكان لك الفضلان فى القصد والفضل
وليس الذى يستتبع الوبل رائداً * كمن جاءه فى داره رائد الوبل

---

(١) التوق هو الشوق

الموفق

وكان ابن المعتز يمدح أبا أحمد بن المتوكل ويلقب بالناصر والموفق وكانت حاله قد راجت فى أيام المعتمد الى غاية لم يبلغها خليفة ، وقد ذكر الصولى فى قصيدة لصاحبه فقال وقد اقتص خلفاء بنى العباس من أولهم

ومعتمد من بعدهم وموفق * يردد من ارث الخلافة ما ذهب
نوازلهم فى كل فضل وسؤدد * وان لم يكن فى العدّ بهم لمن حسب

وقال المعتمد أو قيل على لسانه لما غلب الموفق على أمره

أليس من العجائب ان مثلى * يرى ما هان ممتنعاً عليهِ
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا * ومامن ذاك شئٌ فى يديهِ

وشعر ابن المعتز فيه

اليك امتطينا العيس تنفخ فى البُرى * وللصبح طرف بالظلام كحيلُ
صدين من التهجير حتى كأنها * سيوف جلاها الصقل وهى فحول
فبتنا ضيوفا للفلاة براهم * عنيق ونص دائم وذميل
بهز برود القصب فوق متونها * نسيم كنفث الراقيات عليل
ولما طغى أمر الدّعىّ رميتهُ * بعزم يرد العضب وهو فليل
وجرد من اغماده كل مرهف * اذاما نضته الكف كاد يسيل
جرى فوق متنيه الفرند كأنما * تنفّس فيه القين وهو صقيلُ
وأعلمته كيف التصافح بالقنا * وكيف تروض البيض وهى مُحول
سريع الى الاعداء أما ذبابهُ * فماض وأما وجهه فجميل
ويقرى السؤال العذر من بعد ماله * ويستصغر المعروف حين ينيل

أخذ معنى قوله : « نسيم كنفث الراقيات عليل » عبد الكريم بن ابراهيم

فقال

سلام على طيب روحاتنا * إلى القصر والنهر الخضرم
الى مزبد الموج طامى العبا * ب يهدف فى البان والساسم
تخال به قطا مقرما * يكر على قطم مقرم
ويسخو فيسحب فى ذابل * يمان تسهّم بالأنجم
كأن الشمال على وجهه * بها سقم وهى لم تسقم
ضعيفة رش كنفث الرقى * على كبد المدنف المعدم
اذا درجت فوقه درجة * فى حبك الزرد المحكم
وقد جللته بأوراقها * فروع عليها نطاق اليم
عليها الحمام بتغريدها * كما سجع النوح فى مأتم
كأن شعاع الضحى بينها * على السوسن الغض والحيزم
وشائع من ذهب سائل * على خسروانية نُعَّم
ربى تتفقأ من فوقها * عزالى الربيع لدى المرهم
على كل محبية خلة * تبدّى على جدول مفعم
كمافتل الوقف أصداغه * وكالأرقم انساب للارقم

صاحب الزنج

وقول ابن المعتز ولما طغا أمر الدعى يريد صاحب الزنج بالبصرة وكانت شوكته قد اشتدت وظفر به بعد مواقعة كثيرة ، وفى ذلك يقول ابن الرومى فى قصيدة طويلة جدا يمدح فيها أبا احمد

أبا أحمد أبليت أمة أحمدٍ * بلاء سيرضاه ابن عمك احمد
حصرت عميد الزنج حتى تخاذلت * قواه وأودى زاده المتزود
فظل ولم تقتله يلفظ نفسهُ * وظل ولم تأسره وهو مقيد

وكانت نواحيه كفافا فلم تزل * تخففها شحذا كأنك مبرد
تفرق عنه بالمكايد جنده * وتزدادهم جندا وجندك محصد
ولابس سيف القرن بعد استلابه * أضر له من كاسديه وأوكد
فما رمته حتى استقل برأسه * مكان قناة الظهر أسمر أجرد
ولم تأل إنذاراً له غير أنهُ * رأى أن متن البحر صرح ممرد
سكت سكوتاً كان رهناً بوثبةٍ * فماس كذاك الليث للوثب يلبد

هذا مأخوذ من قول النابغة

وقلت ياقوم ان الليث منقبض * على براثنه للوثبة الضارى

يقول فى مدح صاعد

يقرّظ الا ان ماقيل دونهُ * ويوصف الا أنه يتجدد
أرق من الماء الذى فى حسامهِ * طباعاً وأمضى من شباه وأنجد
له سورة مكتنة فى سكينةٍ * كما ا كتن فى الغمد الجُراز المهند
كأن أباه حين سماه صاعدا * رأى كيف يرقى فى العلاء ويصعد

وله فى العلاء وصاعد

سماه أسرته العلاء وانما * قصدوا بذلك أن يتم علاهْ

وهذا من قوله كما قال المرزبان وقد أنشد لابن المعتز فى مناقضة الطالبين

دعوا الأُسد تسكن فى غابها * ولا تدخلوا بين أنيابها
فنحن ورثنا ثياب النبى * فكم تجذبون باهدابها

وقد أخذه من بعض العباسيين فى قوله

دعوا الاسد تسكن أغيالها * ولا تقربوها وأشبالها

ولكنه سرقه ساجاً ورده عاجا ، وسله قطيفة ورده ديباجا (ومن قصيدة ابن الرومى)

تراه عن الحرب العوان بمعزل * وآثاره فيها وان غاب شُهَّدُ

كما احتجب المقدار والحكم حكمهُ * عن الخلق طرا ليس عنه مصرد

(البحترى)

ربى الامور بنفسه ومحلها * متقارب ومدارها متباعد

يتكفل الادنى ويدرك رأيه الاقـ * صى ويتبعه الابىّ العاند

ان عان فهو من النباهة منجد * أو غاب فهو من المهابة شاهد

(وقال اعرابى يصف رجلا) كان اذا ولى لم يطابق بين جفونه ، ويرسل العيون على عيونه ، فهو غائب عنهم ، شاهد معهم ، والمحسن آمن والمسىء خائب

فتى روحه روحٌ بسيطٌ عيانهُ * ومسكن ذاك الروح نورٌ مجسّدُ

صفا ونفى عنه القذى فكأنهُ * اذا ما استشفّته العقول مصمد

أبى من تعاطى ما بلغتم كرامٌ * منال الثريا وهو أكمه مقعد

كرمتم فخاس المفعمون بمدحكم * إذا رجزوا فيكم أقلتم فقصدّوا

كما زهرت جنات عدن وأثمرت * فاضحت وعجم الطير فيها تغرد

(وفى) هذه القصيدة يقول

لما تؤذون الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولدُ

والا فما يبكيه منها وانها * لافسح مما كان فيه وأرغد

اذا أبصر الدنيا استهلّ كانهُ * بما سوف يلقى من رداها يهدد

(قال) الصولى افتتح ابن الرومى هذه القصيدة على مالا يلزمه من فتح ما قبل حرف الروى اقتدارا فحمله ذلك على ان قال

متاح له مقداره فكانما * تقوض ثهلان عليه وصندد

ثهلان اسم جبل وهذا لايصح انما هو صندد بكسر الدال ، لان فعللا لم يجىء الا فى أربعة أحرف درهم ، وهجرع ، وهبلع ، للذى يبلع كثيرا ، وقلعم للذى يقلع الاشياء

وصف السيف

(وقول ابن المعتز) فى وصف السيف : كأنما

تنفّس فيه القين وهو صقيل

معنى بديع فى وصف الفرند ، وقد قال

ولى صارم فيه المنايا كوامنٌ * فلا ينتضى الا لسفك دماء
ترى فوق متنيه الفرند كأنهُ * بقية غيم رقّ دون سماء

(وقال أيضاً اسحق بن خلف)

ألقى بجانب خصرهِ * أمضى من الاجل المتاحِ
وكأنما رد البها * ء عليـه أنفاس الرياح

ولما صار سيف عمرو بن معد يكرب وكان يسمى الصمصامة الى الهادى وكان عمرو وهبه لسعيد ابن العاص فتوارثه ولده الى أن مات المهدى فاشتراه موسى الهادى بمال جليل وكان أوسع بنى العباس كفا ، وأكثرهم عطاء ، ودعا بالشعراء وبين يديه مكتل فيه بدرة ، فقال قولوا فى هذا السيف فبدر ابن يامين البصرى فقال :

حاز صمصامة الزبيدى من بيـ * ـن جميع الانام موسى الامين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا * خير ما أغمدت عليه الجفون
أخضر اللون بين خديه برد * من ذعاف يميس فيه المنون
أوقدت فوقه الصواعق ناراً * ثم شابت فيه الذعاف القيون
فاذا ما سللته بهر الشمـ * ـس ضياء فلم تكد تستبين
ما يبالى من انتضاه لحرب * أشمال سطت به أو يمين
يستطير الابصار كالقبس المشـ * ـعل ما تستقر فيه العيون
وكأن الفرند والجوهر الجا * رى على صفحتيه ماء معين
نعم مخراق ذا الخليفة فى الهيـ * ـجاء يقضى به ونعم القرين

قال موسى لم يتعد مافى نفسى ، واستحقه وأمر له بالمكتل والسيف ، فلما خرج قال الشعراء انما حرمتم بى من أجلى ، فشأنكم المكتل ، وفى السيف غنائى فاشترى منه السيف بمال جليل

(البحترى)

قد جدت بالطرف الجواد فثنه * لأخيك من جدوى يديك بمنصل
يتناول الروح البعيد مناله * عفواً ويفتح فى القضاء المقفل
بانارة فى كل حتف مظلم * وهداية فى كل نفس مجهل
يغشى الوغا بالترس ليس يجنه * من حده والدرع ليس بمعقل
ماض وان لم تمضه يد فارس * بطل ومصقول وان لم يصقل
مصغ الى حكم الردى فاذا مضى * لم يلتفت واذا قضى لم يعدل
متوقد يبرى بأول ضربة * ما أدركت ولو انها فى يذبل
وكأن فارسه اذا استغنى به الـ * زحفان يعصى بالسماك الاعزل
فاذا أصاب فكل شىء مقتل * واذا أصيب فما له من مقتل
حملت حمائله القديمة [illegible]

وقال ابن هانئ للمعتز

عجباً لمنصلك المقلد كيف لم * تسل النفوس عليك منه مسيلا
لم يخل جبار الملوك بذكره * الا تشحط فى الدماء قتيلا
فاذا رأيناه رأينا علة * للنيرات ونيرا معلولا
بك حسنه متقلدا وبهاؤه * متنكبا ومضاؤه مسلولا
فاذا غضبت عليه دونك ربده * يغدو بها طرف الزمان كحيلا
واذا طربت الى الرضا اهدى الى * شمس الظهيرة عارضاً مصقولا
كتب الفرند عليه بعض صفاتكم * فعرفت فيه التاج والا كليلا

وقال

هل يدنينى من فنائك سابح * مرح وجائلة النسوع أمون

ومهند فيـه الفرند كأنه * در له خلف الفرات كمين
غضب المضارب مقفرا من أعين * لـكنه من أنفس مسكون

واهدى الـكندى الى بعض اخوانه سيفا فكتب اليه « الحمد لله الذى خصك بمنافع كمنافع ما أهديت، وجعلك تهتز للمكارم اهتزاز الصارم ، وتمضى فى الأمور مضاء حده المأثور ، وتصون عرضك بالارفاد ، كما تصان السيوف بالاغماد ، ويطرد ماء الحياة فى صفحات خدك المشوف ، كما يشف الرونق فى صفائح السيوف وتصقل شرفك بالعطيات ، كما تصقل متون المشرفيات

وفد الشام الى المنصور

قدم على أبى جعفر المنصور وفد من الشام بعد انهزام عبد الله بن على وفيهم الحارث بن عبد الرحمن الغفارى فتكلم جماعة منهم ثم قام الحارث فقال: يا أمير المؤمنين انا لسنا وفد مباهاة ، ولـكنا وفد توبة استخفت حليمنا ، فنحن بما قدمنا معترفون ، وبما سلف منا معتذرون ، فان تعاقبنا فبما اجرمنا ، وان تعف عنا فطالما أحسنت الى من أساء . فقال المنصور أنت خطيب القوم ، ورد عليه ضياعه بالغوطة. وقال رجل من أهل الشام للمنصور يا أمير المؤمنين من انتقم فقد شفى غيظه ، وانتصف ، ومن عفا تفضل ، ومن أخذ حقه لم يجب شكره ، ولم يذكر فضله ، وكظم الغيظ حلم ، والتشفى طرف من الجزع. ولم يمدح أهل التقى والنهى من كان حليما بشدة العقاب ، ولكن بحسن الصفح والاغتفار ، وشدة التغافل ، وبعد فالمعاقب مستودع لعداوة أولياء المذنب ، والعافى مسترع لشكرهم آمن من مكافأتهم ، ولأن يثنى عليك باتساع الصدر خير من أن توصف بضيقه ، على ان إقالتك عثرات عباد الله موجب لإقالة عثرتك من ربهم ، وموصول بعفوه ، وعقابك إياهم موصول بعقابه ، قال الله عز وجل « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »

وقال بعض الكتاب لرئيسه وقد عتب عليه « اذا كنت لم ترض منى بالاساءة

فلم رضيت منك بالمكافأة » وأذنب رجل من بنى هاشم فقبضه المأمون فقال : يا أمير المؤمنين من حمل مثل حمالتى ، ولبس ثوب حرمتى ، غفر له فوق زلتى ، قال صدقت وعفا عنه . ولما دخل بعض الكتاب على أمير بعد نكبة نابتة فرأى من الأمير بعض الازدراء فقال له : لا يضعنى عندك خمول النبوة ، وزوال الثروة ، فان السيف العتيق اذا مسه كثير الصدأ استغنى بقليل الجلاء حتى يعود حده ، ويظهر فرنده ، ولم أصف نفسى عجبا ، لكن شكرا ، وقال صلى الله عليه وسلم « أنا أشرف ولد آدم ولا فخر » فجهر بالشكر وترك الاستطالة بالكبر

تميم بن جميل

وكان تميم بن جميل السدوسى بشاطئ الفرات واجتمع اليه كثير من الاعراب فعظم أمره ، وبعد ذكره ، فكتب المعتصم الى مالك بن طوق فى النهوض اليه فتبدد جمعه وظفر به فحمله متوثقا الى باب المعتصم فقال احمد بن أبى دؤاد ما رأيت رجلا عاين الموت فما هاله ولا شغله عما كان يجب عليه أن يفعله الا تميم ابن جميل ، فانه لما مثل بين يدى المعتصم فأحضر السيف والنطع وأوقف بينهما تأمله المعتصم ، وكان جميلا وسيما ، فأحب أن يعلم أين لسانه من منظره ، فقال تكلم يا تميم . فقال: أما إذ أنت يا أمير المؤمنين فأنا أقول الحمد لله الذى أحسن كل شئ خلقه ، وبدأ أخلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء معين جبر بك صدع الدين ، ولم بك شعث المسلمين ، وأوضح بك سبل الحق ، وأخمد بك شهاب الباطل ، ان الذنوب تخرس الالسن الفصيحة ، وتعى الأفئدة الصحيحة ، ولقد عظمت الجريرة ، وانقطعت الحجة ، وساء الظن ، ولم يبق الا عفوك أو انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما منى ، وأسرعهما إلى ، أسبقهما بك وأولاهما بكرمك ، ثم قال

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا * يلاحظنى من حيث ما أتلفت
وأكبر ظنى انك اليوم قاتلى * وأى أمرئ مما قضى الله يفلت

وأى امرئٍ يأتى بعذر وحجةٍ * وسيف المنايا بين عينيه مُصلَت

وما جزعى من أن أموت واننى * لاعلم أن الموت شئٌ مؤقت

ولكنّ خلفى صبية قد تركتهم * وأكبادهم من حسرة تتفتت

فان عشت عاشوا سالمين بغبطة * اذود الردى عنهم وان مت مُوِّتوا

وكم قائل لايبعد الله دارهُ * وآخر جذلانٌ يسر ويشمت

فتبسم المعتصم وقال : يا جميل قد وهبتك للصِّبية ، وغفرت لك الصبوة ، ثم أمر بفك قيوده ، وخلع عليه ، وعقد له بشاطئ الفرات

عبد الله بن طاهر

وكتب المعتصم حين صارت له الخلافة الى عبد الله بن طاهر : عافانا الله واياك قد كانت فى قلبى منك هفوات غفرها الاقتدار ، وبقيت حزازات أخاف منها عليك عند نظرى اليك ، فان أتاك ألف كتاب أستقدمك فيه فلا تقدم ، وحسبك معرفةً بما أنا منطوٍ لك عليه اطلاعى إياك على ما فى ضميرى منك ، والسلام

الخليفة المعتصم

قال العباس ابن المأمون ولما أفضت الخلافة الى المعتصم دخلت فقال هذا مجلس كنت أكره الناس لجلوسى فيه ، فقلت ياأمير المؤمنين أنت تعفو عما تيقنته ، فكيف تعاقب على ماتوهمته ؟ فقال لو أردت عقابك لتركت عتابك ، وكان المتعصم شهماً شجاعاً ، عاقلا مفوّها ، ولم يكن فى بنى العباس أمىّ غيره قيل كان سبب ذلك انه رأى جنازة لبعض الخدم فقال ليتنى مثله لاتخلص من الكتاب! فقال الرشيد والله لاعذبتك بشئ تختار عليه الموت ، قال أبو القاسم الزجاج وهذا شئ يحكى من غير رواية صحيحة إلا أن جملته انه كان ضعيف البصر بالعربية ، وقرأ أحمد بن عمار الشيذرى وكان يتقلد العرض عليه فى الحضرة

كتاباً فيه «ومطر نامطراً كثير الكلأ» فقال له المعتصم؟ ما الكلأ فقال لا أدرى فقال انا لله وانا إليه راجعون! خليفة أمى وكاتب أمى! ثم قال من يقرب منا من كتاب الدار؟ فعرف مكان محمد بن عبد الملك الزيات وكان يتولى قهرمة الدار ويشرف على المطبخ فأحضره فقال ما الكلأ فقال النبات كله رطبه ويابسه، فالرطب منه خاصة يقال له الخلا، ومنه سميت المخلاة، واليابس يقال له حشيش ثم اندفع فى صفات النبات من ابتدائه الى اكتماله الى هيجه، فاستحسن ذلك المعتصم وولاه العرض من ذلك اليوم، فلم يزل وزيراً مدة خلافته وخلافة الواثق حتى نكبه المتوكل بحقود حقدها عليه أيام أخيه الواثق. قال الرياشى كتب ملك الروم الى المعتصم كتاباً يتهدده فيه فأمر بجوابه، فلما قرئ عليه لم يرض مافيه، وقال لبعض الكتاب اكتب «أما بعد فقد قرأت كتابك، وفهمت خطابك والجواب ماترى لاماتسمع، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار»

قطرى والحجاج

وهذا نظير قول قَطَرى للحجاج وقد كتب اليه كتاباً يتهدده، فأجابه قطرى: أما بعد فالحمد لله الذى لو شاء لجمع شخصينا، فعلمت أن مثاقفة الرجال أقوم من تسطير المقال والقلم

بنو المهلب

ولما افتتح المهلب خراسان ونفى الخوارج عنها وتفرقت الازارقة كتب الحجاج اليه ان اكتب لى بخبر الوقعة واشرح لى القصة حتى كأنى شاهدها فبعث اليه المهلب كعب بن معدان الاشعرى فانشده قصيدة فيها ستون بيتا يقتص خبرهم، ولا يخرم منه شيئا، فقال له الحجاج أخطيب أم شاعر؟ قال كلاهما أعز الله الأمير! قال اخبرنى عن بنى المهلب قال المغيرة سيدهم، وكفاك بيزيد فارسا، وما لقى الابطال مثل حبيب، وما استحيا شجاع أن يفر من

مدرك ، وعبد الملك موت ناقع ، وحسبك بالمفضل فى النجدة ، وأسمحهم قبيصة ، ومحمد ليث غاب ، فقال الحجاج ما أراك فضلت عليهم واحدا منهم ، فاخبرنى عن جلتهم ومن أفضلهم؟ فقال هم أعز الله الامير كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفها قال ان خبر حربكم كان يبلغنى عظيما ، أفكذلك كان ؟ قال نعم أيها الامير ، السماع دون العِيان ، قال اخبرنى كيف رضا المهلب عن جنده ورضا جنده عنه ؟ قال أعز الله الامير له عليهم شفقة الوالد ، ولهم به بر الولد ، قال اخبرنى كيف فاتكم قَطَرى ؟ قال كدناه فى منزله فتحول عنه ، وتوهم انه كان كادنا بذلك ، قال فهلا اتبعتموه ، قال : الكلب اذا أُجحر عقر ، قال : المهلب كان أعلم بك حيث أرسلك

بشر بن مالك

وقد روى أن المهلب لما فرغ من قتل عبد ربه الحرورى دعا بشر بن مالك فانفذه بالاشارة الى الحجاج فلما دخل على الحجاج قال ما اسمك ؟ قال بشر بن مالك فقال الحجاج بشارة وملك ، كيف خلفت المهلب ؟ قال خلفته وقد أمن ما خاف ، وأدرك ما طلب ، قال كيف كانت حالكم مع عدوكم ؟ قال كانت البداءة لهم ، والعاقبة لنا ، قال الحجاج العاقبة للمتقين ، قال فما حال الجند قال وسعهم الحق ، وأغناهم النفل ، وانهم لمع رجل يسوسهم بسياسة الملوك ، ويقاتل بهم قتال الصعلوك ، فلهم بر الوالد ، وله منهم طاعة الولد ، قال فما حال ولد المهلب ؟ قال رعاة البيات حتى يأمنوه ، وحماة السرح حتى يردوه ، قال فايهم أفضل ؟ قال ذلك الى أبيهم ، قال وأنت أيضا فانى أرى لك لسانا وعبارة ، قال هم كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفها ، قال ويحك أكنت أعددت لهذا المقام هذا المقال؟ قال لا يعلم الغيب الا الله

ابو الصقر وصاعد بن مخلد

ودخل أبو الصقر قبل وزارته على صاعد بن مخلد وهو الوزير حينئذ ، وفى المجلس أبو العباس ابن ثوابة ، فسأله الوزير عن رجل فقال :العى تريد بي ؟ فقال أبو العباس مثلك يحتاج أن يشد ، ويحد ، فقال هذا من جهلك ، أما علمت أن من يحد ، لا يشد ، ومن يشد لا يحد ؟ فخرج أبو الصقر مغضبا

أبو العيناء وابن ثوابة

وكان أبو العيناء يعادى ابن ثوابة لمعاداته لابي الصقر فاجتمعا فى مجلس صاعد فى غد ذلك اليوم فتلاحيا ، فقال ابن ثوابة أما تعرفنى ، فقال بلى أعرفك ضيق العطن ، كثير الوسن ، خارا على الذقن ، وقد بلغنى تعديك على أبى الصقر ، وانما حلم عنك لأنه لم يجد لك عزا فيذله ، ولا علوا فيضعه ، ولا مجدا فيهدمه ، فعاف لحمك ان يأكله وينهكه ، ودمك ان يسفكه . فقال ابن ثوابة ما تسابّ انسانان الاغلب ألأمهما ، فقال أبو العيناء لهذا غلبت أمس أبا الصقر !

مكارم أبى الصقر

ومما يعد من مكارم أبى الصقر ان ابن ثوابة دخل عليه فى وزارته فقال تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين ، فقال أبو الصقر لاتثريب عليك يغفر الله لك ، فما قصر فى الاحسان اليه ، والانعام عليه ، مدة وزارته

أبو الصقر وأبو العيناء

ولما ولى أبو الصقر الوزارة خيّر أبا العيناء فيما يحبه حتى يفعله به فقال أريد أن تكتب الى احمد بن محمد الطائى تعرفه مكانى ، وتلزمه قضاء حق مثلى من خدمه . فكتب اليه كتابا بخطه فوصله الى الطائى فسبب له فى مدة شهر مقدار

ألف دينار وعشرة أجمل فانصرف بجميع ما يحبه ، وكتب الى أبى الصقر كتابا مضمنه: أنا أعزك الله طليقك من الفقر ، وتقيذك من البؤس، أخذت بيدى عند عثرة الدهر ، وكبوة الكبر ، وعلى أية حال حين فقدت الاولياء والاشكال والاخوان والامثال ، الذين يفهمون فى غير تعب ، وهم الناس الذين كانوا غياثاً للناس ، فحلت عقدة الخلة ، ورددت الىّ بعد النفور النعمة ، وكتبت لى كتابا الى الطائى فانما كان منك اليك انبته ، وقد استصعبت علىّ الامور ، وأحاطت بى النوائب، فكثّر من بشره ، وبذل من يسره ، وأعطى من ماله أ كرمه ، ومن بره أحكمه ، مكرما لى مدة ما أقمت ، ومثقلا لى من فوائده لما ودّعت ، حكمنى فى ماله فتحكمت ، وأنت تعرف جورى اذا تمكنت ، وزاد فى طوله فشكرت فاحسن الله جزاك ، وأعظم حماك ، وقدمنى أمامك ، وأعاذنى من فقدك ، وحماك فقد انفقت علىّ مما ملكك الله ، وانفقت من الشكر ما يسره الله لى والله عز وجل يقول (لينفق ذو سعة من سعته) فالحمد لله الذى جعل لك اليد العالية ، والرتبة الشريفة، لا أزال الله عن هذه الامة ما بسط فيها من عدلك ، وبث فيها من رفدك

ذم ابى العيناء لابن الخصيب

قطعة مختارة من نسخة الكتاب الذى عمله أبو العيناء فى ذم احمد بن الخصيب لما نكب على ألسنة الكتاب والقواد وأرباب الدولة. قال ذكره محمد بن عبد الله ابن طاهر فقال: ما زال يخرق ولا يرقع، وما زلت اتوقع له الذى وقع فيه ، وذكره وصيف فقال: ترك العقلاء على يأس مرتبته والحمقى على رجاء درجته وذكره موسى ابن بغا فقال لولا أن القذر يعشى البصر لما نهى فيها ولا أمر ، وذكره فارس ابن بغا فقال: لم تتم له نعمة، لأنه لم يكن له فى الخير همة ، وذكره الفضل بن العباس فقال: ان لم يكن تاريخ البلاء فما أعظم البلوى ، وذكره هرون بن عيسى فقال

كانت دولته من دولة المجانين ، خرجت من الدنيا والدين . وذكره المعلى بن أيوب فقيل له ما أعجب ما نكب ، فقال نعمته أعجب من نكبته! وذكره ميمون بن ابراهيم فقال لو تأمل فعاله فاجتنبها لاستغنى عن الآداب أن يطلبها!وذكره محمد بن نجاح فقال ان كانت النعمة عظمت على قوم خرج عنهم لقد عظمت المصيبة على قوم نزل فيهم!وذكره على بن المنجم فقال لم يكن له أول يرجع اليه ، ولا آخر يعود عليه ، ولا عقل فيدركه عاقل لديه!وذكره محمد ابن موسى بن شاكر المنجم فقال ان ذكرت ذا فضل تنقصه لما فيه من ضده أو ذكرت ذا نقص تولاه لما فيه من شكله. وذكره ابن ثوابة فقال امرؤ أساء عشرة الاحرار ، فأصبح مقفر الديار وذكره حجاج ابن هرون فقال ما كان له فى الشرف أسباب مِتان ، ولا فى الخير عادات حسان . وذكره محمد بن الفضل فقال ما زال يستوحش بالنعمة حتى أنس بالنقمة. وذكره عبد الله بن منصور فقال كنت أرثى للسلطان من جمعه كما أبكى لرعية من ظلمه وذكره أبو فراس فقال لئن علا بخطأ لقد انحط بحق ، وذكره سعيد بن حميد فقال : اذا أصاب أحجم ، واذا أخطأ أحجم

أبو بكر سيبويه وأهل مصر

وكان فى هذا العصر بمصر أبو بكر المعروف بسيبويه ناقلة البصرة يشبهه فى حضور جوابه وخطابه ، وحسن عبارته ، وكثرة روايته ، وكان قد تناول البلاد ، وعرضت له منه لوثة ، وكان أكثر الناس يتبعونه ويكتبون عنه مايقول ، قال يوما للمصريين : ياأهل مصر أصحابنا البغداديون أحزم منكم لايقولون بالولد ، حتى يتخذوا له العقد والعدد ، فهم أبدا يعتزلون. ولا يقولون باتخاذ الصغار حزما ان يملكهم سوء الجوار ، فهم أبدا يكنزون ، ولا يقولون باتخاذ الحرائر خوفا من تتوق أنفسهم الى السرارى فهم أبدا يتسرون. ولا يقولون باظهار الغنى فى مكان عُرفوا فيه بالفقر ، فهم أبداً يسافرون. ووقف يوما بالجامع

وقد أخذت الخلق ما خذها ، فقال يا أهل العصر حيطان المقابر انفع منكم ، يستند اليها من التعب ، ويستدفأ بها من الريح ، ويستظل بهـا من الشمس ، والبهائم خير منكم تُمتطى ظهورها ؛ وتُحتذى جلودها ، وتؤكل لحومها

حديثه مع ابن الخنزابة

وكان أبو الفضل بن الخنزابة ربما رفع أنفه تيها فقال له سيبويه وقد رآه فعل ذلك : شم مني الوزير رائحة كريهة فشمر انفه ، فاطرق واستعمل النهوض و خرج سيبويه ، فقال رجل : من أين أقبلت ؟ فقال من عند الزاهي بنفسه ، المدل بطقسه ، المستطيل على أبناء جنسه ، واستأذن على مسلم بن عبيد الله العلوى ، ومسلم من أهل الحجاز نزل مصر فحجب عنه ، فقال : قولوا له يرجع الى لبس العبا ، ومص النوى ، وسكنى الفلا ، فهو أشبه به من نعيم الدنيا

حديثه مع صاحب الراضى

وكان على شرطة كافور الاخشيدى أحد الخاصة فوجد عليه سيبويه فى بعض الامر فعزل عن الشرطة فوليها زكى صاحب الراضى ، فلم يحمده أيضاً ، فوقف لـكافور وهو مار الى الصلاة يوم الجمعة ، فقال : أيها الاستاذ ، وليت ظالماً وعزلت ظالماً ، قليل الوفاء كثير الجفاء غليظ القفا ، فتبسم ابن برك البغدادى وكان يساير كافوراً فقال : وهذا بن برك ممن يغرك ، لن ينفعك ولن يضرك

حديثه مع الامير مفلح

واخلى الحمام لمفلح الحسينى فأتى سيبويه ليدخل فمنع ، وقيل الامير مفلح به فقال لا أنقى الله مغسوله ، ولا أبلغه سُوله ، ولا وقاه من العذاب مهوله ، وجلس حتى خرج فقال : ان الحمام لاحد ثلاثة مبتلًى من قُبله أو مبتلى فى دبره ، أو سلطان يخاف من شره ، فأى الثلاثة أنت؟ قال أنا المقدم

حديثه مع أبي بكر الخازن

واحضره ابو بكر بن عبد الله الخازن فقال قد بلغنى بذاء لسانك وقبيح معاملتك للاشراف ، فاحذر أن تعود فينالك منى أشد العقوبة نخرج متحزنا فكان الولدان يتولعون به ويذكرون له الخازن ، فيشتد عليه ذلك ، فينصرف ولا يكلمهم ، فمر به رجل يكنى أبا بكر من ولد عقبة بن أبي معيط ، وغلام قد لج عليه بذلك ، فضحك المعيطى ، فقال للرجل ضرب الله عنق الخازن كما ضرب النبي صلى الله عليه وسلم عنق عقبة بن ابى معيط على الكفر ، وضرب ظهر أبيك بالسوط كما ضرب على بن أبي طالب بامر عثمان رضى الله عنهما ظهر الوليد بن عقبة على شرب الخمر ، وألحقك ياصبى بالصبية ، يريد قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال له عقبة لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه بقتله « فمن للصبية يارسول الله » قال النار لك ولهم ، فانصرف المعيطى وبطن الارض أحب اليه من ظهرها

أبو العيناء

وقال أبو العيناء أنا أول من أظهر العقوق لوالديه بالبصرة ، قال لى أبى ان الله قد قرن طاعته بطاعتى ، فقال تعالى : ان اشكر لى ولوالديك ، فقلت ياأبت ان الله تعالى قد أمننى عليك ولم يؤمنك على. فقال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم

كلمات الاعراب

وقال اعرابى لأبيه ياأبت ان فى كبير حقك ما يبطل صغير حقى عليك ، والذى تمت به الىّ أمت بمثله اليك ، ولست أزعم أنا سواء ، ولكن لايحل لك الاعتداء

ابو العيناء

دخل على عبيد الله بن سليمان فضمه اليه فقال أنا الى ضم الكفاية أحوج منى الى ضم اليدين ، وقال له مرة أنا معك مغبوط الظاهر موجود الباطن.
قال أبو الطيب المتنبى

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها * انى بما أنا باكٍ منه محسودُ

وقال له رجل يامخنث فقال وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ! وذكر أبو العيناء محمد بن يحيى بن خالد بن برمك فقال بأبى وأمى دام الوجه الطلق ، والقول الحق ، والوعد الصدق ، نيته أفضل من علانيته ، وفعله أفضل من قوله ، وقال له المتوكل ما أشد ما مرّ عليك من فقد بصرك ، فقال ما حرمت منه من النظر اليك أيها الامير ! وقال لعبيد الله بن يحيى: مسنا وأهلنا الضر، وبضاعتنا الحمد والشكر ، وأنت الذى لا يخيب عنده حر. وقال له يوما: قد اشتد الحجاب ، وفحش الحرمان فقال ارفق يا أبا عبد الله: فقال لو رفق بى فعلك لرفق بك قولى! وقال له: أيها الوزير، اذا تغافل اهل الفضل هلك أهل التجمل. وذم رجلا فقال لا يعرف الحق فينصره ولا الباطل فينكره. وقيل له ما أبلغ الكلام؟ فقال ما اسكت المبطل ، وحير المحق. وقيل له مات الحسن ابن سهل فقال والله لئن اتعب المادحين ، لقد أطال بكاء الباكين ، والله لقد أصيب بموته الانام ، وخرست لفقده الاقلام

قال اشجع بن عمرو السلمى

مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق * ولا مغرب الا له فيه مادح
وما كنت أدرى مافواضل كفهِ * على الناس حتى غيبته الصفائح
فأصبح فى لحد من الارض ميتاً * وكانت به حيا تضيق الصحاصح
كأن لم يمت ميت سواه ولم تقم * على أحد الا عليه النوائح

فما أنا من رزء وان جل جازعٌ * ولا بسرور بعد ماماتَ فارح

لئن حسنت فيك المراثي وذكرها * لقد حسنت من قبل فيك المدائح

سأبكيك ما فاضت دموعي وان تغض * فحسبك مني ما تكنّ الجوانح

رثاء الحسين بن مطير

لمعن بن زائدة

قوله

وكانت به حيا تضيق الصحاصح

يتعلق بقول الحسين بن مطير في معن بن زائدة

ألِمّا على معن وقولا لقبرهِ * سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا

فيا قبر معن أنت أول حفرةٍ * من الارض خطت للسماحة موضعا

ويا قبر معن كيف واريت جودهُ * وقد كان منه البر والبحر مترعا

بلى قد وسعت الجود والجود ميتٌ * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

فتىً عيش في معروفه بعد موتهِ * كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

ولما مضى معنٌ مضى الجود وانقضى * وأصبح عِرنين المكارم اجدعا

وهذا كقول عبد الصمد بن المعذل في عمرو بن سعيد بن مسلم الباهلي

أقبر ابي أميــة لو عُــلاهُ * حملتَ اذاً لضقت به ذراعا

حويت الجود والتقوى وعمراً * فكيف أطقت ياقبر اضطلاعا

لموتهمُ أطقت له انضماماً * ولولا ذاك لم تطق اتساعا

شعر الخنساء

وقول اشجع

لئن حسنت فيك المراثى وذكرها

من قول الخنساء

ياصخر بعدك هاجنى استعبارى * شانيك بات بذلى وصغار
كنا نعد لك المدائح مدةً * والآن صرت تناح بالاشعار

شعر جنوب

وقالت جنوب أخت عمرو

سألت بعمرٍو أخى صحبهُ * فأفظعنى حين ردوا السؤالا
فقالوا أتيح له نائما * أغر السلاح عليه أجالا
أتيح له نَمِرا أجبلٍ * فنالا لعمرك منه منالا
فأقسم ياعمرو لو نبهاك * اذاً نبها منك داء عُضالا
اذاً نبها غير رِعديدةٍ * ولا طائشا دهشاً حين صالا
هما مع تصرف ريب المنون * من الدهر ركنا شديداً أمالا
وقالوا قتلناه فى غارةٍ * بآية أن قد ورثنا النبالا
فهلا اذاً قبل ريب المنون * وقد كان فذًّا وكنتم رجالا
وقد علمت فهْم عند اللقاء * بأنهمُ لك كانوا نفالا
كأنهمُ لم يحسوا بهِ * فيخلوا نساءهمُ والحجالا
ولم ينزلوا بمحول السنين * به فيكونوا عليه عيالا
وقد علم الضيف والمرملون * اذا اغبرّ أفق وهبت شمالا
وخلت عن اولادها المرضعات * ولم تر عينٌ لمزن بلالا
بأنك كنت الربيع المغيث * لمن يعتفيك وكنت الثمالا

وخرق تجاوزت مجهولة * بوجناء حرف تشكى الكلالا
وكم من قبيل وان لم تكن * أردتهم منك باتوا وجالا

عمرو بن عاصم

قال عمرو بن شبة وكان عمرو بن عاصم هذا يغزو فهما فيصيب منهم فوضعوا له رصدا على الماء، فأخذوه فقتلوه، ثم مروا بأخته جنوب فقالوا: أخاك، فقالت لئن طلبتموه لتجدنه سريعا! فقالوا قد أخذناه فقتلناه، وهذا نبله، فقالت والله لئن سلبتموه لأنحدرن الى حجرته حافية، ولرب ثدى منكم قد افترشه، ونهب قد احتوشه، ثم قالت الابيات المتقدمة الذكر

أجمل ما قيل فى الرثاء

وأنشد أبو حاتم ولم يقل قائله

ألا فى سبيل الله ماذا تضمنت * بطون الثرى واستودع البلد القفرُ
بدورٌ اذا الدنيا دجت أشرقت بهم * وان أجدبت يوما فأيديهم القطرُ
فيا شامتاً بالموت لا تشمتنْ بهم * حياتهمُ فخرٌ وموتهم ذكر
أقاموا بظهر الارض فاخضرّ عودها * وصاروا ببطن الارض فاستوحش الظهر

رثاء العتبى لبنيه

وقال أبو عبد الله العتبى وتوفى له بنون فجع بهم ومات فى آخرهم ابن له يكنى أبا عمرو وكان يقول الشعر فقال يرثيه

لقد شمت الواشون بى وتغيّرتْ * وجوهٌ أراها بعد موت أبى عمرو
تجرّى علىّ الدهر لما فقدته * ولو كان حيا لاجترأت على الدهر
أسكّان بطن الارض لو يقبل الفدا * فدينا وأعطينا بكم ساكن الظهر

فياليت من فيها عليها وليت من * عليها ثوى فيها مقيما الى الحشر

وقاسمني دهرى بنىّ مشاطرا * فلما توفى شطره مال فى شطرى

فصاروا كأن لم يعرف الموت غيرهم * فثكل على ثكل وقبر على قبر

وقال فى ابن له توفى صغيرا

ان يكن مات صغيراً * فالأسى غير صغيرِ

كان ريحانى فامسى * وهو ريحان القبورِ

غرسته فى بساتيـــن البلى أيدى الدهور

ومن هنا أخذ أبو الطيب المتنبى قوله

فان تك فى قبر فانك فى الحشا * وان تك طفلا فالاسى ليس بالطفل

أبيات خليف الاقطع

وقال خليف بن خليفة الأقطع

أعاتب نفسى ان تبسمت خاليا * وقد يضحك الموتور وهو حزين

وبالغد أشجانى وكم من شجٍ لهُ * دُوَيْنَ المصلّى والبقيع شجون

رُبىً حولها أمثالها ان أتيتها * قرينك اشجاناً وهن سكُون

كفى الهجر أنا لم يضحك أمرنا * ولم يأتنا عما لديك يقين

أبيات أبى عطاء السندى

وقال أبو عطاء السندى فى يزيد بن هبيرة

ألا ان عينا لم تجد يوم واسطٍ * عليك بباقى دمعها لجمود

عشيةَ قام النائحات وشققت * جيوبٌ بأيدى مأتم وخدودُ

فان تُمس مهجور الفِناء فربما * أقام به بعد الوفود وفودُ

فانك لم تبعد على متعهدٍ * بلى كل ماتحت التراب بعيد

كلمة لبعض الاعراب

اعرابى

ومن عجب ان بتّ مستودع الثرى * وبت بما زودتنى متمتعا

فلو أنني أنصفتك الود لم أبت * خلافك حتى ننطوى فى الثرى معا

سأحمى الكرى عينى وأفترش الثرى * يمينى اذا صار الثرى لك مضجعا

وبعدك لا آسى لعظم رزيةٍ * قضيت فهوّنت المصائب أجمعا

ومعنى هذا البيت الأخير تداوله الناس نظما ونثرا

رثاء أبى نواس للامين

طوى الموت ما بينى وبين محمد * وليس لما تطوى المنية ناشرُ

لئن عمرت دور بمن لا أحبهُ * لقد عمرت ممن أحب المقابر

وكنت عليه أحذر الموت وحدهُ * فلم يبق لى شىء عليه أحاذر

أم الهيثم السدوسية

وقيل لأم الهيثم السدوسية : لأسرع ماسُلبت ولدك الهيثم ! قالت أما والله لقد رزئته البدر فى بهائه ، والرمح فى استوائه ، والسيف فى مضائه ، ولقد فتتت مصيبته كبدى ، وفتى فقده جلدى ، وما اعتضت من بعده الا أمن المصائب لفقده

ما أصيب من أثيب

وعزى أبو العيناء احمد بن أبى داود عن ولد له فقال:ما أصيب من أثيب ، والله لقد هان لفقده، جليل المصايب من بعده

كلمة لبعض الاعراب

ودخل اعرابى من بادية البصرة الى الشام ومعه بنوه فلما كان بقنّسرين مات بنوه بالطاعون فقال

أبعد بنيّ الدهر أرجو غضارةً * من العيش أو آسى لما فات من عمرى
غطارفة زُهرٌ مضوا لسبيلهم * فلهفى على تلك الغطارفة الزهر
سقى الله اجساداً ورائى تركتها * بحاضر قنّسرين من صيّب القطر
يذكرنيهم كل خير رأيته * وشر فما أنفك منهم على ذكر

وهذا البيت كقول الآخر

رعاك ضمان الله يا أم مالك * ولله ان يرعاك أولى وأوسع
يذكرنيك الخير والشر والذى * أخاف وأرجو والذى أتوقع

كلمة لمسلم بن الوليد

وقال مسلم بن الوليد

وانى واسمعيل يوم وداعهِ * لكالغمد يوم الروع فارقه النصل
أما والحبالات الممرات بيننا * رسائل أدتها المودة والوصل
لما خنت عهداً من إخاء ولا نأى * بذكرك نأى عن ضميرى ولا شغل
وانىَ فى مالى وأهلى كأننى * لفقدك لا مال لدىّ ولا أهل
يذكرنيك الخير والشر والحجا * وقيل الخنى والحلم والعلم والجهل
فألقاك عن مذمومها متنزهاً * وألقاك فى محمودها ولك الفضل
وأحمد من اخلافك البخل انهُ * بعرضك لا بالمال حاشى لك البخل
أمنتجعاً مرواً بأثقال همةٍ * دع الثقل واحمل حاجة مالها ثقل
ثناء كعرف الطيب يهدى لعرفه * وليس له الا بنى بربك أهل
فان أغش قوماً بعدهم أو أزورهم * فكالوحش يدنيها من القنص المحل

التعازى والبكاء

ومن الفاظ أهل العصر فى التعازى وما يتعلق بها من ذكر البكاء والجزع وعظم المصائب—خبر عزّ على النفوس مسمعه ، وأثّر فى القلوب موقعه — خبر تصطك له المسامع ، وترتج به الاضالع ، وتسقط له الحبالى ، وتصحو منه السكارى خبر كادت له القلوب تطير ، والعقول تطيش ، والنفوس تطيح — خبر يخفض البصر ويقذيه ، ويقبض الامل ويقدح فيه ، الخبر فى اثناء الرجاء قد انقطع ، وأصم به الناعى وقد استمع — ناعى الفضائل قائم ، وانف المحاسن راغم — خبر جرح الصدر ، وأحل البكاء ، وحرم الصبر ، وأطار واقع السكون ، وأثار كامن الوجوم ، وثقلت وطأته على اجزاء النفس ، وتأدت معرته الى سر القلب — كتبت والارض واجفة ، والشمس كاسفة، للرزء العظيم ، والمصاب الجسيم ، فى فلك الملك ، وركن المجد ، وقريع الشرق والغرب ، وما عسى ان يقال فى الفلك الاعلى اذا انهار من جوانبه ، وتهافت على مناكبه : أثار الناعى ، فندب المساعى ، وقامت به بواكى المجد ، وكسفت شمس الفضل ، وعاد النهار أسود ، والعيش انكد — غرب لموته نجم الفضل ، وكسدت سوق الأدب ، وقامت نوادب السماحة ، ووقف فلك الكرم ، ولطمت عليه المحاسن خدودها ، وشقت له المناقب جيوبها وبرودها ، قد كانت الرزية بحيث مارت السماء مورا ، وسارت الجبال سيرا ، حتى شوهدت الكواكب ظهرا ، ثم تهافتت شفعا ووترا ، وارتاعت الأمة وانبست الظلمة ، وارتفعت الرحمة ، واضطربت الملة ، وقامت نوادب المجد ، وأصبح الناس من القيامة على وعد ، ان المجد لبعده جارى الدموع ، وان الفضل لمنزعج النفس ، وان الكرم لحرج الصدر ، وان الملك لواهن الظهر كتابى وأنا من الحياة متذمم ، وبالعيش متبرم ، بعد ماماد الطود الشامخ ، وزال الجبل الباذخ ، ونطقت نوادب المجد ، وأقيمت مآتم الفضل — نعى فلان فتنكر

وجه الدهر ، وقبضت مهجة الفخر ، فلا قلب الا قد بتل من صدعه ، ولا عين الا وهى تبكى بالدمع بعده — كتبت والاحشاء محترقة ، والاجفان بمائها غرقة ، والدمع وا كف ، والحزن عاصف — مصاب اطلق اسراب الدموع وفرقها ، وأقلق اعشار القلوب وأحرقها ، مصاب فض عقود الدموع ، وشب النار بين الضلوع ، مصاب أذاب دموع الاحرار ، فتحلبت سحائب الدموع الغزار ، واستدت مسالك السكون والاستقرار ، — كتبت عن عين تدمع ، وقلب يجزع ، ونفس تهلع وقد أذبلت غصون العبرة ، وحجبت وافد الحيرة ، ومدّ الهم الى جسمى يد السقم وجر الدمع على خدى ذيول الدم ، لولا ان العين بالدمع انطق من كل لسان وقلم ، لاخبرت عن بعض ما أوهن ظهرى ، وأوهى أزرى ، ان الفجيعة اذا لم تحارب بجيش من البكاء ، ولم يخفف من اثقالها بالاشتكاء ، تضاعف داؤها ، وازدادت أعباؤها ، وعز دواؤها ، قد شفيت غليلى بما استدريته من اسراب الدموع المجبرة ، وخففت عنى بعض البرحاء بما امتريته من اخلافها المتحدرة ، ان فى إسبال العبرة ، واطلاق الزفرة ، والاجهاش بالبكاء والنشيج ، واعلان الصياح والضجيج ، تنفيسا عن برحاء القلوب ، وتخفيفا من اثقال الكروب — قد أتى الدهر بما هدّ الاصلاب ، وأطار الالباب ، من النازلة الهائلة ، والفجيعة الفظيعة — رزء أضعف العزائم القوية ، وأبكى العيون البكية — مصيبة زلزلت الارض ، وهدمت الكرم المحض ، وسلبت الاجفان كراها ، والابدان قواها فجيعة لايداوى كَلْمها آس ، ولا يسد ثلمها تناس — مصيبة تركت العقول مدلّهة ، والنفوس مولهة — رزء هض وهاض ، وأزال الانخزال والانخفاض ، ولم يرض بأن فض الاعضاء حتى أفاض الدماء — رزء ملأ الصدور ارتياعا ، وقسم الالباب شَعاعا ، وترك الجفون مقروحة ، والدموع مسفوحة ، والقوى مهدودة ، وطُرق العزاء مسدودة — رزء نكأ القلوب وجرحها ، وأحر الاكباد وقرحها ، مالى يد تخط الا بكلفة ، ولا نفس تردد الا فى غصة ، ولا عين تنظر الا من وراء

قذى ، ولا صدر ينطوى الا على أذى ، فالدموع واكفة ، والقلوب واجفة ، والهم وارد ، والأنس شارد

والناس مأتمهم عليه واحدٌ * فى كل دار رنة وزفيرُ

كأنى كندة وهى تلهف على حجر والخنساء تبكى على صخر — أنا بين عبرة وزفرة ، وأنة وحسرة ، وتململ واضطراب ، واشتعال والتهاب — مصيبة أصبحت لغمتها وقيدا ، ولكربتها أحيدا ، — كتبت وقد ملك الجزع صدرى وعراى ، وحصل ناظرى فى أسى وبكاء ، فالقلب دهش ، والبنان يرتعش ، وأنا من البقاء متوحش ، قد انتهى بى الهلع الى حيث لا التأسى مُصحِب ، ولا التناسى مصاحب ، بى انزعاج يحل عقد الحزم ، واكتئاب ينقض شروط العزم ، قد بلغ الحزن مبلغا لم أبتذله للنوائب ، وان جلت وقعا ، ونالت منى منالا لم يعتد طروق المصائب ، وان عظمت فجعا — كتبت بين اضطراب نفس ، واضطرام صدر ، والتهاب قلب ، وانتهاب صبر ، فما أعظمه مفقودا ، وما أكرمه موجودا — أنى لا نوح عليه نوح المناقب ، وأرثيه مع النجوم الثواقب ، وأبكيه مع المعالى والمحاسن ، وانثى بثناء المساعى والمآثر — ليت يمين الزمان شلت قبل ان فتكت بمهجة الفضل ، وعين الزمان كفت قبل ان رأت مصرع الفخر — لقد رزئنا من فلان عالمًا فى شخص ، وأمة فى نفس — مضى والمحاسن تبكيه ، والمناقب تعزى فيه — العيون لما قرت به أسخنها فيه ريب المنون ، ولما شرحت به الصدور قبضها بفقده المقدور — قد ركب على الاعناق بعد العتاق ، وعلى الاجياد بعد الجياد ، وفاح فتيت المسك من مآثره ، كما يفوح العنبر من مجامره ، كان منزله مألف الاضياف ، أو مأنس الاشراف ، ومنجع الركب ، ومقصد الوفد ، واستبدل بالأنس وحشة ، وبالنضارة غبرة ، وبالبياض ظلمة ، واعتاض من تزاحم المراكب تلاوم المآتم ، ومن ضجيج النداء والصهيل ، عجيج البكاء والعويل ، هذه المكارم تبدى شجوها لفقده ، وتلبس حدادها من بعده ، وهذه المحاسن قد قامت نوادبها

مع نوادبه ، واقترنت مصائبها بمصائبه ، لو قبلت الفدية لوقيته بنفسى وأيام عمرى ، علماً بأن العيش بمثله من اخوان الصفا يصفو ، وبظعنه عن الدنيا يكدر ويعفو ، لو وقى من الموت عزيز قوم بعزته ، أو كبير بأولاده وأسرته ، أو ذو سلطان باستطالته وقدرته ، أو زعيم دولة بحشمه وعُدته ، لكان الماضى أحق من وقى وأولى من فدى ، وكنا أقدر على دفع ماحدث ، وذبّ ما كرث وأرهق ، لكنه الامر المسوّى فيه بين من عز جانبه وذل ، وكثر ماله وقل ، حتى لحق المفضول بالفاضل ، والناقص بالكامل

شكوى الزمان

ولهم فيما يطابق هذا النحو من وصف الدهر وذم الدنيا — هو الدهر لا يعجب من طوارقه ، ولا ينكر هجوم بوائقه ، عطاؤه فى ضمان الارتجاع ، وحباؤه فى قران الانتزاع — من عرف الزمان لم يستشعر منه الأمان — تصرف الحوادث بين الموروث والوارث — الدهر مشحون بطوارق الغيَر ، مشوب صفو أيامه بالكدر ممزوج صابه بالعسل ، موصولة حبال الأمن فيه باسباب الأجل — قد جعل الله الدنيا دار قلعة ، ومحل نقلة ، فمن راحل ليومه ، ومن مؤخر لغده ، وكلٌّ متشوف لأجله ، وجار لأمره — ما الدنيا الا دار النقلة ، ولا المقام فيها الا للرحلة ، ان المرء حقيق اذا طرقه ما يتحيّف صبره ، ويتطرّق صدره ، ان يعود الى علمه بالدنيا كيف نصبت على النقلة ، وجنبت طويل المهلة ، وابتدئت للنفاد ، وشفع كونها للفساد. وان الثاوى فيها راحل ، والأيام مراحل — موهوب الدنيا مسلوب ، وان أرجئ الى مهلة ، وممنوحها مجذوب ، وان أخر الى أجل — لو خلد من سبق لما وسعت الارض من لحق ، ولذلك جعلت الدنيا دار قلعة ، ومحل نجعة —

سُبقنا الى الدنيا فلو عاش أهلها * منعنا بها من جيئة وذهوب
تملكها الآتى تملك سالبٍ * وفارقها الماضى فراق سليب

ذم الدنيا

قال عتبة بن هرون كنت مع الفضل الرقاشى فمر بمقبرة فقال . يأأهل الديار الموحشة ، والمحال المقفرة ، التى نطق بالخراب فِناؤها ، وشيد بالتراب بناؤها ، ساكنها مغترب ، ومحلها مقترب ، أهل هذه المنازل متشاغلون ، لايتواصلون تواصل الاخوان ، ولايتزاورون تزاور الجيران ، قد طحنهم بكلكله البلى ، وأكلهم الجندل والثرى (وقال خاقان) بن صبح : لوحشة الشك التمسنا أنس اليقين ، ومن ذل الجهل هربنا الى عز المعرفة ، ولخوف الضلالة لزمنا الجادة (وقال بعض الحكماء) كون المصائب ، ونزول النوائب ، وبغتات المنايا ، مطويات فى الساعات ، متى كنت فى الاوقات ، ورب مغتبط بساعة فيها انقضاء أجله ، ممتّع بوقت صارفيه الى قبره ، ومنتظر ورود يوم فيه منيته

اعرابى يعظ ابنه

(ووعظ) اعرابى ابنا له أفسد ماله فى الشراب فقال : لا الدهر يعظك ، ولا الايام تنذرك ، والساعات تعد عليك ، والانفاس تعد منك ، واحب امريك اليك ، اردهما بالمضرة عليك

المقامة الاهوازية

(ومن انشاء بديع الزمان فى المقامات) حدثنا عيسى بن هشام قال كنت فى الاهواز فى رفقة متى ترقّ العين فيهم تسهل ، ليس منا الا أمرد بكر الآمال ، غض الجمال ، أو مختّط حسن الاقبال ، أمن الايام والليال ، فأفضنا فى العشرة كيف نحكم معاقدها ، والأخوة كيف نضع قواعدها ، والسرور فى أى وقت نتقاضاه ، والانس كيف نتهاداه ، وفائت الحظ كيف نتلافاه ، والشراب والنقل كيف

نتعاطاه ، ومال بعضنا الى السماع والجماع ، وقمنا نجر اذيال الفسوق ، حتى انصرفنا من السوق ، واستقبلنا رجل فى طِمرين ، فى يمناه عكازة ، وعلى كتفه جنازة ، فتطيرنا لما رأينا الجنازة ، وأعرضنا عنها صفحا ، وطوينا دونها كشحا ، فصاح بنا صيحة كادت الارض لها تنفطر ، والنجوم تنكدر ، وقال لتركبنها صفرا ، ولتركبنها قسرا ، مالكم تطيّرون من مطيه ركبها اسلافكم ، وسيركبها اخلافكم ، وتقززون من سرير وطئه آباؤكم ، وسيطؤه أبناؤكم ، أما والله لتُحمَلُنَّ على هذه العيدان ، الى تلكم الديدان ، ولتنقلن بهذه الجياد ، الى تلكم الوهاد ، ويحكم تطيرون كانكم مخيرون ، وتتكرهون كانكم منزهون ، هل تنفع هذه الطيَرة ، يا فجرة (قال عيسى ابن هشام) فلقد نقض علينا ما كنا عقدناه ، وأبطل لنا ما كنا اردناه ، فقلنا اليه وقلنا ما أحوجنا الى وعظك ، وأعشقنا للفظك ، ولو شئت لزدت ، قال ان وراءكم موارد أنتم واردوها ، وقد سرتم اليها عشرين حجة

وان امرأ قد سار عشرين حجةً ＊ الى منهل من ورده لقريبُ

وفوقكم من يعلم أسراركم ، ولو شاء لهتك أستاركم ، يعاملكم فى الدنيا بحلمه ، ويقضى عليكم فى الآخرة بعلمه ، فليكن الموت منكم على ذكر ، لئلا تأتوا بنكر ، فانكم متى استشعرتموه لم تجمحوا ، ومتى ذكرتموه لم تمرحوا ، وان نسيتموه فهو ذاكركم ، وان نمتم عنه فهو ثائركم ، وان كرهتموه فهو زائركم ، قلنا فما حاجتك قال هى اطول من ان تُحد ، وأكثر من أن تعد ، قلنا فسانح الوقت . قال رد فائت العمر ، ودفع نازل الامر ، قلنا ما الى ذلك سبيل ، ولكن لك ماشئت من متاع الدنيا وزخرفها ، قال لا حاجة لى فيها

قوله ＊ وان امرأ قد سار عشرين حجة محرف عن قول قائله

وان امرأ قد سار خمسين حجة ＊ والبيت لأبى محمد التيمى أنشده دعبل

اذا مامضى القرن الذى أنت فيهمُ ＊ وخُلّفت فى قرن فأنت غريب

والبيت بعده قال دعبل وتزعم الرواة انه لاعرابى من بنى أسد قال خلاد

الأرقط كنا على باب أبي عمرو بن العلاء ومعنا التميمى فذكرنا كتاب الحجاج ابن يوسف الى قتيبة بن مسلم انى وإياك لدنان ، وان امرأ قد صار خمسين حجة لقمن ان يزيد . فأصلحناه فانتشله التميمى فاجتلبه فى شعره

كتاب البديع الى أبى القاسم الكرجى

— ١ —

وكتب البديع الى أبى القاسم الكرجى: أنا وان لم ألق تطاول الاخوان الا بالتطول ، وتحامل الاحرار إلا بالتجمل ، أحاسب الشيخ على اخلاقه ضنًّا بما عقدت يدى عليه من الظن به ، والتقدير فى مذهبه ، ولولا ذاك لقلت فى الارض مجال ان ضاقت ظلاله ، وفى الناس واصل ان رثت حباله ، وأؤاخذه بأفعاله ، فان أعارنى اذنا واعية ، ونفسا مراعية ، وقلبا متعظا ، ورجوعا عن الذهاب ، ونزوعا عما يقرعه فى هذا الباب ، فرشت لمودته صدرى وعقدت عليه جوامع خنصرى ، ومجامع عمرى ، وان ركب من التعالى غير مركب ، وذهب من التغالى فى غير مذهب ، أقطعته خطة أخلاقه ، ووليه جانب اعراضه ، فكنت أمرءا

لا أذود الطير عن شجر * قد بلوت المر من ثمره

فانى أطال الله بقاء مولاى وان كنت مقتبل السن والعمر ، فقد حلبت شطرى الدهر ، وركبت ظهرى البر والبحر ، ولقيت وفدى الخير والشر ، وصافحت يدى النفع والضر ، وضربت ابطى العسر واليسر ، وبلوت طعمى الحلو والمر ، ورضعت ثديى العرف والنكر ، فما تكاد الايام ترينى من افعالها غريبا ، أو تسمعنى من اقوالها عجيبا ، ولقيت الافراد ، وطارحت الآحاد ، فما رأيت أحدا الا ملأت حاقى سمعه وبصره ، وشغلت حيزى فكره ونظره ، وأثقلت كتفه فى الحزن ، وكفته فى الوزن ، وودّ لو بارز القرن بصفحتى أو لقى الفضل بصحيفتى ، فمالى صغرت هذا الصغر فى عينه ، وما الذى أزرى بى عنده حتى احتجب وقد قصدته ، ولزم

أرضه وقد حضرته ، وأنا أحاشيه أن يجهل قدر الفضل ، أو يجحد فضل العلم ، أو يمتطى ظهر التيه ، على أهليه ، واسأله أن يختصنى من بينهم بفضل انعام ان زلت بى مرة قدم فى قصده ، وكأنى به وقد غضب لهذه المخاطبة المجحفة ، والرتبة المتحيفة ، وهو فى جنب جفائه يسير ، وان أقلع عن عادته الى الوفاء ، ونزع عن شيمته فى الجفاء ، فأطال الله بقاء الأستاذ وأدام عزه وتأييده

— ٢ —

وله اليه رقعة

يعز علىّ أطال الله بقاء الشيخ الرئيس ان ينوب فى خدمته قلمى عن قدمى ، ويسعد برؤيته رسولى ، دون وصولى ، ويرد شرعة الأنس به كتابى ، قبل ركابى ، ولكن ما الحيلة والعوائق جمة

وعلىّ ان أسعى وليس علىّ ادراكُ النجاح

وقد حضرت داره ، وقبّلت جداره ، ومابى حب الجدران ، ولكن شغفاً بالقطان ، ولا عشق الحيطان ، ولكن شوقا الى السكان ، وحين عدت العوادى عنه ، أمليت ضمير الشوق على لسان القلم ، معتذرا الى الشيخ على الحقيقة ، عن تقصير وقع ، وفتور فى الخدمة عرض ، ولكنى أقول

ان يكن تركى لقصدك ذنباً * فكفى ان لا أراك عقابا

كتاب البديع الى عدنان بن محمد

وله جواب الى رئيس هراة عدنان بن محمد: ورد كتاب الشيخ الرئيس سيدى فظلت وفود النعم تترى لدىّ ، ومثلت بين عينىّ ، ووجدت سيدى وقد أخذ مكارم نفسه ، فجعلها قلادة عرسه ، وتتبع المحاسن من عنده ، فحلّى بها نحر عبده ، وما أشبّه رائع حُليه ، فى نحر وليه ، الا بالغرة اللائحة ، على الكالحة[1] لا آخذ الله الشيخ بوصف نزعه عن عرضه ، وزرعه فى غير أرضه ، ونعتٍ سلخه عن خلقه ،

(١) الكالحة : هى العابسة

وأهداه الى غير مستحقه ، وفضل استفاده من فرعه وأصله ، وأوصله الى غير أهله . ذكر حديث الشوق ولو كان الامر بالزيارة حتما ، أو الاذن جزما أطلق عزما ، لكان آخر نظرى فى الكتاب ، أول نظرى الى الركاب ، ولاستعنت على كُلف السير ، اجنحة الطير ، لكنه ادام الله عزه صرفنى بين يد سريعة النبذ ، ورجل وشيكة الاخذ ، وأرانى زهدا فى ابتغاء ، كحسو فى ارتغاء ، ونزاعا فى نزوع ، كذهاب فى رجوع ، ورغبة فىَّ كرغبة عنى ، وكلاما فى الغلاف ، كالضرب تحت اللحاف ، فلم اصرح بالاجابة وقد عرض بالدعاء ، ولم اعلن بالزيارة وقد أسر بالنداء ، ولولم يدعنى بلسان المحاجاة ولم يجاهرنى بفم المناجاة ، لكنت اسرع اليه ، من الكرم الى عِطفيه ، وفكرت فى مراد الشيخ ، فوجدته لا يتعدى الكرم يشب ناره ، والفضل يدرك ثاره ، واذا كان الأمر كذلك فما أولاه ، بترفيه مولاه ، عن زفرة صاعدة ، بزفرة قاصدة ، وقد زاد سيدى فى أمر المخاطبة ، وما أحسن الاعتدال ، وقد كفانا نية الاستاذ ، وأسأله أن لا يزيد ، وقد بدأ ويجب أن لا يعيد ، فلا تنفع كثرة العد ، مع قلة المعدود ، والزيادة فى الحد مع نقصان المحدود ، نقص من الحدود ، ورب ربح أدى الى خسران ، وزيادة أفضت الى نقصان ، ورأى الشيخ فى تشريفه بجوابه موفق ان شاء الله تعالى

كتاب لابى اسحاق الصابي

اجتلب قوله فى اول هذه الرسالة من قول ابى اسحق الصابى فى جواب كتاب لبعض اصحابه

وصل كتابك مشحوناً بلطيف برك ، موشحا بغامر فضلك ، ناطقاً بصحة عهدك ، صادقا عن خلوص ودك ، وفهمته وشكرت الله تعالى على سلامتك شكر المخصوص بها ؛ ووقفت على ما وصفته من الاعتداد بى ؛ وتناهيت اليه من التقريظ لى ، فما زدت على أن أعرتنى خلالك ، ونحلتنى خصالك ، لأنك

الفضائل أولى وهى بك أحرى ، ولو كنت فى نفسى ممن يشتمل على وصفه حدى اذا حددت ، أو يحيط بكماله وصفى اذا وصفت ، لشرعت فى بلوغها والقرب منها ، لكن المادح لك مستفرغ لك وسعه وقد بخسك ، ومستغرق طوقه وقد نقصك ، فابلغ ما يأتى به المثنى عليك ، ويتوصل اليه المطرى لك ، الوقوف فى ذلك دون منتهاه ، والاقرار بالعجز عن غايته وقواه

أبيات لابن الرومى

ونقل البديع ما ذكره من ترك تكلف السفر والبعثة بما حضر من قول ابن الرومى

أمّا حق حامى عرض مثلِك أن يرى * له الرِّفدو الترفيه أوجبَ واجبِ
أقمت لكى تزداد نعماك نعمةً * وتغنى بوجه ناضر غير شاحب
وكى لا يقول القائلون انابهُ * وعاقبه والقوم جم المشاعب
وليس عجيبا ان ينوب تكرماً * غريب به من آمل لك غائب
ذمامِىَ ترْعى لاذمام سفينةٍ * وحقىَ لاحق القِلاص النجائب

تكلف التصوف

ودخل أبو العتاهية على ابنه محمد وقد تصوف فقال : ألم أكن قد نهيتك عن هذا ؟ فقال وما عليك أن أتعوّد الخير ، وأنشأ عليه ! فقال : يابنى يحتاج المتصوف الى رقة حال ، وحلاوة شمائل ، ولطافة معنى ، وأنت ثقيل الظل ، مظلم الهواء ، راكد النسيم ، جامد العينين ، فأقبل على سوقك فانها أعود عليك . وكان بزازا

كلمات للصوفية

فِقر من كلام المتصوفة والزهاد والقصاص — نور الحقيقة أحسن من نَور الحديقة الزهد قطع العلائق ، وهجر الخلائق — الدنيا ساعة ، فاجعلها طاعة — التصوف ترك التكلف — قيل لمتصوف : أتبيع مرقعتك ؟ قال أرأيتم صيادا يبيع شبكته !

وقيل لبعضهم لو تزوجت ! قال لو قدرت ان أطلق نفسى لطلقتها ، وأنشد

تجرد من الدنيا فانك انما * سقطت الى الدنيا وأنت مجردُ

الدنيا نوم ، والآخرة يقظة ، والمتوسط بينهما الموت ، ونحن فى اضغاث أحلام — ذو النون : العبد بين نعمة وذنب ، لا يصلحهما الا الشكر والاستغفار — غيره: ينبغى للعبد ان يكون فى الدنيا كالمريض لا بد له من قوت ، ولا يوافقه كل طعام — ليس فى الجنة نعيم أعظم من علم أهلها انها لا تزول — ابن المبارك : الزهد اخفاء الزهد — اذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه ، واذا طلبهم فاهرب منه — من أطلق طرفه كثر أسفه — من سوء القدر فضل النظر — من طاوع طرفه تابع حتفه — من نظر بعين الهوى حار ، ومن حكم على الهوى جار ، ومن أطال النظر لم يدرك الغاية ، وليس لناظر نهاية — ربما أبصر الأعمى رشده ، وأضل البصير قصده — وقيل : رب حرب جُنيت من لفظة ، ورب حب غرس من لحظة ، وأنشد

نظرت اليها نظرة لو كسوتها * سرابيل أبدان الحديد المسرّدِ
لرقّت حواشيها وفُضّ حديدُها * ولانت كما لانت لداود فى اليد

خطر الحب

وقال سعيد بن حميد

نظرت فقادتنى الى الحتف نظرةٌ * الىّ بمضمون الضمير تشيرُ
فلا تصرفنّ الطرف فى كل منظر * فان معاريض البلاء كثير
ولم أر مثل الحب أسقم ذا هوًى * ولا مثل حكم الحب كيف يجور
لقد صنت مابى فى الضمير كأنما * يصان لدى الطرف النموم ضمير

غيره

اليوم أيقنت أن الحب متلفةٌ * وان صاحبه منه على خطرِ
كيف الحياة لمن أمسى على شرفٍ * من المنية بين الخوف والحذر

يلوم عينيه أحياناً بذنبهما * ويحمل الذنب أحياناً على القدر
اذا نأى أو دنا فالقلب عندكمُ * وقلبه أبداً منه على سفرِ

اسباب الفتنة

ونظر محمد بن أسباط الصوفى الى أبى المثنى الشيبانى وقد نظر فى وجه غلام مليح، فقال: إدمان النظر يكشف الخبر، ويفضح البشر، ويطول به المكث فى سقر. وقال المعلى الصوفى: شكوت الى بعض الزهاد فسادا أجده فى قلبى، فقال هل نظرت الى شىء فتاقت اليه نفسك؟ قلت نعم، قال احفظ عينيك فانك ان أطلقتهما أوقعتاك فى مكروه، وان ملكتهما ملكت سائر جوارحك. قال مسلم الخواص لمحمد بن على الصوفى أوصنى فقال أوصيك بتقوى الله فى أمرك كله وايثار ما يحب على محبتك، وإياك والنظر الى كل ما دعاك اليه طرفك، وشوّقك اليه قلبك، فانهما ان ملكاك لم تملك شيئا من جوارحك، حتى تبلغ بهما ما يطالبانك به، وان ملكتهما كنت الراعى لهما الى ما أردت، فلا يعصيانك أمراً ولا يردان لك قولا (قال بعض الحكماء) ان الله عز وجل جعل القلب أمير الجسد وملك الاعضاء، فجميع الجوارح تنقاد له، وكل الحواس تطيعه، وهو مدبرها ومصرفها، وقائدها وسائقها، وبارادته تنبعث، وفى طاعته تتقلب، ووزيره العقل، وعاضده الفهم، ورائده العينان، وطليعته الاذنان، وهما فى النقل سواء لا يكتمانه أمراً ولا يطويان دونه سراً: يريد العين والاذن (وقيل) لافلاطون أيهما أشد ضرراً بالقلب السمع أم البصر؟ قال هما للقلب كالجناحين للطائر لا يستقل الا بهما ولا ينهض الا بقوتهما، وربما قص أحدهما فنهض بالآخر على تعب ومشقة قيل مابال الاعمى يعشق ولا يرى، والاصم يعشق ولا يسمع؟ قال: لذلك قلت ان الطائر قد ينهض باحد جناحيه ولا يستقل بهما طيراناً فاذا اجتمعا كان ذهابه أمضى وأوحى[1] (وقال) الاسود بن طالوت الجاوردى: نظر الىّ ابو العمر الصوفى

---

(١) أوحى: أسرع

وقد أطلت النظر الى غلام جميل ، فقال: ويحك ! ان طرفك لعظيم ما اجتنى من البلاء ، قد عرضك للمكروه وطول العناء ، لقد نظرت الى حتف قاتل للقلوب وبلاء مظهر للعيوب ، وعار فاضح للنفوس ، ومكروه مذهل للعقول، أكل هذا لاغترار بالله جرأك عليه حتى أمنت مكره ، ولم تخف كيده ، اعلم انك لم تكن فى وقت من أوقاتك ، ولا حالة من حالاتك، أقرب الى عقوبة الله منك فى حالتك هذه ، ولو أخذك لم يخلصك الثقلان ، ولم يقبل فيك شفاعة انس ولا جان (ونظر) محمد بن ضوء الصوفى الى رجل ينظر الى غلام مليح ، فقال كفى بالعبد نقصاناً عند الله وضعة عند ذوى العقول ، أن ينظر الى كل ماسنح له من الملا (ونظر) مسلم الخشوعى فأطال النظر فقال ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب ، ثم قال سبحان الله! ماأهجمَ طرفى على مكروه نفسى ، وأدمنَه على تسخّط سيده ، وأغراه بما نهى عنه ، وألهجه بما حذر منه ! لقد نظرت الى هذا نظراً شديداً خشيت أنه سيفضحنى عند جميع من يعرفنى فى عرصات القيامة ، ولقد تركنى نظرى هذا وأنا أستحى من الله تعالى إن غفرلى! ثم صعق (ونظر) غالية المضرور الى غلام جميل على فرس رائع ، فقال لا أدرى بم أداوى طرفى ولا بم أعالج قلبى ، ما أتوب الى الله من ذنب الا رجعت ، ولا أستغفره من أمر الا أتيت أعظم منه ، حتى لقد استحييت أن أسأله المغفرة لما يلحق قلبى من القنوط من عفوه ، لعظيم حالى بالمنكر الذى أصنعه ، فقال له قائل وأى منكر أتيت ؟ فقال أتريد منى أكثر من نظرى هذا! والله لقد خشيت أن يبطل كل عمل قدمته ، وخير أسلفته ، ثم بكى حتى ألصق خده بالارض (ورأى) بعض الزهاد صوفيا يضحك الى غلام جميل ، فقال له ياخرب القلب ويا خرب الطرف أما تستحى من كرام كاتبين ، وملائكة حافظين ، يحفظون الافعال ، ويكتبون الاعمال ، وينظرون اليك ، ويشهدون عليك ، بالبلاء الظاهر ، والغل الدخيل الخامر ، الذى أقمت نفسك فيه مقام من لا يبالى من وقف عليه ، ونظر من الخلق

اليه (وقال) أبو حمزة بن ابراهيم قلت لمحمد بن العلاء الدمشقى وكان سيد المتصوفة وقد رأيته يماشى غلاماً وضيأ مدة ثم فارقه ، لم هجرت ذلك الفتى بعد أن كنت له مواصلا ، واليه مائلا ؟ فقال: والله لقد فارقته من غير قلًى ولا ملل ، ولقد رأيت قلبى يدعونى إن خلوت به ، وقربت منه، الى أمر لو أتيته لسقطت من عين الله عز وجل ، فهجرته تنزيها لله ولنفسى عن مصارع الفتن ، وانى لارجو أن يعقبنى سيدى من مفارقته ما أعقب الصابرين عن محارمه ، عند صدق الوفاء بأحسن الجزاء ، ثم بكى حتى رحمته (قال) أبو حمزة ورأيت مع احمد بن على الصوفى ببيت المقدس غلاما جميلا فقلت منذ كم صحبك هذا الغلام ؟ فقال منذ سنين، فقلت لو سرتما الى بعض المنازل فكنتما فيه كان أحمد لكما من الجلوس فى المسجد بحيث يرا كماالناس ؟ فقال اناأخاف احتيال الشيطان علىّ به وقت خلوتى وانى لاكره أن يرانى الله فيه على معصية فيفرق بينى وبينه يوم يظفر المحبون بأحبابهم (وقال) ابو الفتح البستى

تنازع الناس فى الصوفىّ واختلفوا * فيه وظنوه مشتقاً من الصوفِ
ولست انحل هذا الاسم غير فتى * صافى فصُوفىَ حتى لقب الصوفى

ورأى سقراط رجلا من تلامذته يتفرس فى وجه أوحيا وكانت فائقة الجمال فقال ما هذا الشغل الذى منعك الروية والفكرة ؟ فقال التعجب من آثار حكمة الطبيعة فى صورة أوحيا ، فقال لا تجعلن نظرك لشهوتك مركبا فيجمع لك ذحول الاذية ولتكن نفسك منه على بال. إن آثار الطبيعة فى وجه أوحيا الظاهرة تمحق بصرك ، وإن فكرتك فى صورتها الباطنة تحد نظرك (وقال) بعضهم رأيت جارية حسناء الساعد فقلت ياجارية ما أحسن ساعدَك ! فقالت لكنك لم تختص به ، فغض بصر جسمك عما ليس لك لينفتح بصر عقلك فترى مالك

الرأى والهوى

وقال بعض الفلاسفة اليونانيين: فضل ما بين الرأى والهوى ان الهوى يخص والرأى يعم ، وأن الهوى فى خير العاجل ، والرأى فى خير الآجل ، والرأى يبقى على طول الزمان ، والهوى سريع الدثور والاضمحلال ، والهوى فى حيز الحس ، والرأى فى حيز العقل (وقال) بعض الحكماء من انقاد لهواه عرضته الشهوات (وقال آخر) من جرى مع هواه طلقا ، جعل عليه للذل طرقا

وقال ابن دريد أوصى بعض الحكماء رجلا فقال آمرك بمجاهدة هواك فانه يقال ان الهوى مفتاح السيآت ، وخصيم الحسنات ، وكل أهوائك لك عدو ، وأهواها هوى يكتمك فى نفسه ، واعداها هوى يمثل لك الاثم فى صورة التقوى ولن تفصل بين هـذه الخصوم اذا تناظرت لديك الا بحزم لايشوبه وهن ، وصدق لايطمع فيه تكذيب ، ومضاء لايقاربه التثبيط ، وصبر لا يغتاله جزع ، ونية لا يتقسّمها التضييع ، قال أبو العتاهية

لا تأمن الموت فى طرف ولا نفَس * ولو تمنّعت بالحجّاب والحرسِ
فلا تزال سهام الموت نافذةً * فى جنب مدّرع منا ومترّس
ما بال دينك ترضى ان تدنسهُ * وثوبك الدهرَ مغسولٌ من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على يَبَسِ

دار المهدى

خرج شبيب بن شبة من دار المهدى فقيل له كيف رأيت الناس؟ قال رأيت الداخل راجيا ، والخارج راضيا . فنحا الى هذا المعنى ربيعة الرقى فقال

قد بسط المهدىّ كف الندى * للناس والعفو عن الظالمِ
فالراحل الصادر عن بابهِ * مبشر للوارد القادم

وقال مسلم بن الوليد فى هذا المعنى

جزيت ابن منصور على نأى داره * جزاء مقرٍّ بالصنيعة شاكرِ
فتى راغم الاموال واصطنع العلا * وأثبت نيران الندى بالعشائر

وقال البستى

وألقى الفم الضحاك اعلم أنهُ * قريب ندى الكف المفداة عنده

اخوال السفاح

دخل خالد بن صفوان على أبي العباس السفاح وعنده اخواله من بني الحارث ابن كعب فقال : ما تقول فى اخوالى ؟ فقال هم هامة الشرف ، وعرنين الكرم ، وغرس الجود ، ان فيهم خصالا ما اجتمعت فى غيرهم من قومهم ، لأنهم أطولهم أمما وأكرمهم شيما ، وأطيبهم طعما ، وأوفاهم ذمما ، وأبعدهم هما ، الجمرة فى الحرب ، والرفد فى الجدب ، والرأس فى كل خطب ، وغيرهم بمنزله العجب ، فقال وصفت أبا صفوان فاحسنت فزاد اخواله فى الفخر ، فغضب أبو العباس لاعمامه ، فقال أفخر ياخالد على اخوال أمير المؤمنين ، قال : وأنت من اعمامه ؟ قال : كيف أفاخر قوما بين ناسج برد ، وسائس قرد ، ودابغ جلد ، وراكب عرد ، دل عليهم هدهد ، وغرقهم جرذ ، وملكتهم أم ولد ! فاشرق وجه أبي العباس . قال يموت ابن المزرع سمعت خالى الجاحظ وذكره لأمر خالد هذا فقال والله لو فكر فى جمع معايبهم ، واختصار اللفظ فى مثالبهم ، بعد ذلك المدح المهذب منه لكان قليلا ، فكيف على بديهته لم يرض له فكرا — هكذا أورد هذه الحكاية الصولى وقد جاءت بأطول من هذا وليست من شرطنا

لامية معن بن أوس

قال معن بن أوس المذلى

لعمرك ما أدرى وانى لأوجلُ * على أينا تأتى المنية أولَ

وانى أخوك الدائم الود لم أحلْ * اذا ناب خطبٌ أونبابك منزل

كأنك تشفى منك داءً مساءتى * وسخطى ومافى ريبتى ما تعجّل

وان سؤتنى يوما صبرت الى غدٍ * ليعقب يومٌ آخرٌ منك مقبل

ستقطع فى الدنيا اذا ما قطعتنى * يمينك فانظر أى كف تبدّل

وفى الناس ان رثت حبالك واصلٌ * وفى الارض عن دار القلى متحوّل

اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقلُ

ويركب حد السيف من أن تضيمهُ * اذا لم يكن عن شفْرة السيف مَزْحلُ

وكنت اذا ما صاحبٌ رام ظِنتى * وبدل سوأً بالذى كان يفعل

قلبت له ظهر المجنّ ولم أدم * على العهد الا ريثما يتحول

اذا انصرفت نفسى عن الشىء لم تكد * عليه بوجه آخرَ الدهر تقبل

ودخل عبد الله بن الزبير على معاوية بن أبى سفيان وأنشد شعر معن فقال لمن هذا؟ فقال لى يا أمير المؤمنين. قال لقد شعرت بعدى يا أبا بكر ! ثم دخل عليه معن فأنشده الشعر بعينه ، فقال ألم تقل يا أبا بكر انه شعرك ؟ فقال يا أمير المؤمنين انه ظئرى فما كان له فهو لى ، أراد معاتبة معاوية فعاتبه بشعر معن ، ليبلغ مافى نفسه ، وليس ادعاؤه له على حقيقة منه

خالد القشيري

وقال خالد بن صفوان دخلت على هشام بن عبد الملك فاستدنانى حتى كنت أقرب الناس اليه ثم تنفس الصعداء ، وقال ياخالد ، رب خالد جلس مجلسك هو أشهى الىّ حديثا منك! فعلمت انه أراد خالداً القشيرى ، فقلت أفلا تعيده يا أمير

المؤمنين ، فقال هيهات ان خالدا أدلّ فأملّ ، وأوجف فاعجف ، ولم يدع لراجع مرجعاً . وتمثل بهذا البيت

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد * عليه بوجه آخر الدهر تقبل

ميمية معن بن أوس

وروى أبو حاتم عن ابى عبيدة قال كان عبد الملك بن مروان فى سمره مع أهل بيته وولده وخاصته فقال لهم ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر ، وليفصل رأى تفضيله ، فانشدوا وفضلوا ، فقال بعضهم النابغة ، وقال بعضهم الاعشى ، فلما فرغوا قال اشعر الناس والله من هؤلاء الذي يقول وأنشد بعض هذه الابيات التى أنشد (وهى لمعن بن أوس)

وذى رحم قلمت أظفار ضغنهِ * بحلمىَ عنه وهو ليس له حلمُ
يحاول رغمى لايحاول غيرهُ * وكالموت عندى ان يحل به الرغمُ
فان أعف عنه أغض عيناً على قذى * وليس له بالصفح عن ذنبه علم
وان انتصر منه أكن مثل رائشٍ * سهام عدو يستهاض به العظم
صبرت على ما كان بينى وبينهُ * وما يستوى حرب الاقارب والسلم
وبادرت منه النأى والمرء قادرٌ * على سهمه ما كان فى كفه السهم
ويشتم عرضى فى مغيبىَ جاهداً * وليس له عندى هوانٌ ولا شتم
اذا سُمته وصل القرابة سامنى * قطيعتها تلك السفاهة والاثمُ
فان ادعه للنَّصف يأب اجابتى * ويدع لحكم جائرٍ غيرهُ الحكم
فلولا اتقاء الله والرحم التى * رعايتها حق وتعطيلها ظلم
اذاً لعلاه بارق وخطمتهُ * بوسم شنار لايشابهه وسمُ
ويسعى اذا أبنى لهدم مصالحى * وليس الذى يبنى كمن شأنه الهدم
يود لوانى معدم ذو خصاصةٍ * واكره جهدى أن يخالطه العُدْم

ويعتد غنما فى الحوادث نكبتى * وما إنْ له فيها سناءٌ ولا غنم
فما زلت فى لينى له وتعطفى * عليه كما تحنو على الولد الام
وخفضى له منى الجناح تألفاً * لتدنيه منى القرابة والرحم
وصبرى على أشياء منه تريبنى * وكظمى على غيظى وقد ينفع الكظم
لأستلّ منه الضغن حتى سللتهُ * وقد كان ذا ضغن يصوبه الحزم
رأيت انثلاماً بيننا فرقعتهُ * برفقىَ احيانا وقد يرقع الثلم
وأبرأت غل الصدر منه توسعا * بحلمى كما يشفى بالادوية الكلم
فاطفأت نار الحرب بينى وبينهُ * فاصبح بعد الحرب وهو لنا سلم

كتاب ابن العميد الى ابى عبد الله الطبرى

(وكتب أبو الفضل بن العميد الى ابى عبد الله الطبرى) وصل كتابك فصادفنى قريب العهد بانطلاق، من عنت الفراق، وأوفقنى مستريح الاعضاء والجوانح من جوى الاشتياق، فان الدهر جرى على حكمه المألوف فى تحويل الاحوال، ومضى على رسمه المعروف فى تبديل الاشكال، وأعتقنى من مخالتك عتقاً لا تستحق به ولاء، وابرانى من عهدتك براءة لا تستوجب معها دركا ولا استثناء، ونزع من عنقى ربقة الذل فى اخائك، بيدى جفائك، ورش على ما كان يضطرم فى ضميرى من نيران الشوق بالسلو، وشن على ما كان يلتهب فى صدرى من الوجد ماء اليأس، ومسح أعشار قلبى فلأم قطورى بجميل الصبر، وشعب أفلاذ كبدى، فلاحم صدوعها بحسن العزاء، وتغلغل فى مسالك انفاسى فمرض عن النزاع اليك نزوعا، ومن الذهاب فيك رجوعا دونك، وكشف عن عينى ضبابات ما ألقاه الهوى على بصرى، ورفع عنها غيابات ما سدله الشك دون نظرى، حتى حدر النقاب عن صفحات شيمك، وسفر عن وجوه خليقتك، فلم أجد إلا منكراً، ولم ألق الا مستكبراً، فوليت منها فراراً، وملئت رعباً، فاذهب فقد ألقيت حبلك على غاربك، ورددت اليك ذمم عهدك

وله من هذه الرسالة : وأما عذرك الذى جزمت بسطه فانقبض ، وحاولت تمهيده وتقريره فاستوفز وأعرض ، ورفعت بضبعه فانخفض، وقد ورد ولعتبه وجه يؤثر قبوله على رده ، وتزكيته على جرحه ، فلم يف بما بذلته من نفسك ، ولم يقم عند ظنك به. أنىّ وقد غطى التندم وجهه ، ولف الحياء رأسه ، وغض الخجل طرفه ،فلم تتمكن من استكشافه ، وولى فلم تقدر على إيقافه ، ومضى يعثر فى فضول ما يغشاه من كرب حتى سقط ،فقلنا للفم واليدين ، ثم أمر بمطالعة صحبه فلم أجده الا تأبط شراً ، أو تحمل وزراً (وقوله) هذا محاول من عقد نظمه اذ يقول

اقرا السلام على الشريف وقل لهُ * قَدْك اتئد اربيت فى الغلواء[1]

أنت الذى شتت شمل مسرتى * وقدحت نار الشوق فى أحشائى

ورضيت بالثمن اليسير معوضة * منى فهلا بعتنى بغلاء

وسألتك العتبى فلم ترنى لها * أهلاً فجدت بعذرة شوهاء

وردت مموهة فلم يرفع لها * طرف ولم ترزق من الإصغاء

وأعار منطقها التندم سكتة * فتراجعت تمشى على استحياء

لم تشف من كمد بآخر مثله * أثرت جوارحه من الادواء

لم تشف من كمدٍ ولم تبرد على * كبد ولم تمسح جوانب داء

داوت جوًى بجوى وليس بحازم * من يستكف النار بالحلفاء

وله اليه رسالة : أخاطب الشيخ سيدى أطال الله بقاءه مخاطبة مجرح يروم الترويح عن قلبه ، ويريد التفريج من كربه ، فأكاتبه مكاتبة مصدور يريد أن ينفث بعض مابه ، ويخفف الشكوى من أوصابه ، ولو بقيت من الصبر بقية لسلوت ، ولو وجدت فى أثناء وجدى مخرجا يتحلله تجلد لامسكت ، فقديما لبست الصديق على علاته ، وصفحت له عن هناته ، ولـكنى مغلوب على العزاء، مأخوذ على عادتى فى الاغضاء ، فقد سل من جفائك ماترك احتمالى جفاء ، وذهب فى نفسى من ظلمك ما انزف حلمى فجعله هباء ، وتولى علىّ من قبح فعلك فى هجر

(١) قدك : حسبك

يستمر على نسق ، وصد مطرد مستق ، مالوفض على الورى ، وأفيض على البشر لامتلأت صدورهم ، فهل أقدر على الاقوال ، وهل أكلك الى مراعاتك ، وهل تشكو الىّ أن الدهر حليفك على الاضرار ، وعقيدك على الافساد ، أو اشكوه اليك فانكما وان كنتما فى قطيعة الصديق رضيعى لبان ، وفى استيطاء مركب العقوق شريكى عنان ، فانه قاصر عنك فى دقائق مخترعة أنت فيها نسيج وحدك أو قاعد عما تقوم به من لطائف مبتدعة أنت فيها وحيد عصرك ، أنتما متفقان فى ظاهر يسرّ الناظر ، وباطن يسوء الخابر ، وفى تبدل الابدان ، والتحول من حال الى حال ، وفى بث حبائل الزور ، ونصب أشراك الغرور ، وفى خلف الموعود ، والرجوع فى الموهوب ، وفى فظاعة اهتضام ما يعير ، وبشاعة ارتجاع ما يمنح ، وقصد مشارّة الاحرار ، والتحامل عند ذوى الاخطار ، وفى تكذيب الظنون ، والميل عن النباهة للخمول ، الى كثير من شيتكما التى اسندتما اليها ، ومنيتكما التى تعاقدتما عليها ، فأين هو ممن لا يجارى فيه نقض عُرى العهود ، ونكث قُوى العقود ، وأنى هو عن النميمة والغيبة ، ومشى الضَّراء فى الغيلة ، والنفق بالنفاق فى الحيلة ، وأين هوى ممن ادعى ضروب الباطل ، والتحلى بما هو منه عاطل ، وتنقّص العلماء والأفاضل ، هذا الى كثير من مساوٍ منثورة أنت ناظمها ، ومضارّ متفرقة أنت جامعها.أنت أيدك الله ان سويته بنفسك ، ووزنته بوزنك ، اظلم منه لذويه ، واعق منه لبنيه ، وهبك على الجملة قد زعمت مفتريا عليه انه أشد منك قدرة ، وأعظم بسطة ، وأتم نصرة ، وأطلق يدا فى الاساءة ، وأمضى فى كل نكاية شباة ، وأحدّ فى كل عاملة شداة ، وأعظم فى كل مكروه متغلغلا ، وألف الى كل محذور متوصلا ، وان الدهر ليس بمُعتِب من يجزع ، وان العتبى منك مأمولة ، ومن جهتك مرقوبة ، وهيهات فلو توهم انه لو كان ذا روح وجثمان ، مصور فى صورة انسان ، ثم كاتبته استعطفه على الصلة وأستعفيه من الهجر ، واذكره من المودة ، واستميل به الى رعاية المعتب

واستخمد به ماشبّه الفراق فى نفسى من اللوعة ، واضرمه البعاد فى صدرى من من الحرقة ، لكان لا يستحسن مااستحسنته من الاضطراب عنـد جوابى ، ولا يستجيز ما استجزته من الاستخفاف بكتابى .

وله فصل فى هذه الرسالة وقدذكر دعواه فى العلم: وهبْك افلاطون نفسه فأين ماسننته من السياسة فقـد قرأناه فلم نجد فيه ارشادا الى قطيعة صديق ، فاحسبك ارسطاطاليس بعينه أين مارسمته من الاخلاق ، فقد رأيناه فلم نر فيه هداية الى شئ من العقوق ، وأما الهندسة فانها باحثة عن المقادير ، ولن يعرفها من يجهل مقدار نفسه ، وقدر الحق عليه وله ، بل لك فى رؤساء العربية منّا ريحٌ ومضطرب ، ولسنا نشاحّك . لـكن أحب أن تتحقق بالغريب من القول ، دون الغريب من الفعل ، وقد اغتربت فى الذهاب بنفسك الى حيث لا تهتدى للرجوع عنه ، وأما النحو فلن ترفع عن حذق فيه ، وبصر به ، وقد اختصرته أوجز اختصار ، وسهلت سبيل تعليمه على من يجعلك قدوة ، ويرضى بك اسوة ، فقلت الغدر والباطل ، وماجرى مجراهما ، مرفوع ، والصدق والوفاء وما صاحبهما مخفوض ، وقد نصب الصديق عندك ، ولـكن غرضا يرشق بسهام الغيبة ، وعلما يقصد بالوقيعة ، ولست بالعروضى ذى اللهجة فأعرف قدر حذقك فيه ، الا انى لا أراك تتعرض لكامل ولا وافر ، وليتك سبحت فى بحر المجتث حتى تخرج منه الى شط المتقارب

وفى فصل منها أيضا

وهبنى سكت لدعواك سكوت متعجب ، ورضيت رضا منسخط ، أيرضى الفضل اجتذابك باهدابه ، من يدى أهليه وأصحابه ، وأحسبك لم تزاحم خطابه ، حتى عرفت قلة فقره ، وقلة حصره ، فأصدقنى هل أنشدك

لو بأبانين جاء يخطبها * ضرج ما أنف خاطب بدم

وليت شعرى بأى حلى تصديت له ، وأنت لو تتوجت بالثريا ، وقلدت قلادة الفلك ، وتمنطقت بمنطقة الجوزاء ، وتوشحت بالمجرة لم تكن الا عطلا ،

ولو توضحت بأنوار الربيع الزاهر ، وسرّجت فى جبينك غرة البدر الباهر ، ما كنت الا غافلا ، سيما مع قلة وفائك ، وضعف إخائك ، وظلمة ما نبصره من خصالك ، وترا كم الدجى فى ضلالك ، وقد ندمت على ما أعد لك من دونى ، ولـكن أى ساعة مندم ، بعد افناء الزمان فى ابتدائك ، وتصفحى حالات الدهر فى اختيارك ، وبعد تضييع ما غرسته ، وتقضى ما أسسته ، فان الوداد غرس اذا لم يوافق ثرى ثريا ، وجوا عذبا وماء رويا ، لم يرج زكاؤه ، ولم يجر ماؤه ، ولم تفتفتح أزهاره ، ولم تجن ثماره ، وليت شعرى كيف ملك الضلال قيادى حتى أشكل علىّ ما يحتاج اليه المزوجان ، ولا يستغنى عنه المتألفان ، وهى ممازجة طبع ، وموافقة شكل وخَلق ، ومطابقة خيم وخُلق ، وما وصلتنا حال جمعتنا على ائتلاف ، وحمتنا من اختلاف ، ونحن فى طرفى ضدين ، وبين أمرين متباعدين واذا حصلت الأمر وجدت ما بيننا من البعاد ، أ كثر مما بين الوهاد والنجاد ، وأبعد مما بين البياض والسواد ، وأيسر ما بيننا من النفار ، أقل ما بيننا من النضار وأ كثر ما بين الليل والنهار ، والاعلان والاسرار

رفق المنصور

قال أسد بن عبد الله لأبى جعفر المنصور يا أمير المؤمنين فرط الخيلاء ، وهيبة العزة ، وظل الخلافة ، يكف عن الطلب من أمير المؤمنين الا عن اذنه ، فقال له قل ، فقد والله أصبت مسلك الطلب فسأل حوائج كثيرة قضيت له

وقال عثمان بن نهيك لابى جعفر المنصور يا أمير المؤمنين قد حضر خدمك الإعظام والهيبة عن ابتدائك بطلباتهم ، وما عاقبة هذين لهم عندك ؟ قال عطاء يزيدهم حياء ، وا كرام يكسوهم هيبة الابد ، قال عيسى بن على ما زال المنصور يشاورنا فى أمره حتى قال ابراهيم بن هرمة فيه

اذا ما أراد الامر ناجى ضميرهَ * فناجى ضميراً غير مختلف الفعلِ
ولم يشرك الادنين فى جل أمرهِ * اذا اختلفت بالاضعفين قوى الحبل

فضل المشورة

فِقر فى ذكر المشورة

المشورة لقاح العقل ، ورائد الصواب ، اشارة المرء برأى أخيه عزم وحزم ، التدبير المشاورة قبل المساورة . والمشورة عين الهداية (ابن المعتز) من رضى بحاله استراح ، والمستشير على طرف النجاح (وله) من أكثر المشورة فى الاصابة لم يعدم الصواب ، وكان فى الاصابة مادحا ، وفى الخطا عاذراً (بشار بن برد) المشاور بين إحدى الحسنيين صواب يفوز بثمرته ، أو خطأ يُشارك فى مكروهه ، وقال

اذا بلغ الرأى المشورة فاستعنْ * بعزم نصيحٍ أو مشورة حازم
ولا تحسب الشورى عليك غضاضةً * فان الخوافى قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغل اختها * وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخلّ الهوينا للضعيف ولا تكن * نؤماً فان الحرّ ليس بنائم
وأدن الى القربى المقرب نفسهُ * ولا تُشهد النجوى أمراً غير كاتم
وانك لا تستطرد الغم بالحجى * ولا تبلغ العليا بغير المكارم

يزيد بن المهلب

ودخل الهذيل بن زفر على يزيد بن المهلب فى حمالات لزمته فقال : أيها الامير قد عظم شأنك أن يستعان بك أو يستعان عليك ، ولست تفعل شيئا من المعروف الا وأنت أكبر منه ، وليس العجب من أن تفعل المعجب ، بل العجب أن لا تفعل ، فقضاها عنه

أبو خليفة الجمحى

استخلص القاضى أبو خليفة الفضل بن حباب الجمحى رجلا للانس به ، فقال أغير أثوابى وأعود ، قال ما افعل ، ايناسك وعد ، وايحاشك فقد ، وكان أبو خليفة من جملة المحدثين ، وله حلاوة معنى وحسن عبارة وبلاغة لفظ ، قال الصولى كاتبت أبا خليفة فى أمور أرادها فاغفلت التاريخ منها فى كتابين فكتب الىّ بعد نفوذ الثانى وصل كتابك أعزك الله مبهم الاوان ، مظلم المكان ، فادى خبراً ما القرب فيه بأولى من البعد ، فاذا كتبت أكرمك الله تعالى فلتكن كتبك مرسومة بتاريخ لأعرف أدنى آثارك ، وأقرب أخبارك ، ان شاء الله تعالى (وقال) بعض الكتاب التاريخ عمود اليقين ، ونافى الشك ، به تعرف الحقوق ، وتحفظ العهود (وقال) رجل لأبى خليفة سلم عليه ما أحسبك تعرف نسبى ، فقال وجهك يدل على نسبك والاكرام يمنع من مسألتك ، فاوجدلى السبيل الى معرفتك

المنصور وشبيب بن شيبة

وسأل أبو جعفر المنصور قبل أن تفضى اليه الخلافة شبيب بن شيبة فانتسب له فعرفه أبو جعفر فأثنى عليه وعلى قومه ، فقال له شبيب بأبى أنت وأمى أنا أحب المعرفة وأجلك عن المسألة . فتبسم أبو جعفر وقال ما ألطف أهل العراق ! أنا عبد الله ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس فقال بأبى أنت وأمى ما أشبهك بنسبك ، وأدلك على منصبك

كلامهم فى الولاية

فقر وأمثال يتداولها العمال : الولاية حلوة الرضاع مرة الفطام ، غبار العمل خير من زعفران العطل (ابن الزيات) الارجاف مقدمة السكون (عبد الله بن يحيى) الارجاف رائد الفتنة (حامد بن العباس) غرس البلوى يثمر الشكوى ، (أبو محمد) المهلبى : التصرف أعلى وأسنى ، والتعطل أصفى وأخفى (أبو القاسم)

الصاحب : وعد الكريم ، ألزم من دين الغريم (ابن المعتز) ذل العزل يضحك من تيه الولاية ، وقال

كم تائه بولايةٍ * وبعزله ركض البريد
سكر الولاية طيبٌ * وخمارها صعبٌ شديد

وقال من ولي ولاية فنال فيها فأخبره أن قدره دونها — العزل طلاق الرجال وحيض العمال. وأنشدوا :

وقالوا العزل للعمال حيضٌ * لحاه الله من حيض بغيض
فان يك هكذا فأبو عليٍ * من اللائى يئسن من المحيض

منصور الفقيه

يامن تولّى فأبدى * لنا الجفا وتبدلْ
اليس منك سمعنا * من لم يمت فسيُعزل

وقال أيضا

اذا عُزل المرء واليتهُ * وعند الولاية أستكبرُ
لان المولّى له نخوةٌ * ونفسي على الذل لا تصبرُ

منصور بن اسماعيل

ومنصور هذا هو منصور ابن اسماعيل بن عيسى بن عمرو التميمي وكان يتفقه على مذهب الامام الشافعي رضى الله عنه ، وهو عالى المقطعات ، لاتزال تندرله الابيات مما يستظرف معناه ، ويُستحلى مغزاه ، ويبقى ثناه ، وهو القائل لما كف بصره

من قال مات ولم يستوف مدتهُ * لعظم نازلةٍ نالته مغرورُ
وليس في الحكم أن يحياقتى بلغت * به نهاية ما تجرى المقادير
فقل له غير مرتاب بغفلتهِ * أو سوء مذهبه قد عاش منصور

(وعتب) على بعض الاشراف وكانت أم الشريف أمة قيمتها ثمانية عشرة دينارا فقال

من فاتنى بأبيه * فلم يفتنى بأمه
ان رام شتمى ظلماً * سكتّ عن نصف شتمه

وقال لو قيل لى خذ أماناً * من حادثات الزمان
لما أخذت أماناً * الاّ من الاخوان

وقال رضيت بما قسم الله لى * وفوضت أمرى الى خالقى
كما أحسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقى

وقال لو كنت منتفعا بعلـ * ـك مع مواصلة الكبائر
ما ضر شرب السم ذا * علم بان السم ضائر

وقال اذا القوت تأتىّ لـ * ـك والصحة والامنُ
وأصبحت أخاحزن * فلا فارقك الحزن

ورأيت له فى أكثر النسخ على أن أكثر الناس يرويه لابراهيم بن المهدى وهو الصحيح

لولا الحياء وانى مشهورُ * والعيب يعلق بالكبير كبيرُ
لحللت منزلنا الذى نحتلهُ * ولكان منزلها هو المهجور

وقال أبو القاسم الصاحب بن عباد

اذا رأيت امرأ فى حال عسرتهِ * مصافيا لك ما فى وده خللُ
فلا تمنّ له أن يستفيد غنًى * فانه بانتقال الحال ينتقل

الغنى يغير الاخلاق

وكان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق قد نالته عُسرة ثم ولى عملا فاتاه محمد قاضياً حقا ومسلما عليه ، فرأى منه تغيرا ، فكتب اليه

لئن كانت الدنيا أنالتك ثروةً * وأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
لقد كشف الإثراء منك خلائقاً * من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

وقال أبو العتاهية فى عمرو ابن مسعدة ، وكان له خلا قبل ارتفاع حاله ، فلما علت رتبته مع المأمون تغير عليه

غَنيت عن العهد القديم غنيتا * وضيّعت عهداً كان لى ونسيتا
وقد كنت فى أيام ضعف من القوى * أبرّ وأوفى منك حين قويتا
تجاهلت عما كنت تحسن وصفهُ * ومت عن الاحسان حين حييتا

كتاب البديع الى ابن المزربان

وكتب بديع الزمان إلى أبى نصر بن المزربان فيما ينخرط فى هذا السلك

كنت أطال الله بقاء الشيخ سيدى وأدام عزه فى قديم الزمان أتمنى الخير للكتّاب ، وأسأل الله تعالى ان يدر عليهم اخلاف الرزق ، ويمد لهم اكناف العيش ويؤتيهم أصناف الفضل ، ويوطئهم أكتاف العز ، وينيلهم أعراق المجد ، وقُصاراىَ الآن ان ارغب اليه تعالى أن لا ينيلهم فوق الكفاية ، فشدما يطغون عند النعمة ينالونها ، والدرجة يعلونها ، وسرع ما ينظرون عن عال ، بما يجمعون من مال ، وينسون فى ساعة اللدونة ، أوقات الخشونة ، وفى زمان العذوبة ، أيام الصعوبة ، وللكتّاب مزية فى هذا الباب ، فبينا هم فى العزلة أعوان كما انفرج المشط ، وفى العطلة اخوان كما انتظم السمط ، حتى اذا لحظهم الجد لحظة حمقاء بمنشور عمالة ، أوصك جبالة ، عاد عامر مودتهم خرابا ، وانقلب شراب عهدهم سرابا ، فما اتسعت دورهم ، الا ضاقت صدورهم ، ولا غلت قدورهم ، الا خبت بدورهم ، ولا علت أمورهم ، الا أسبلت ستورهم ، ولا أوقدت نارهم ، الا انطفأ نورهم ، ولا هملجت عتاقهم ، الا فظعت أخلاقهم ، ولا صلحت أحوالهم ، الا فسدت أفعالهم ، ولا كثر مالهم ، الا قل جمالهم ، وعز معروفهم ، وورمت أنوفهم ، حتى انهم ليصيرون على الاخوان مع الخطوب خطبا ، وعلى الاحرار

مع الزمان ألبا. قصارى أحدهم من المجد أن ينصب تحته تخته ، وان يوطئ استه دسته ، وحسبه من الشرف دار يصهرج أرضها ، ويزخرف بعضها ، ويزوق سقوفها ويعلق شفوفها ، وناهيه من الشرف أن تغدو الحاشية أمامه ، وتحمل الغاشية قدامه ، وكفاه من الكرم ألفاظ براعته ، ونياب شفاعته ، يكسبها لوما ، ويحشوها لوما ، وهذه صفة أفاضلهم ، ومنهم من يمنحك الود أيام خشكاره ، حتى اذا أخصب جعل ميزانه وكيله ، وأسنانه أكيله ، وأنيسه كيسه ، وأليفه رغيفه ، وأمينه يمينه ، ودنانيره سميره ، وصندوقه صديقه ، ومفتاحه ضجيعه ، وخاتمه خادمه ، وجمع الذرة إلى الذرة ، ووضع البدرة على البدرة ، فلم تقع القطرة من طرفه ، ولا الذرة من كفه ، ولا يخرج ماله عن عهدة خاتمه ، إلى يوم مأتمه ، وهو يجمع لحادث حياته ، أو وارث وفاته ، يسلك فى الغدر كل طريق ، ويبيع بالدرهم ألف صديق وقد كان الظن بصديقنا أبى سعيد أيده الله تعالى أنه اذا أخصب بوأنا كنفا من ظله ، وحبانا من فضله ، فمن لنا الآن بعدله ، انه أطال الله بقاءه حين طارت الى أذنه عُقاب الخاطبية بالوزير ، وجلس من الديوان فى صدر الايوان ، افتض عذراء البشاشة لدىّ ، بتعرض بعض المختلفة الى ، وجعل يعرضه للهلاك ، وينسب له ما للاتراك ، وجعلت أكاتبه مرة وأقصده أخرى ، وأذكره له أن الراكب ربما نزل ، والوالى ربما عزل ، ثم يجف ريق الخجل على لسان العذر ، فتبقى الحزازة فى الصدر ، وما يجمعنى والشيخ ان كان زاده قولى الا عتوا فى تحكمه ، وجعل يمشى الجَزَى فى ظلمه ، ويبرأ إلىّ من علمه ، فأقول اذا رأيت ذلة السؤال مني وعزة الرد منه لى : قل لى متى فرزنت سرعتما أرى بابيدق[1] ، وما أضيع وقتا فيه أضعته ، وزمانا بذكره قطعته ، هلم إلى الشيخ وشرحه ، فقد نكأ القلب بقرحه ، وكيف أصف حالا لايقرع الدهر مروة حاله ، ولا تفض عروة حاله ، فما أولانى بأن أذكره بذكره مجملا واتركه مفصلا والسلام

---

(١) يعرف هذا المعنى من رقعة الشطرنج

كتاب آخر للبديع

وكتب إلى بعض اخوانه فى أمر رجل ولى الاشراف

فهمت ماذكرت أطال الله بقاءك من أمر فلان أنه ولى الاشراف وان تصدق الطيرة يكون اشرافا على الهلاك ، بأيدى الاتراك ، فلا تحزنك ولايته ، فالحبل لايبرم الا للفتل ، ولا تعجبك خلعته ، فالثور لايزين إلا للقتل ، ولا يرعك نفاقه فارخص ما يكون النفط اذا غلا ، وأسفل مايكون الارنب اذا علا ، وكانى به وقد سن جران العود ، سن المطر الجود ، وقيد له مركب الفجار ، من مربط النجار ، وانما جر له الحبل ليصفع كما صفع من قبلى وستعود تلك الحالة إحالة ، وينقلب ذلك الحبل حبالة ، فلا يحسد الذئب على الالية يعطاها ، ولا يحسب الحب ينثر للعصفور نعمته ذلك السيل ، وقصدته تلك الاهل ، وقوله ذلك القول ، وفعله ذلك الفعل ، فكان ما ألبس قد سلب أكثر مما أعطى ، وحرم أفضل مما أوتي ، وعدم أوفر مما غنم ، مالك تنظر الى ظاهره وتعمى عن باطنه ، أكان يعجبك أن تكون قعيدته فى بيتك ، وبغلته من تحتك ، أم كان يسرك ان تكون أخلاقه فى أهابك ، وبوابه على بابك ، أم كنت تود أن تكون وجماؤه فى ازارك ، وغلمانه فى دارك ، أم كنت ترضى أن تكون فى مربطك أفراسه ، وعليك لباسه ، ورأسك رأسه ، جعلت فداك ماعندك خير مما عنده ، فاشكر الله وحده على ما آتاك ، واحمده على ما أعطاك ، ثم أنشده

ان الغنى لهو الراضى بعيشته * لامن يظل على الاقدار مكتئبا

سهل بن هرون

ألف سهل بن هرون كتاباً يمدح فيه البخل ويذم الجود ليظهر قدرته على البلاغة وأهداه للحسن بن سهل فى وزارته للمأمون فوقع عليه : لقد مدحت ما ذمه الله ، وحسنت ما قبح الله ، وما يقوم صلاح لفظك بطلاح معناك ، وقد لجعلنا نوالك عليه قبول قولك فيه

الحسن بن سهل

وكان الحسن من كرماء الناس وعقلائهم. سئل ابو العتاهية عنه فقال انما خلف آدم فى ولده فهو ينفع عيلتهم ، ويسد خلتهم ، ولقد رفع الله للدنيا من شأنها اذ جعله من سكانها ، أخذ هذا المعنى أبو العتاهية من قول الشاعر

وكأن آدم كان قبل وفاته * أوصاك وهو يجود بالحوباء

ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم * وكفيت آدم عيلة الابناء

وأخذ أبو الطيب المتنبي آخر كلام أبي العتاهية فقال

قد شرف الله دنيا انت ساكنها * وشرف الناس إذ سواك انسانا

وقيل للحسن بن سهل لم قيل قال الاول ، وقال الحكيم ، قال لانه كلام قد مرّ على الاسماع قبلنا ، فلو كان زللاً لما نقل الينا مستحسنا

أمثال البخلاء

ومن أمثال البخلاء واحتجاجهم وحكمهم — أبو الاسود الدؤلى : لاتجاوزوا جود الله فانه أجود وأمجد ، لوشاء أن يوسع على خلقه حتى لا يكون فيهم محتاج فعل. وقال لوأطعمنا المساكين فى اعطائنا اياهم كنا أسوأ حالاً منهم. وقال الكندى: قولُ لا يدفع البلا ، وقولُ نعم يزيل النعم . وقال سماع الغناء برسام ، لأن المرء يسمع فيطرب ، فيسمح فيفتقر ، فيغتم فيمرض فيموت. وقال لابنه : يابنى كن مع الناس كاللاعب بالقمار ، انما غرضه أخذ متاعهم ، وحفظ متاعه وقال منع الجميع ارضاء للجميع ، اذا قبح السؤال حسن المنع. وقال ابن الجهم: من وهب فى عمله فهو مخدوع ، ومن وهب بعد العزل فهو احمق ، ومن وهب من خزائن سلطانه أو ميراث لم يتعب فيه فهو مخذول ، ومن وهب من كيسه وما استفاد بحيلته فهو المطبوع على قلبه ، المختوم على سمعه وبصره — ومن انشاداتهم

لاتجُد بالعطاء في غير حق * ليس في منع غير ذى الحق بخلُ

وقال كثيّر

اذا المال لم يوجب عليك عطاؤهُ * حقيقة تقوًى أو صديق تراقبه
منعتَ وبعض المنع حزم وقوةٌ * ولم يعتملك المال الا حقائبه

ابن المعتز

يارب جود جرّ فقر امرىءٍ * فقام للناس مقام الذليل
فاشدد عُرا مالك واستبقهِ * فالبخل خير من سؤال البخيل

وصف بخيل

وكتب بعض البخلاء يصف بخيلا : حضرت أعزك الله مائدة فلان القدر المحتوم ، والحَيْن المتاح ، والشقاء الغالب ، فرأيت أوانى تروق العيون محاسنها ، ويونق النفوس ظاهرها وباطنها ، وتزهى اللحظات ببدائع غرائبها ، وتستوفى الشهوات بلطائف عجائبها ، مكللة باحسن من حلى الحسان ووجوهها ، وزهر الرياض ونورها ، كأن الشمس خلت بساحتها ، والبدر يفوف من حافتها ، فمددت يداً عنّتها الشراهة وغلبها القدر الغالب ، وجرها الطمع الكاذب ، واذا له مع كسر كل رغيف لحظة نكر ، ومع كل لقمة نظرة شزر ، وفيما بين ذلك حُرق قائمة ، يصلى بها من حضره من الغلمان والخدم ، ومع ذلك فترة المغشىّ عليه من الموت ، فلما وضعت الحرب أوزارها برفع الخوان ، وتجلت عنه سماء من الغشيان ، بسط لسان جهله ، ونص ما ظهر من بخله ، ونظر إلى مؤاكله ، نظر المشرف له بأكلته ، المالك لخيط رقبته ، يظن أنه أولى من والديه بنسبته ، وأحق بماله من ولده وعياله ، يرى ذلك فرضا واجبا ، وحقا لازما ، نزل به الكتاب والسنة ، واتفق عليه قضاة الامة ، فان دفعه رده حكم القضاء اليه ، وان سمح به فغير محمود عليه

الصديق

ابن المعتز وغيره — انما سمى الصديق صديقا لصدقه فيما يدعيه لك ، وسمى العدو عدواً لعدوه عليك اذا ظفر بك — علامة الصديق اذا أراد القطيعة أن يؤخر الجواب ، ولا يبتدىء بالكتاب ، ولا يفسد بك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له — اذا كثرت ذنوب الصديق انمحق السرور به ، وتسلطت التهم عليه — من لم يقدم الامتحان قبل الثقة ، والثقة قبل الانس ، أثمرت مودته ندما — نصح الصديق تأديب ، ونصح العدو تأنيب — ظاهر العتاب خير من باطن الحقد — ماحبس الود بمثل العتاب

ترك العتاب اذا استحق أخ * منك العتاب ذريعة الهجر

وكتب أبو اسحق الصابى الى صديق له من الحبس « نحن فى الصحبة كالنسرين ، لكنى واقع ،وعلى الطائر أن يغشى أخاه ويراجع » من قل صدقه قل صديقه — من صدقت لهجته ، ظهرت حجته — الصادق بين المهابة والمحبة — من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه ، ومن تمام الصدق الاخبار بما تحتمل العقول

بلاغة أبى تمام

وكتب الحسن بن وهب الى أبى تمام الطائى: أنت حفظك الله تحتذى من البيان فى النظام مثل ما يقصد بحر فى الدرر من الافهام ، والفضل لك أعزك الله اذ كنت تأتى به فى غاية الاقتدار ، على غاية الاقتصار ، فى منظوم الاشعار ، فتحل متعقده ، وتربط متشرده ، وتنظم أشطاره ، وتجلو أنواره ، وتفصله فى حدوده ، وتخرجه فى قيوده ، ثم لاتأتى به مهما اقتسبته مشتركا فيلبس ، ولا متعقدا فيطول ، ولا متكلفا فيحول ، فهو كالمعجزة تضرب فيها الامثال ،

ويشرح فيـه المقال ، فلا أعدمنا الله هداياك واردة ، وفوائدك وافدة ، وهى طويلة (وفى هذه الرسالة) يقول أبو تمام وقد أرى انه قال ذلك فى غيرها

فى كل يوم صدور الـكتب صادرة * من رأيه وندى كفيه عن مثل
عن خط أقلامه يجرى القضاء على * كل الخلائق بين البيض والاسل
كأن أسطره فى بطن مُهْرَقِهِ * نور يضاحك دمع الواكف الخضل
لعابه علل والصدر ينفثها * وربما كان فيه النفع للطلل
كالنار تعطيك من نور ومن حُرق * والدهر يعطيك من غم ومن جذل

وقال آخر

مدادٌ مثل خافية الغرابِ * ورق مثل رقراق السرابِ
وأقلام كاطراف الحراب * وألفاظ كأيلم الشباب

بلاغة عمرو بن مسعدة

وقال احمد بن يوسف دخلت على المأمون وفى يده كتاب وهو يعاود قراءته مرة بعد مرة ، ويصعّد فيه بصره ويصوّبه ، فالتفت الى وقد لحظنى فى أثناء قراءته للكتاب فقال : أراك منكرا منى ما تراه ! قلت نعم وقى الله أمير المؤمنين المخاوف ! قال لا مكروه ان شاء الله ، ولـكنى قرأت كتابا وجدته نظير ما سمعت الرشيد يقوله عن البلاغة ، فانى سمعته يقول : البلاغة التباعد من الاطالة ، والتقرب من البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ على الـكثير من المعنى ، وما كنت أتوهم أحداً يقدر على هذه البلاغة حتى قرأت هذا الـكتاب من عمرو بن مسعدة الينا فاذا فيه :

كتابى الى أمير المؤمنين ومن قبلى من الاجناد والقواد فى الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليـه طاعة جند تأخرت عطياتهم ، واختلت أحوالهم ! ألا ترى يا احمد الى إدماجه فى الاجناد ، واعفائه سلطانه من الاكثار ، ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر — وفى عمرو بن مسعدة يقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمى

أعقّ على بارق ناصب * خفيٍّ كوحيك بالحاجبِ
كأن تألقه فى السماء * يدا كاتب أو يدا حاسب
فروّى منازل تذكارها * يهيّج من شوقك الغالب
غريب يحن لأوطانهِ * ويبكى على عصره الذاهب
كفاك أبو الفضل عمرو الندي * مطالعة الأمل الكاذب
وصدق الرجاء وحسن الوفاء * لعمرو بن مسعدة الكاتب
عريض الفِناء طويل البنا ء فى العز والشرف الثاقب
بنى الملك طود له بيتهُ * وأهل الخلافة من غالب
هو المرتجَى لصروف الزمان * ومعتصَم الراغب الراهب
جوادٌ بما ملكت كفهُ * على الضيف والجار والصاحب
بأدم الركاب ووشى الثيا ب والطِّرف والطفلة الكاعب
نؤملهُ لجسام الامور * ونرجوه للجلل الكارب
خصيب الجنان مطير السحاب * بشيمته لين الجانب
يروّى القنا من نحور العدا * ويغرق فى الجود كاللاعب
اليك تبدت بأكوارها * حراجيج فى مهمهٍ لاحب
كأن نعاما تبارى بنا * بوابل من برد عاصب
يردن ندى كفك المرتجى * ويقضين من حقك الواجب
ولله ماأنت من خابر * بسجل لقوم ومن خارب
فتسقى العدا بكؤس الردى * وتسبق مسئلة الطالب
وكم راغب نلته بالعطا * وكم نلت بالعطف من هارب
وتلك الخلائق أعطيتها * وفضل من المانع الواجب
كسبت الثناء وكسب الثنا ء أفضل مكسبة الكاسب
يقينك يجلو ستور الدجا * وظنك يخبر بالغائب

وهذا الشعر يتدفق طبعاً وسلاسة * قلت والكلام الجيد الطبع ، مقبول فى السمع ، قريب المثال ، بعيد المنال ، أنيق الديباجة ، رقيق الزجاجة ، يدنو من فهم سامعه، كدنوه من فهم صانعه ، والمصنوع مثقف الكعوب ، معتدل الانبوب يطرد ماء البديع على جنباته ، ويجول رونق الحسن فى صفحاته، كما يجول السحر فى الطرف الكحيل ، والاثر فى السيف الصقيل ، وحمل الصانع شعره على الاكراه فى التعمل بنفخ المبانى ، دون اصلاح المعانى ، ينور آثار صنعته ، ويطفىء أنوار صبغته ، ويخرجه فساد التعسف ، وقبح التكلف ، والقاء المطبوع بيده الى قبول ما يبعثه هاجسه ، وتنفيه وساوسه ، من غير اعمال النظر ، وتدقيق الفِكر ، يخرجه الى حد المشتهر من الرث ، والجنى المطروح الغث ، وأحسن ما اجرى اليه وعول عليه ، التوسط بين الحالتين ، والمنزلة بين المنزلتين ، من الطبع والصنعة وقد قال اعرابي للحسن البصرى علمنى دينا وسطاً لا ساقطا سقوطا ، ولا ذاهبا فروطا ، قال أحسنت ، خير الامور أوساطها. والبحترى عن هذا القوس ينزع ، والى هذا النحو يرجع

مدح ابن المعتز للمكتفى

ومن الشعر الذى يجرى فى النفس مجرى النفس قول بن المعتز يمدح المكتفى اذ قدم من الرقة بعد القبض على القرمطى فقال

لا ورمان النهود * فوق أغصان القدود
وعناقيد من اصدا * غ وورد من خدود
وبدور من وجوهٍ * طالعات بالسعود
ورسول جاء بالميـ * ـعاد من بعد الوعيد
ونعيم من وصال * فى قفا طول الصدود
ما رأت عينى كعيد * زارنى فى يوم عيد
فى قباء فاختى الـ * ـلون من لبس الجديد

كلما قاتل جند * ى بسيف وعمود
قاتل الناس بعينيـ * ـن وخدين وجيد
قد سقانى الراح من فيـ * ـه على رغم الحسود
وتعانقنا كأنا * وهو فى عقد شديد
نقرع الثغر بثغر * طيب عند الورود
مرحبا بالملك القا * دم بالجد السعيد
يا مذل البغي ياقا * تل حيات الحقود
عش ودم فى ظل عيش * خالد باق جديد
فلقد أصبح أعدا * ؤك كالزرع الحصيد
ثم قد صاروا حديثاً * مثل عاد وثمود
جاءهم بحر حديد * تحت أجبال بنود
فيه عقبان خيول * فوقها أسد جنود
وردوا الحرب فمدوا * كل خطيٍّ مديد
وحسام شره الحد * الى قطع الوريد
ما لهذا الفتح ياخيـ * ـر امام من نديد
فاحمد الله فان الـ * ـحمد مفتاح المزيد

على بن الخليل

وقول على بن الخليل مولى يزيد بن مزيد الشيبانى وكان يُرمى بالزندقة قال الفضل بن الربيع جلس الرشيد يوما للمظالم فجعلت اتصفح الناس وأسمع كلامهم فرميت بطرفى فرأيت فى آخرهم شيخاً حسن الهيئة والوجه ، ما رأيت أحسن منه فوقف حتى تفوض المجلس ثم قال : ياأمير المؤمنين قصتى! فأمر بأخذها فقال إن راى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى قراءتها فانا أحسن تعبيراً لخطى من غيرى

فقال له اقرأ فقال . شيخ ضعيف، ومقام صعب ، ولا يأمن الاضطراب ، فان رأى أمير المؤمنين أن يصل عنايته بأمرى فى الاذن بالجلوس فعل ، فقال اجلس فجلس وانشأ يقول

ياخير من وخدت بارحله * نجب الركاب بهمه حلس
تطوى السباسب فى أزمتها * طى التجار عمائم البرس
لما رأتك الشمس طالعة * سجدت لوجهك طلعة الشمس
خير البرية أنت كلهم * فى يومك الغادى وفى أمس
وكذاك ما تنفك خيرهمُ * تمسى وتصبح فوق ما تمسى
لله ما هرون من ملك * عف السريرة طاهر النفس
تمت عليه لربه نعم * تزداد جدتها مع اللبس
من عترة طابت أرومتها * أهل العفاف ومنتهى القدس
متهللين على أسرتهم * ولدى الهياج مصاعب شمس
انى لجأت اليك من فزع * قد كان شر دنى ومن لَبْس
لما استخرت الله مجتهداً * يممت نحوك رحلة العنس
واخترت حلمك لا أجاوزهُ * حتى أغيّب فى ثرى رمسى
كم قد سريت اليك مجتهداً * ليلا يموج كحالك النِقس
ان راعنى من هاجس فزع * كان التوكل عنده ترسى
ما ذاك الا انى رجل * أصبو الى نفر من الانس
بيض أوانس لاقرون لها * يقتلن بالتطويل والحبس
وأجاذب الفتيان بينهمُ * صفراء مثل مجاجة الورس
للماء فى حافاتها حبب * نظم كرقم صحائف الفرس
والله يعلم فى بنيته * ما ان أضعت قيامة الخمس

قال ومن تكون ؟ قال على ابن الخليل ، يقال له زنديق ، فقال له أنت آمن وأمر له بخمسة آلاف درهم

وصف دعوة

أنشد أبو العباس المبرد لرجل يصف دعوة دعا الله عز وجل بها وقد رأيتها في شعر محمد بن حازم الباهلي

وسارية لم تسر في الارض تبتغي * محلا ولم يقطع بها البيد قاطع
سرت حيث لم تحد الركاب ولم تنخ * لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تمر بجنح الليل والليل ضارب * بجثمانه فيه سمير وهاجع
اذا وردت لم يردد الله وفدها * على أهلها والله راء وسامع
تفتح أبواب السموات دونها * اذا قرع الابواب منهن قارع
واني لارجو الله حتى كانني * أرى بجميل الظن ما الله صانع

رفق معن بن زائدة

ودخل رجل على معن ابن زائدة فقال ما هذه الغيبة ؟ فقال أيها الامير ما غاب عن العين من يذكره القلب ، وما زال شوقي الى الامير شديدا ، وهو دون ما يجب له ، وذكري له كثيرا وهو دون قدره ، ولكن جفوة الحجاب ، وقلة بشر الغلمان ، منعاني من الاكثار ! فأمر بتسهيل حجابه وأجزل صلته

وقال أبو جعفر المنصور لمعن بن زائدة كبرت يامعن ! قال في طاعتك يا أمير المؤمنين قال وانك لجلد ، قال على اعدائك ، قال وان فيك لبقية ، قال هي لك يا أمير المؤمنين قال فأي الدولتين أحب اليك هذه أم دولة بني أمية ؟ قال ذلك اليك يا أمير المؤمنين ان زاد برك على برهم كانت دولتك أحب الى * ومعن هذا هو معن بن زائدة ابن عبد الله بن شرحبيل بن قتيبة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان وبنو مطر هم بيت شيبان وشيبان بيت ربيعة وكان من أجود الناس وفيه يقول مروان بن أبي حفصة ويعم بني مطر

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم * أسود لها في غيل خفان أشبل

همُ يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهمُ بين السما كين منزل
ولا يستطيع الفاعلون فعالهمْ * وان أحسنوا فى النائبات واجملوا
بهاليل فى الاسلام سادوا ولم يكن * كأولهم فى الجاهلية أول
هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان اعطوا أطابوا وأجزلوا

أخذ البيت الاول ابن الرومى وزاد فيه فقال

تلقاهمُ ورماح الخط بينهمُ * كالأُسْدِ ألبسها الآجام خفانُ

الرأى والشجاعة

أتى قوم من العرب شيخا لهم قد أربى على الثمانين وأهدف على التسعين ، فقالوا ان عدونا استاق سرحنا فأشر علينا بما ندرك به الثار ، وننفى به عنا العار فقال الضعف فسخ همتى ونكث ابرام عزيمتى ، ولكن شاوروا الشجعان من ذوى العزم ، والجبناء من أولى الحزم ، فان الجبان لا يألو برأيه ما يقى بالحكم ، والشجاع لا يألو برأيه ما يشيد ذكركم ، ثم اخلصوا من الزلتين بنتيجة تبعد عنكم معرة نقص الجبان ، وتهوّر الشجعان ، فان نجم الرأى على هذا أنفذ على عدوكم من السهم الصائب ، والحسام القاضب

قضاء الله وعدله

قال الاصمعى سمعت اعرابية تقول لرجل تخاصمه : والله لو صوّر الجهل لأظلم معه النهار ، ولو صوّر العقل لأضاء معه الليل ، وانك من أفضلهما لمعدم ، نخف الله، واعلم أن من ورائك حكمًا لا يحتاج المدعى عنده الى احضار بينة

بنو كليب

قال الفرزدق يهجو كليبا

ولو يرمى بلؤم بنى كليب * نجوم الليل ماوضحت لسارى
ولو لبس النهار بنو كليب * لدنس لؤمهم وضح النهار

اللهم آمين

وقال سفيان بن عيينة سمعت اعرابيا يقول عشية عرفة: اللهم لا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندى ، وان لم تتقبل تعبى ونصبى فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبته .

عتاب الاصدقاء

وقال آخر منهم لصديق استبطأه فلامه : كانت بى زلة يمنعنى من ذكرها ما أملت من تجاوزك عنها ، ولست اعتذر اليك منها إلا بالاقلاع عنها . وقال آخر لابن عم له: والله ما أعرف تقصيراً فاقلع ، ولا ذنباً فأعتب ، ولست أقول انك كذبت ولا انى أذنبت . وقال آخر لابن عم له : سأتخطى ذنبك الى عذرك ، فانى كنت من أحدهما على يقين ، ومن الآخر على شك ، لتتم النعمة منى اليك وتقوم الحجة لى عليك

كيف العزاء

وأصيب اعرابى بابن له فقال وقد قيل له اصبر : أعلى الله أتجلد أم فى مصيبتى أتبلد ؟ والله للجزع من أمره أحب الى الآن من الصبر ! لأن الجزع استكانة والصبر قساوة ، ولئن لم أجزع من النقص لم أفرح بالمزيد

كلمة صدق

ودعا اعرابى فقال : اللهم انى أعوذ بك أن افتقر فى غناك ، أو أضل فى هداك ، أو أذل فى عزك ، أو أضام فى سلطانك ، أو اضطهد والامر اليك

احذر رجل السوء

قال الأصمعى سمعت اعرابيا يعظ رجلا وهو يقول : ويحك إن فلانا وان ضحك اليك ، فانه يضحك منك ، ولئن أظهر الشفقة عليك ، ان عقاربه لتسرى اليك ، فان لم تتخذه عدوا فى علانيتك ، فلا تجعله صديقا فى سريرتك

لا تقع فى السلطان

سمع اعرابى رجلا يقع فى السلطان فقال : انك غُفل لم تسِمك التجارب ، وفى النصح لسع العقارب ، كأنى بالضاحك اليك ، وهو باك عليك

احذر الاستدراج

حذر بعض الحكماء صديقا له صحبه رجل فقال: احذر فلانا فانه كثير المسألة حسن البحث ، لطيف الاستدراج ، يحفظ أول كلامك على آخره ، ويعتبر ما أخرت بما قدمت ، فلا تظهرن له المخافة فيرى انك قد تحرزت ، واعلم أن من يقظة الفطنة اظهار الغفلة مع شدة الحذر ، فباثه مباثة الآمن ، وتحفظ منه تحفظ الخائف ، فان البحث يظهر الخفى الباطن ، ويبدى المستكن الكامن

كلام الاعراب

أتى اعرابى رجلا لم يكن بينه وبينه حرمة فى حاجة له فقال : انى امتطيت اليك الرجاء ، وسرت على الامل ، ورافقت الشكر ، وتوسلت بحسن الظن ، فحقق الامل ، وأحسن المثوبة ، واكرم الصفد ، وأقم الاود ، وعجل السراح (قال) الاصمعى وسمعت اعرابيا يقول : اذا ثبتت الاصول فى القلوب ، نطقت الالسنة بالفروع ، والله يعلم أن قلبى لك شاكر ، ولسانى ذاكر ، ومحال أن يظهر الود المستقيم ، من الفؤاد السقيم (ومدح) اعرابى رجلا فقال : انه ليغسل من العار وجوها مسودة ، ويفتح من الرأى أبوابا منسدة (وقال اعرابى)

كم قد ولدتم من رئيس قسور * دامى الاظافر فى الخميس الممطر
سدكت أنامله بقائم مرهف * ويقيم هامته مقام المغفر

ما إن يريد اذا الرماح تشاجرت * درعا سوى سربال طول العنصر
ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا * فعقرت ركن المجد ان لم تُعقر
واذا تأمل شخص ضيف مقبل * متسربل سربال محْلٍ اغبر
أوما الى الكوماء هذا طارق * نحرتنيَ الاعداء ان لم تنحرى

وقال

قامت تَصدّى له عمداً لغفلته * فلم ير الناس وجداً كالذى وجدا
جيداء ربداء لم تعقد قلائدها * وناهد مثل قلب الظبي ماحصدا
فراح كالحائم الصديان ليس له * صبر ولا يأمن الاعداء ان وردا

وقال آخر

ومكتتمات بعد وهن طرقننى * بأردية الظلماء ملتحفاتِ
دسسن رسولا ناصحا وتلونهُ * على رقبة منهن مستترات
فبت أعاطيهن صرف مدامةٍ * وبتن على اللذات معتكفات
فياوجد قلبي يوم إتلاء ناظرى * سليمى وجادت بعدها عبراتى

حكم باقية

وقال الاحنف بن قيس : من لم يستوحش من ذل المسئلة لم يأنف من الرد
وقال سفيان الثورى لاخ له : هل بلغك شيء مما تكرهه عمن لا تعرفه ؟ قال لا . قال فأقلل ممن تعرف . أخذه ابن الرومى فقال

عدوك من صديقك مستفادٌ * فأقلل ما استطعت من الصحابِ
فان الداء أ كثر ما تراهُ * يكون من الطعام أو الشراب
فدع عنك الكثير فكم كثير * يعاف وكم قليلٍ مستطاب
وما اللجج المِلاح مرويات * ويُلفى الرى فى النُطف العِذاب

خالد القسرى

وقال رجل لخالد القسرى: والله انك لتبذل ماجل ، وتجبر ما انفلّ ، وتكثر ما قل ، ففضلك بديع ، ورأيك جميع ، تحفظ ما شُذ ، وتؤلف ما ند

صفات الكرماء

وسئل اعرابى عن قومه فقال: يقتلون الفقر عند شدة القر ، وأرواح الشتاء ، وهبوب الجربياء ، بأسنمة الجزور ، ومترعات القدور ، تهش وجوههم عند طلب المعروف ، وتعبس عند لمعان السيوف

ووصف اعرابى قوما فقال : لهم جود كرام اتسعت أحوالها ، وبأس ليوث تتبعها أشبالها ، وهمم ملوك انفسحت آمالها ، وفخر آباء شرفت أخوالها

خالد بن صفوان

وقال خالد بن صفوان وقد دخل على بعض الولاة : قدمت فأعطيت كلا بقسطه من نظرك ، وصوتك ، وعدلك ، حتى كأنك من كل أحد ، وحتى كأنك لست من أحد. وذكر خالد رجلا فقال : كان والله بديع المنطق ، زلق الجرأة ، جزل الالفاظ ، عربى اللسان ، ثابت العقدة ، رقيق الحواشى ، خفيف الشفتين ، بليل الريق ، رحب الشرف ، قليل الحركات ، خفى الاشارات ، حلو الشمائل ، حسن الطلاوة ، حيياجريا ، قؤولا صموتا ، يفل الحز ، ويصيب المفاصل ، لم يكن بالمعذر فى منطقه ، ولا بالزمن فى مروأته ، ولا بالخرق فى خليقته ، متبوعا غير تابع ، كأنه علم فى رأسه نار

كلمة ثناء

وقال بعض البلغاء لرئيسه : ان من النعمة على المثنى عليك أنه لا يأمن من التقصير ، ولا يخاف الافراط ، ولا يجد أن تلحقه نقيصة الكذب ، ولا ينتهى

به المدح الى غاية الا وجد فى فضلك عونا على مجاوزتها ، ومن سعادة جدك ان الداعى لا يعدم كثرة المشايعين ومساعدة النية على ظاهر القول

ضروب المدائح

جملة من الكلام فى ضروب المدائح — قد وضعت كثرة التجارب فى يده مرآة العواقب ، قد نجذته صروف الدهور ، وحنكته مصاير الأمور ، قد أرضعته الحنكة بلبانها ، وأدبته الدربة فى ابانها — فلان نوازل التجارب حنكته ، وفوادح الأيام عركته ، هو عارف بتصاريف النقض والابرام — هو ابن الدهر حنكة وتجريبا ، وعوداً على الدهر صليبا ، قد أدبه الليل والنهار ، ودارت على رأسه الأدوار ، واختلفت به الاطوار ، له همة علا جناحها الى عنان النجم ، وامتد صباحها من شرق الى غرب ، لا يتعاظمه اشراف الأمر اذا أخطره بفكره ، وانتساف الصخر اذا ألقاه فى وهمه ، همته أبعد من مناط الفرقد ، وأعلى من منكب الجوزاء ، وأسع من الارض ذات العرض ، هو حىّ القلب منشرح الصدر ، ذكى الذهن ، شجاع الطبع . ليس بالتوءم ولا السؤم ، فذ فرد ، وأسد ورد ، كأن له فى كل جارحة قلبا ، كأن قلبه عين ، وكأن جسمه سمع ، شهاب مقدم وقدح مقوم * هو شهم مشدود النطاق ، قائم على ساق ، قد جد واجتهد ، وحشر وحشد ، شمر عن ساق الجد ما أطاق ، قد ركب الصعب والذلول ، وتجشم الحزن والسهول ، وقطع البر والبحر ، وأعمل السيف والرمح ، وأسرج الدُّهم والشهب هو مولود فى طالع الكمال ، وهو جملة الجمال ، قد أصبح عين المكارم ، وزين المحافل — هو فرد دهره ، وشمس عصره ، وزين مصره ، وهو علم الفضل ، وواسطة عقد الدهر ، ونادرة الفلك ، ونكتة الدنيا ، وغرة العصر ، قد بايعته يد المجد ، ومالت فيه الشورى الى النصر — فلان يزيد عليهم زيادة الشمس على البدر ، والبحر على القطر ، هو رائش نبلهم ، ونبعة فضلهم ، وجمة وردهم ،

وواسطة عقدهم،هو صدرهم و بدرهم ، وعليه يدور أمرهم ، ينيف عليهم إنافة صفحة الشمس على كرة الأرض ، كأنهم فلك هو قطبه ، وجَسَدٌ هو قلبه ، ومملوك هو ربه ، هو مشهور بسيادتهم ، وواسطة قلادتهم ، موضعه من أهل الفضل موضع الواسطة من العقد ، وليلة التم من الشهر ، بل ليلة القدر الى مطلع الفجر . أفضل وأنعم وأسدى فى الاحسان ، وأفعم وأسرج فى الاكرام وألجم ، قسم من انعامه ما يسع الورى وملقى السعادة ، إنما اعطاه عنان الاهتمام حتى استولى على قصب المرام ، رُدّ عنه الدهر أحص الجناح ، وملكه مقادة النجاح. أولاه من معهود البر ومألوفه، ماقصرت الاعداد عن مئاته وألوفه ، أولاه اسعافا سمحا ، وعطاء سحا ، ومننا صفوا وعفوا ، أفاض عليه شِعاب البر ومسايله ، وجمع له شعوب الجميل وقبائله ، وهطلت عليه سحاب عنايته ، ورفرفت حوله أجنحة رعايته ، قد فكه بكرمه من قيد السؤال ، ومعرة الاختلال ، راشه بعد أن حصه الفقر وأرضاه ، وقد أسخطه الدهر بما ملأ العيون وشهد مرئيا لتحقيق الظنون — قد شِمت من كرمه أكرم سحاب ، وحصلت من انعامه فى أخصب جناب — قد سد ثلمة حالى ، وأدر حلوبة مالى — ما أخلو من طل احسانه ووابله ، وغابر انعامه وقابله — قد استمطرت منه بنوء غزير ، وسرت فى ضوء قمر منير * قد كرعت من بره فى مشارع تغزر ولا تنزر ، ورفلت من طَوله فى ملابس تطول ولا تقصر — إقامته فى ظل ظليل ، وفضل جزيل ، وريح بليل ، ونسيم عليل ، وماء رويّ ، ومهاد وطيّ ، وكن كنين ، ومكان كين — أنا آوى الى ظله كما يأوى الصيد المذعور الى الحرم ، وأواجه منه وجه المجد وصورة الكرم * أنا من انعامه بين خير مستفيض ، وجاه عريض ، ونعم بيض * قد استظهرت على جور الأيام بعدله ، واستترت من دهرى بظله * ما أردد فيه طرفى وأعده من خالص ملكى منتسب الى عطائه ، بجميل رائه — مسافة بصرى تبعد ان سافرت فى مواهبه ، وركائب فكرى تظلع أن أنضيتها فى استقراء صنائعه — نعمته نعمة عمت الامم ، وسبقت

النعم ، وكشفت الهموم ورفعت الهمم — نعمة قد سطع صباحها مستنيراً ، وطيب شعاعها مستطيراً ، قد عركتني نعمه حتى استنفدت شكر لساني ويدي ، وأثقلت ظهري ، وملأت صدري ، نعمه عندي مشرقة الجو ، مغرقة النو ، مونقة الضوء ، تتابعت نعمه تتابع القطر ، على القفر ، وترادفت مننه ترادف الغنى الى ذوى الفقر ، نعمه أشرقت لها أرضي ، ومُطربها روضي ، وورى لها زندي ، وعلا معها جدي ، وأتاني الزمان يعتذر من اساءته ، وجاءني الدهر ينتظر أمري — نعمه انعمت البال ، وسرت النفس والحال — نعم تعم عموم المطر ، وتزيد عليه بإفراد النفع عن الضرر — نعم تضعف الخواطر عن التماسها ، وتصغر القرائح عن اقتراحها * له أياد قد عمت الآفاق ، ووسمت الاعناق ، أياد قد حبست عليك الشكر ، واستعبدت لك الحر ، منن توالت توالي القطر ، واتسعت سعة البر والبحر ، وأثقلت كاهل الحر — عندي قلادة منتظمة من مننه قد جعلتها وقفاً على نحور الايام ، وجلوتها على أبصار الانام * أياد يقصر عن حقوقها جهد القول ويزهر منها ساطع الانعام والطول * أياديه أطواق في أجياد الاحرار ، وأفلاك تدور على ذوى الاخطار * له منن يضعف عن حملها عواتق الاجياد ، ويتضاعف حملها على السبع الشداد ، لو تحمل الثقلان ثقل هذا الامتنان لاثقل كواهلهم وأضعف عواتقهم * أياد يفرض لها الشكر ويحتم ، ومنن يبدأ بها الذكر ويختم ، أياد تثقل الكاهل ومنن تتعب الانامل — مِنن تضعف مُنن الشكر ، وينشر معها قوى النشر ، منن هي أحسن أثراً من الغيث في ازاهير الربيع ، وأحلى موقعاً من الامن عند الخائف المروع — ان أتعبت نفسي في تعداد مننه وحصرها فسأطمع في احصاء السحاب وقطرها — أياد لا تحصى أو تحصى محاسن النجوم ومنن لا تحصر أو تحصر أقطار الغيوم — أياد بعدد الرمل والنمل ، أعيت على العد ، ولم تقف عند حد — زادت أياديه حتى كادت تجهد الاعداد ، وتسبق الاعداد — أياديه عندي أغزر من قطر المطر ، وعوارفه لدىّ أسرع من رجع

البصر ـ رفعتني من قعر التراب الى سمك السحاب ـ استنبطه من الحضيض الا وهد، الى السناء الامجد ، وقدنبهه عن خمول ، وأجرى الماء فى عوده بعد ذبول ورقاه الى ذروة المجد التى لاتزول ـ فضائل تزل أقدام النجوم لو وطئتها وتقصر همم الافلاك لو طلبتها ـ ثبت قدمه فى المحل المنيف ، ومكنه من جوامع التشريف جذب بضبعه من السقط المنحط الى الرفيع المشتط

صدور الكتب

فِقر فى أدعية صدور الكتب مما يليق بهذه الاثنية والمادح — أطال الله له البقاء كطول يده بالعطاء ، ومدّ له فى العمر ، كامتداد ظله على الحر ، وأدام له المواهب ، كما أفاض به الرغائب ، وحرس لديه الفضائل ، كما عوّذ به الشمائل ـ تولى الله عنى مكافأته ، وأعان على الخير نيته وفعله ، وأصحب بقاءه عزاً يبسط يديه لاوليائه على أعدائه وكلاءة تذب عن ودائع مننه عنده ، وزاد فى نعمه وان عظمت ، وبلغه آماله وان انفسحت ، ولا زال الفضل يأوى منه الى ركن منيع ، وجناب مريع ، لازالت الالسن عليه بالثناء ناطقة ، والقلوب على مودته متطابقة ، والشهادات له بالفضل متناسقة ، لا زال يعطف على المصادر والموارد ، عطف الام والوالد ـ أبقاه الله للجميل يعلى عاله ، ويحيى مكارمه ، ويعمر مدارجه ، ويثمّر نتائجه ـ ادام الله أيامه التى هى أيام الفضائل ومواقيتها ، وازمان المآثر وتواريخها ، أدامه الله للمواهب سامية الذوائب ، موفية على أمنية الراجى وبغية الطالب ، أبقاه الله للعطاء يفضه بين خدمه ، والجمال يفيضه على انشاء نعمه ـ والله يتابع له أيام العلى والغبطة ، والنماء والبسطة ، لترتع أنواع الخدم فى رياض فواضله ، وتكرع أصناف الحشم فى حياض مواهبه * والله يبقيه طويل الذراع ، مديد الباع ، مليا بالافضال والاصطناع ، جزاه الله عن نعمة هيأها بعد أن أسبغها وعارفة حلاّها بعد أن سوّغها — أفضل ما يجازى به مبتدى احسان ، ومجير انسان ،

لا زال مكانه مَصانا للكرم ، معَانا للنعم ، لا ترمه المواهب ، ولا ترومه النوائب ، بُسطت بالعلا يده ، وقرن بالسعادة جَده ، وجُعل خير يوميه غده * لا زالت الأيام والليالى مطاياه فى أمانيه وآماله ، وصرف صروف الغِيَر عن اصابة اقباله وكماله ، وكما قال ابن المعتز فى القاسم بن عبيد الله

أيا حاسداً يكوى التلهف قلبهُ * اذا مارآه غازياً وسط عسكرِ
تصفّح بنى الدنيا فهل فيهمُ لهُ * نظيرٌ ترى ثم اجتهد وتفكر
فان حدثتك النفس انك مثلهُ * بنجوى ضلال بين جنبيك مضمر
فجد وأجد رأياً وأقدم على العدا * وشدّ على الاكم المآزر واصبر
وعاص شياطين الشباب وقارع النـ * ـوائب وارفع صرعة الضر واجبر
فان لم تطق ذا فاعذر الدهر واعترف * بأحكامه واستغفر الله يغفرِ

﴿ انتهى الجزء الثالث ﴾

اقرأ مؤلفات



فهرس

« الجزء الثالث من كتاب زهر الآداب »

